دكتور

حسين فوزي النجار



١٩٤٦ - ١٩٥٦

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة القاهرة الحديثة
١٦٩ شارع التحرير القاهرة



١٩٤٦ - ١٩٥٦

تأليف

الدكتور

حسين فوزى النجار

الطبعة الأولى

١٩٥٧

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة القاهرة الحديثة

١٦٩ شارع التحرير بمصر

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

إهداء

إلى أخلد الخالدين . . .

إلى صاحب محمد . . .

إلى من كان مني في منزلة أبي . . .

وسيبقى خالداً في نفسي وقلبي ووجداني . . .

حتى نلتقي في السماء . . .

إلى أستاذي في أكرم جوار . . .

الدكتور محمد حسين هيكل

الرجل ، والإنسان ، والفكر الخالد

« انتقل إلى الملأ الأعلى صباح يوم السبت ٨ ديسمبر ١٩٥٦ » .

المؤلف

محتويات الكتاب

ملاحق

مواثيق ومعاهدات

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يضم هذا الكتاب عدة مقالات أو تعليقات سياسية نشرت فى أوقات متفرقة كل فى مناسبتها ولم أفكر يوم كتبتها أنها يمكن أن تؤلف كتابا ما ، فالكتاب إذ يؤلف يجب أن يتناول بحثا متكاملا يدور حول حقيقة واحدة أو عدة حقائق يكمل بعضها بعضا ولا أحب فى الكتاب أن يضم أشتاتا من البحوث أو عديدا من الحقائق فكل منها جدير بأن يتناوله كتاب مستقل به إلا إذا كانت هذه البحوث تدور حول موضوع واحد فهى عندئذ تكاد تكمل بعضها وهى حينئذ جديرة بأن يصدر بها كتاب واحد .

وقد رأيت فى هذه التعليقات أو البحوث كما يروق لى أن أسميها أنها يكمل بعضها بعضا فهى تتناول أحداثا عشناها فى تلك المنطقة التى تعرف بالشرق الأوسط وهذه الأحداث تتداخل وتتصل بعضها ببعض سواء من حيث أسبابها أو من حيث نتائجها فهى فى غايتها وحدة لا تتجزأ وكل لا يفترق ففكرت فى أن يضمها كتاب ورأيت فى إلحاح أصدقائى ممن يعنون بأمثال تلك البحوث أو يهتمون بأحداث الشرق الأوسط ما شجعنى على أن أقرن التفكير بالعمل بل أشار علىّ بعضهم بأن يصدر كتاب سنوى يتناول من أحداث الشرق

الأوسط ما دار فى عام لا من حيث ذكر الأحداث أو تفصيلها ولكن كما تعودت أن أتناولها فى أمثال تلك البحوث التى يضمها هذا الكتاب حتى تكون على أقل تقدير للقارىء والمؤرخ صورة من صور تفكيرنا السياسى كما نعيش فيه ونحياه مما قد يغيره تطور الأحداث أو كشف الأجيال القادمة لحقائق كانت خافية علينا . ثم رجعت إلى هذه المقالات أقلبها وأعيد النظر فيها فرأيت أنها تتناول أحداثا شغل بها الناس خلال السنوات العشرة الماضية ومازالوا بأغلبها مشغولين ورأيت أنها وإن كتبت لمناسبات معينة تؤلف فى مجموعها كلا واحدا من حيث الشكل ومن حيث الموضوع . فكان أن اقتنعت كما اقتنع اصدقائى من قبل بأن يجمعها كتاب يصدر للجمهور ومرت الأيام دون أن أعمل شيئا حتى جاءنى صديقنا الأستاذ على القاضى أحد أصحاب مكتبة القاهرة الحديثة يطلب إلى أن يقوم بنشر هذا الكتاب فسلمته الأصول وتركتها له يتولاها كما يحب .

وإذا راق لى أن اسمى هذه المقالات أو التعليقات بحوثا سياسية قصيرة فلأننى يوم كتبتها كنت حريصا على أن أغوص بالتعليق إلى جذور المشكلة من واقع أصولها التاريخية حتى يبدو القارىء على صورة بينة منها ، لهذا جاءت هذه المقالات أشبه بالبحوث وإن كانت قصيرة محددة بإطارها منها بالتعليقات السياسية كما يطالعها الناس فليس أحب إلى فى التعليق السياسى من أن يكون فى ذاته بحثا يستند إلى حقائق التاريخ الماضية وسير الأحداث فى يومها فهذا أقرب إلى النهج الموضوعى منه إلى النهج الذاتى الذى يلون الحقائق بفهم الكاتب ومؤثراته النفسية

فالتعليق السياسى كما يجب أن يكون ليس إلا نوعا من التحليل التاريخى للأحداث والوقائع يستلهمها الحقيقة على هدى المنطق والعقل فإذا غلبت عليه الذاتية ضل مرماه وأخطأ قصده ، ثم أن التعليق السياسى و إن تناول بعض ما يدور حولنا من أحداث سيضبح فى غده جزءا من تاريخنا الذى مضى ، فإذا غبرت به الأعوام كان مرشداً لمن يطالع أحداث التاريخ كما عاشها أصحابها وصانعوها وتأثروا بها ، فإن عثر المؤرخ فى المستقبل على حقائق أخرى تطويها الأضابير والوثائق السرية ، فلا أقل وقد غدا يزن الأحداث بميزان تلك الحقائق الجديدة من أن يطالع صورة من ذلك الوهم الكبير الذى عاش فيه أجداده .

و إذا قلت الوهم فلأن لكل جيل ميزانه الذى يزن به أحداث عصره وقد يختلف ثقل الميزان فى جيل عنه فى الآخر فيكون تقدير الأحداث والحكم عليها متفاوتاً بين جيل والآخر إلا أن التاريخ وهو الحكم العدل لا يزن الأحداث بميزان جيلها وتقدير هذا الجيل لأحداث عصره فالتاريخ لا يعنى بالجزئيات إلا من حيث أنها تكون كلا عاما هو هذه القصة الإنسانية التى تخط البشرية سطورها منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا و إلى ما يشاء الله لها أن تنتهى .

فإذا دفعت بهذه المقالات أو البحوث أو التعليقات السياسية إلى المطبعة لتكون كتاباً يقرأه الناس كما يقرأه من تعنيه أحداث الشرق الأوسط وإذا عن لى أن أتابع هذه السلسلة عاما بعد الآخر فإن الفضل فى ذلك لا يعود إلىَّ

وحدى بل يجب أن يعود كله إلى هؤلاء الأصدقاء الذين عنوا بجمع هذه المقالات و إلى إلحاحهم الدائم فى أن يجمعها كتاب وأن أتبعه بكتاب دورى يتناول أحداث عامه فى الشرق الأوسط عاما بعد الآخر ، فإلى هؤلاء الأصدقاء أوجه شكرى وأخص بالشكر منهم الأستاذ محمود الكبير الذى قام بكتابة هذه المقالات على الآلة الكاتبة وكذلك الأستاذ على القاضى الذى قام بنشر هذا الكتاب و إخراجه للجمهور .

الدكتور

حسين فوزى النجار

المعادى ٩ مارس ١٩٥٧

الباب الأول

الحـــــرب

١ ــ الحرب الباردة

٢ ــ الحرب الذرية وأصول القتال

٣ ــ متى وأين تقع الحرب القادمة

٤ ــ متى وأين تقع الحرب القادمة

الحرب البـــاردة

ليس عدتها الحديد والنار ، وليست الأرض ميدانها ، ولا البحر أتونها ، ولا السماء مثوى أوارها ، ولـكن عدتها القلق والخوف ، وميدانها النفس الإنسـانية .

هى حرب تسبق الحرب الحقيقية ، حرب الحديد والنار ، أو تصحبها ، وتندلع باندلاع لهبها ، ولها من آثارها ما يجعلها لا تقل عن الحرب الحقيقية شأناً ، ولا تبتعد عنها منوالا ، فهى كالأمل يراود النفس فى ساعات الضيق فلا هو قريب الغاية فيبعث الراحة والهدوء إلى النفس المضناة ، ولا النفس بيائسة منه ، ولها من اليأس راحة من انتظار أمل طال مداه . أو هى كالمرض العضال يصيب البدن فلا الشفاء يعوده ، ولا الموت بعاد عليه وفيه إحدى الراحتين .

الحرب الباردة ، هى حرب القلق والخوف ، القلق لمستقبل لا تبين فيه بادرة طمأنينة والخوف من أن تنقلب الحرب الباردة حرباً حامية عدتها الحديد والنار ، ومرعاها القوى البشرية والمـادية .

وهى حرب سلاحها الوحيد إشاعة الترقب والاستعداد للحرب المنتظرة . . الحرب الحامية التى لا تبقى ولا تذر ، وفى إشاعة الترقب والاستعداد إرهاق للجهد الإنسانى ، و إتلاف للأعصاب ، وذلك ببذر الشائعات ، والتمهيد لها

(١) نشرت بصحيفة الكلية الحربية عدد سنة ١٩٤٩ .

فى أذهان الناس ونفوسهم ، فلا هى ببالغة مبلغ الحقيقة فتستسلم لها النفس ، ولا هى ظاهرة الادعاء ، فتستريح النفس إلى احتمال الشك فيها ، والشائعات على تلك الوتيرة تطلع صامتة ، لا تجد نفياً ولا تأييداً من أولى الأمر ، فيزداد القلق ويعظم الخوف ، فهى على الأعم من صنعهم ومن عمل رجال الدعاية فى حكوماتهم .

وقد تكون الحرب الباردة نتيجة عمل لا تسبقه الشائعات ، ولا تمهد له الدعاية ، بل يأتى فجأة ويبغت الناس ، ولكنه فى الغالب ينتهى دون نتيجة حاسمة سوى إشاعة القلق والخوف . وأقرب مثال لهذا تلك الحرب الباردة القائمة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية حول مشكلة برلين ، فإن الأمور تتحرج بين الطرفين حتى لتظن الحرب قائمة لا محالة . ويبلغ التوتر بين الفريقين مبلغاً أقل ما فيه التصدى والتحدى من طرف لأى عمل يأتيه الطرف الآخر ولكن هذا التحدى لا يبلغ أبداً حد إعلان الحرب وسفح الدم ، بل إن الحرص على عدم بلوغ هذا الحرج هو أمنية الفريقين . ومن أمثلة ذلك أيضاً ، تلك المظاهرات العسكرية البرية والبحرية التى يقوم بها كل من الطرفين لإبراز قوته ومدى استعداده ، ولو أنها فى الغالب مفتعلة لا تدل على حقيقة من استعداد ، أو سر من أسرار التسلح . ولقد كانت مظاهرة بعض قطع الأسطول الألمانى حول أغادير سنة ١٩١١ من هذا النوع فقد توقع العالم نشوب الحرب بين الفريقين وهى الحرب التى تأخرت بعد هذه المظاهرة البحرية ثلاث سنوات . وقد تأخذ هذه المظاهرة العسكرية مظهر التنفيذ ، وهى فى هذا تزيد روح الفزع والقلق فى الشعوب المترقبة للحرب ولكنها لا تنتهى بالحرب لنزول الطرف الثانى على مطالب الطرف الأول . فعند ما

أعلنت ألمانيا ضم منطقة السار وحشدت جيوشها ، ثم زحفت بها واحتلت المنطقة ، لم يكن هذا العمل غير مظاهرة عسكرية قامت بها ألمانيا لجس النبض ، فلما وجدت روح التسليم من الشعوب التى أجبرتها على قبول معاهدة فرساى ، وعلى رأسها فرنسا صحبت التظاهر بالتنفيذ ، ولم يسع فرنسا غير الرضوخ ولو قامت فرنسا متحدية هذا الاعتداء بروح جدية لكان أكبر الظن هو نكوص ألمانيا عن التنفيذ .

ثم كانت اعتداءات ألمانيا على النمسا وتشيكوسلوفاكيا فيما بعد ألواناً من الحرب الباردة للشعوب الأخرى التى تشتبك مصالحها بكلا الجانبين ، فوقف الناس فى كل مرة يرقبون اندلاع ألسنة الحرب ، ووقف الساسة فى الدول الأخرى موقف الحذر والتسليم . ولم تقم الحرب . وإن كان كل عمل من هذه الأعمال كفيلا بإشعال نارها وتجددها بين الفريقين اللذين تحاربا من قبل .

وأهم مظاهر الحرب الباردة كما بينت فى أول الأمر تلك الشائعات التى تنطلق من عقالها وتمهد للحرب الحامية ، فهى شائعات تنطلق لجس النبض أو لتهيئة الأذهان لمطلب من المطالب تريد دولة أن تحققه حيال دولة أخرى ، وتكون تلك الشائعات عادة عن استعدادات حربية ضخمة تقوم بها دولة من الدول أو عدة دول تتسابق إلى التسلح وحشد معدات الدمار والهلاك . ويفوق الإعلان عن هذه الاستعدادات كل ألوان الدعاية ويصحبها كثير من التهويل حتى يكون تأثيرها قوياً فى الرأى العام المعادى ، ومن ثم فى الروح المعنوية للشعب .

وأحسن أمثلة هذا النوع تلك الشائعات التى تطلقها الدول صاحبة القنبلة الذرية عن شدة فتكها ومدى ما بلغه التحسين فى قوة تدميرها ، حتى لقد خرجت الصحف فى بعض الأيام تقول أن هذه الدولة قد صنعت قنبلة ذرية فى حجم كرة القدم ، ومنها ما أحاطت به اليابان ظهور الطوربيد البشرى والهالة القوية ، التى اصطبغت بها الدعاية لهذا النوع من السلاح وفدائية الشعب اليابانى الذى يضحى بنوه بأرواحهم فى سبيل أوطانهم ، وفى سبيل الإمبراطور المقدس حتى أقدم من رفض تطوعهم على الانتحار بطريقتهم الشائعة المعروفة بالهاركيرى . ومن ألوان هذا التظاهر والتهويل والإعلان عن الاستعداد والتسليح ما كان يقوم به ديكتاتور ايطاليا موسولينى وهو يستعرض جنوده ثم يخطب فيهم وهو يعتلى قاعدة مدفع ضخم من مدافع الميدان البعيدة المدى وكذلك احتفال النازى السنوى بذكرى تأسيس الحزب . وعرض الفرق العسكرية للرايخ الثالث . ودعوة ممثلى الدول والأجانب لشهود هذه العروض نوع من الدعاية لقوة ألمانيا العسكرية . .

ولقد كان احتفال نورمبرج سنة ١٩٣٨ أقوى ألوان هذا النوع من الدعاية ، ففيه ظل هتلر يستعرض جنود الرايخ وهو رافع يده بالتحية النازية المشهورة مدى ثلاث ساعات . ذهب الناس بعدها يتحدثون عن قوة ألمانيا وما أحدثه هتلر من استعداد هائل للحرب القادمة ، ثم إذاعات النازى عن الأسلحة السرية والمخازن التى أعدت لحفظها ألوان من الشائعات التى تعد للحرب الباردة وتحطيم معنوية الأعداء والاستعانة بها على تنفيذ الأغراض السياسية وتحقيقها .

ومن الشعوب ما تكون ضحايا دائمة للحرب الباردة فتظل نهب القلق

والخوف ، وهى فى العادة شعوب صغيرة ألقتها المقادير إلى جوار شعوب قوية كبيرة ؛ وأوضح أمثلة هذا النوع فى الوقت الحاضر تركيا التى تعيش من خوف الدب الروسى فى فزع دائم وتنفق معظم ميزانيتها على التسليح واعداد الجيش وتستعدى الدول الأخرى ضد هذا الخطر الجاثم على الحدود ، ومنها ما يهمه أن تظل تلك البقعة سليمة من الغزو بعيدة عن تأثير الروس فتمد تركيا بالأسلحة والعتاد والقروض المالية حتى تظل حاجزاً قوياً أمام الخطر الروسى ولكن كل هذا الاستعداد وتلك المعونة لا تمنع وجود الحرب الباردة وانتظار أول بادرة من بوادر الحرب الحامية .

ومن أمثلة هذه الدول الصغيرة أيضاً تشيكوسلوفاكيا التى انتهى أمرها بالتهام ألمانيا لها بين يوم وليلة ، والنمسا بعد أن تقطعت أوصالها بمعاهدة فرساى ، فأصبحت مقاطعة صغيرة تحيط بمدينة فينا الجميلة ، مدينة الدانوب الخالدة التى سيطرت على السياسة الأوربية طوال القرون الثلاثة الأخيرة حتى الحرب العالمية الأولى ، فقد انتهى أمرها بدخول فيالق النازى ، وقلب نظام الحكم فيها ، وضمها إلى الرايخ الثالث بعد حرب مخيفة من الجهد والإرهاق العصبى سبقت ذلك بشهور وثمة أمثلة أخرى كثيرة .

وأشد ما تكون الحرب الباردة عند ما تتهيأ الدول للحرب الحقيقية وتخضع لنوبة من هستيريا الحقد والعداء والثأر . وتكون حرباً مرماها هدم القوى المعنوية فى الشعب وتحطيم أعصابه ، وهى فى هذه الحالة جزء من الحرب الحقيقية التى تخوض غمارها بعد ذلك .

ويخضع العالم فى وقتنا هذا لحرب مريرة من هذا النوع ، فرغم أن الحرب الأخيرة لم يمض عليها غير بضع سنين إلا أن القلق والخوف من الحرب القادمة يستحوذان على القوى والأذهان ، وتجهد الدول نفسها فى التسليح والاستعداد ، ولما تفق بعد من إضرار الحرب الماضية وتكاليفها .

أما متى تقوم الحرب الحقيقية فأمر ذلك رهين بساعاته وظروفه ، عندما يختل ميزان القوى الدولية ، ويشعر أحد المعسكرين بعظم تفوقه على الآخر .

الحرب الذرية وأصول القتال

شهد العالم فى نهاية الحرب الأخيرة مولد القنبلة الذرية ، وروع الناس بأنباء الدمار الذى أوقعته بالمدينتين الجميلتين هيروشيما ونجازاكى . . وقال العلماء أن مارداً شريراً قد تحرر من عقاله ، ولكن يمكن إذا أحسنا ترويضه أن يكون ملاك خير وبركة .

وما كادت الحرب تنتهى حتى رأينا المارد الشرير يكبر وينمو فيصبح أشد دماراً وأقسى فتكاً ، وأعظم هولا ، وتصبح القنبلة الذرية قزماً ضئيلا إلى جوار القنبلة الهيدروجينية حتى ليقول بعض العلماء أن ثلاثين منها تكفى لدمار العالم والقضاء على هذا الكوكب الذى نعيش فيه !

وبالرغم من كل هذا فما زال العالم سادراً فى غوايته ، وما زالت الكرة الأرضية تتأرجح على كف مجنون !

ولقد كان مولد القنبلة الذرية بداية تطور جديد فى فن الحرب ، فقد قضت على ما نعرفه من مبادىء استراتيجية وتكتيكية ، وإن ظل العسكريون يقنعون أنفسهم بخلود مبادىء الحرب التى ورثوها عمن قبلهم ، والتى استنفذوا سنى العمر فى دراستها وتحصيلها .

فمصير الحرب لم يعد يقرره انتصار جيش على آخر فى المعركة ، بل إن الجبهة الداخلية هى التى ستقرر مصير المعركة فى أية حرب قادمة . .

---

(١) نشرت بمجلة صوت الشرق عدد ٢٢ فى يوليه ١٩٥٤ بعنوان « كيف يكون القتال فى الحرب الذرية القادمة » .

فإن قنبلة أو بضع قنابل ذرية أو هيدروجينية تلقى على المدن المأهولة ومناطق الصناعة والإنتاج ، ستحطم مقاومة الشعب فتنهار الجبهة الداخلية التى تقرر سلامتها إلى حد بعيد مصير المعركة الدائرة بين الجيوش المتحاربة ، و بين العسكريين المحترفين ، ولقد كان انهيار الجبهة الداخلية فى المانيا فى أخريات الحرب الأولى هو الذى عجل بتسليم القوات الألمانية التى كانت تحارب وتقاوم فى ميادين القتال المختلفة ، وكان للدمار الذى أوقعته قنبلتا هيروشيما ونجازا كى أعظم الأثر فى تحطيم معنوية الشعب اليابانى . وتسليم القوات اليابانية فى مختلف الميادين ، وكانت لا تزال سليمة لم تخض بعد معركة جدية يمكن أن تقرر مصير الحرب فيما لو لم يلجأ الحلفاء إلى هذا السلاح الرهيب وتسلم اليابان دون قيد أو شرط وجيوشها سليمة تقاوم وتنتصر فى مختلف الميادين !

وهذا هو أول آثار التطور الجديد فى استراتيجية القتال وثمة أثر آخر هو أن القواعد ومناطق الحشد لا يمكن أن تكون ذات جدوى أمام هذا السلاح الرهيب ، ولهذا فإن قواعد الطيران هى التى تحل الآن محل القلاع القديمة وقواعد الحشد البرية الضخمة فقاعدة قناة السويس هدف جيد للضرب الذرى لاسيما وأن أول مبادىء الضرب الذرى الجيد هو أن يحقق من التدمير والقضاء على قوة العدو ما يفوق تكاليف القنبلة الذرية ، وإلا أصبحت النتيجة عكسية . . بمعنى أن خسائر العدو من التعرض للضرب بالقنابل الذرية تقل عما تكبده الدولة التى تلقيها من نفقات إنتاجها وصناعتها ، مما يؤثر على الإنتاج العام للدولة ويستنزف ماليتها ومواردها . فتكون النتيجة وبالاً عليها لا على العدو .

وبالرغم من المحاولات العديدة لتطهير المناطق المضروبة بالقنابل الذرية من إشعاعاتها القاتلة ، إلا أن العلماء لم يصلوا بعد إلى نتيجة مرضية ولا شك فى أن هذا سيعوق تقدم الجيوش التى تقوم بالدور الأخير لاحتلال الأراضى والسيطرة الفعلية على العدو ، ثم إن الجيوش المتقدمة كثيراً ما تعتمد على التموين من الأراضى المحتلة ، وتعرض مناطق الإنتاج والزراعة للاشعاعات الذرية سيحرم المحتل من استخدامها والإفادة منها ، ولهذا يرى المعقبون العسكريون أن أقل المناطق تعرضاً للضرب الذرى هى الأراضى الزراعية ومصادر الثروة المعدنية ، ولن تكون مناطق إنتاج البترول لهذا السبب من بين الأهداف الذرية إلا إذا جدت عوامل تقضى بتدميره ، فبترول الشرق الأوسط مثلا لا تهم سلامته روسيا فهى غنية عنه ولكنه يهم الغرب لاعتماده الكلى عليه ، وقد يهم روسيا أن تحرم الغرب منه .

ولا بد للجيوش فى الحرب الذرية من أن تزيد من سرعة المناورة وخفة الحركة فالحرب الثابتة مع وجود حشود كبيرة من المحاربين والعتاد ستجعل من الجيوش هدفاً طيباً للضرب الذرى ، ولذلك فإن القوات الخفيفة الحركة التى تملك حرية المناورة فى الأراضى التى تسيطر عليها ستكون هى القوى الحقيقية فى الحرب الذرية القادمة ، وسيزداد الاعتماد على الآلة وتقل الحاجة إلى القوى البشرية الساحقة التى تقدم طعما للرشاشات فى عمليات الهجوم والاختراق وتعظم الحاجة إلى الجندى المدرب ، وقد يعود ذلك بنا إلى عصر الجنود المحترفين الذين يكرسون حياتهم للحرب والقتال فإن الجندى المتطوع والمجند لفترة قصيرة لن يستطيع أن يجارى التطور السريع فى آلة الحرب

ولن تـكون الحاجة ماسة إليه إلا فى الصفوف الخلفية وفى الشئون الإدارية للحرب ، وستتقابل فى جبهات القتال آلاف المدرعات التى يحركها عدد قليل من الجنود المدربين ولن تشهد الحرب القادمة تلك الجبهات التى تمتد آلاف الأميال وتحشد فيها القوات حشداً تجاه بعضها البعض بل ستتداخل هذه الجبهات بعضها فى بعض وستقوم قوات المظلات بالدور الأول فى القضاء على الجبهات المتراصة فإنها ستعمل عادة فى مؤخرة العدو وعلى خطوط مواصلاته وسنرى جيوشاً متقدمة تعمل فى أرض العدو بينما تهاجم مؤخرتها قوات المظلات فيكون هـذا أول عامل فى تداخل الجبهات بعضها فى بعض ، ثم أن استخدام الأسلحة الذرية سيحدث فراغاً لا يمكن ملؤها فى جبهة العدو ولا يمكن للقوات المهاجمة أن تخترقه إلا بعـد التأكد من خلوه من الإشعاعات القاتلة .

ولعل أعظم ما ننتظره من تطور فى الحرب القادمة هو الدور الذى سيقوم به الطيران فما زال الطيران هو السلاح الوحيد الذى يشن الحروب الذرية دون أن يتعرض لويلاتها ودمارها . فالطائرات ستلقى حمولتها وفق الهدف المحدد لها وتعود إلى قواعدها سليمة ان لم تسقطها طائرات القتال أو المدفعية المضادة ، وسيحمل الطيران عبء التراشق بالقنابل الذرية بعيداً عن التعرض الحقيق لآثارها ، وأغلب الظن أن من يكسب معركة الطيران هذه سيكسب الحرب ، و بقدر ما تتحمل الدولة و يلات الضرب الذرى و تصمد لدماره بقدر ما يكون صمودها أطول فى الحرب القادمة . ولهذا فإن المدن الآهلة الـكثيفة السكان ستكون عاملا من عوامل الضعف فى الدولة المحاربة ، وقد بدا هـذا

واضحاً بعد التجربة الهيدروجينية الأخيرة فى موقف سكان نيويورك ولندن وهما أكثر مدن العالم اكتظاظاً بالسكان ، عند ما احتجوا على المضى فى التجارب الهيدروجينية وطالبوا الحكومات بتهيئة سائل الأمن ضد الغزو الذرى.

ولكن أخطر ما ننتظره من الحرب القادمة هو أنها ستكون حرب دمار شامل لكلا المتحاربين ، ولا يمكن للعالم أن يتخيل صورة بشعة للحرب كما يتخيلها فى الحرب الذرية القادمة ، فلن ينجو من شرها رضيع أوشيخ أوشاب ولن تخلو من دمارها بقعة ما على ظهر البسيطة ولن تترك ظلا للحياة فى أى مكان تقربه أو تدنو منه وستتحول الكرة الأرضية إلى شعلة من النار والدمار ، وقد تكون فيها نهاية الحياة على هذا الكوكب .

لقد شهدت البشرية خلال جيل واحد حربين عظيمتين ، انتهت الأولى فى الخنادق التى امتدت على طول جبهة القتال ، وانتهب الثانية فى صدام المدرعات وغارات الطائرات ، وختمت أهوالها بقنبلتين ذريتين ألقيتا على مدينتين آمنتين فدمرتهما تدميراً ، أما الحرب القادمة التى يمكن أن يشهدها هذا الجيل التعس فإنها لن تكون حرب خنادق ، ولن تكون صداماً بين المدرعات ، بل ستكون تراشقاً بالقنابل الذرية والهيدروجينية التى تحملها الطائرات إلى مسافات بعيدة ، عبر المحيطات والأراضى الشاسعة ، لتلقى على الآمنين فتحمل الشعوب على التسليم أو الفناء .

١ – متى وأين تقع الحرب العالمية الثالثة

سؤال يراود الكثيرين ، وجهه إلى كثير من تلاميذى الضباط ومن الجامعيين خلال محاضراتى التى ألقيها عليهم فى السياسة والاستراتيجية وألقى على فى كثير من المناقشات الخاصة والعامة ، وسمعت من يسأل عنه فى صوت العرب بالإذاعة المصرية فحدانى كل هذا إلى تناول هذا الموضوع وعرضه على القراء .

وهو سؤال إن صح فيه الاستقراء لمنطق التاريخ والحوادث وتقلبات السياسة العالمية وأحوالها السائدة ، فلا يجوز فيه التخمين ولا يصح فيه استقراء الحوادث على علاتها دون أن نرجع إلى التاريخ القريب ورواية الأسباب المباشرة للحربين الماضيتين وأسبابهما البعيدة .

فالأسباب البعيدة للحرب الأولى كانت تدور حول عاملين رئيسيين : التطاحن الاستعمارى خارج القارة الأوربية والكفاح القومى فى داخلها فعندما دنا القرن التاسع عشر من نهايته ، كانت هناك دول كبرى قد نشأت حديثا بعد أن حققت وحدتها وقوميتها وبرزت فى مجال الصناعة ، وأصبحت ذات صوت مسموع فى ميدان السياسة . ولكن فاتها ميدان السبق الاستعمارى ولم يعد أمامها إلا أن تحمل الدول الأوربية المستعمرة على التسليم لها بنشاطها الاستعمارى أو تقتسم معها المستعمرات التى تملكها ، فلم

(١) نشرت بمجلة صوت الشرق عدد ٢٢ فى أغسطس ١٩٥٤ .

يكن أمامها مجال للتوسع الاستعمارى الا على حساب هذه الدول الاستعمارية الكبرى والصغرى على السواء .

وفى أبان هذه المشكلة الاستعمارية التى خلقها التوسع الصناعى والبحث عن الأسواق ومناطق الهجرة للأعداد الغفيرة الزائدة عن حاجة الوطن ، كانت هناك مشكلة القوميات الناشئة فى البلقان وفى شرق أوربا . فالدولة العثمانية تبسط سلطانها على الدول العربية ومعظم الدول البلقانية ولم ينته هذا الكفاح القومى بين الدول البلقانية وتركيا إلا قبيل الحرب العالمية الأولى مباشرة واستمر بينهم وبين العرب إلى ما بعد الحرب ، كما كانت امبراطورية آل هبسبرج تسيطر على مساحات واسعة فى شرق أوربا تضم عددا من الشعوب والقوميات المتحفزة لتحقيق كيانها الذاتى .

وتوقع الساسة أن تقع الحرب الأولى بسبب هذه القوميات الناشئة فإن ألمانيا التى ذهبت تنشد مجالها الحيوى فى الشرق لم تجد طريقا إليه عبر القارة إلا أن تحالف آل هبسبرج وآل عثمان ليفسحالها طريق الوصول إلى الشرق ، وبذلك أصبحت القوميات الناشئة فى البلقان وفى أوربا الشرقية وهى تنشد عون الدول الغربية وآمن الناس بأن الطريق الذى تسلكه ألمانيا سينتهى بإشعال الحرب فى أوربا ، وأن الحرب ستنشب فى مكان يحدث فيه الاحتكاك المباشر بين المتصارعين ، وكان البلقان هو مركز ذلك الاحتكاك المباشر بين الدول الغربية و بين دول الوسط فما أن اغتيل ولى عهد النمسا فى « سيراجيفو » حتى كانت الشرارة التى فجرت مستودع البارود .

هكذا قامت الحرب الأولى بعد أن تحاشاها الساسة طويلا وعاش العالم

فى الفترة التى سبقتها وهو يتأهب لها حتى عرفت تلك الفترة بفترة السلم المسلح . ولم تكن معاهدات الصلح التى أبرمها الحلفاء مع دول الوسط المغلوبة الا هدنة مؤقتة فسرعان ما استعادت ألمانيا قوتها حتى برزت المشكلة الاستعمارية من جديد وأخذ هتلر ينادى بحق ألمانيا فى مجالها الحيوى وكانت عبارة المجال الحيوى تعبيراً جديداً عن الأطماع الاستعمارية والتوسع الإقليمى والتجارى . وجد عامل جديد هو الصراع المذهبى الذى حل محل مشكلة القوميات التى انتهت بانتصار الشعوب الصغيرة وتحقيق كيانها الذاتى وان خلفت وراءها مشكلة أخرى للأقليات التى كانت عقدة العقد فى تقسيم أوربا الجديد وفى اقامة الحدود بين الدول القومية الناشئة .

وشهد العالم قبيل الحرب الثانية دول المحور ودول الحلفاء فقد رجعت أوربا إلى انقسامها وتحزبها واستعدادها للحرب وعرف العالم أن الحرب ستدور بين هذين الفريقين ، وانتظر الناس فى قلق بالغ ذلك الوقت الذى تندلع فيه شرارة الحرب وأخذوا يخمنون المكان الذى تبدأ منه .

أما الوقت فكان رهنا بوقوع السبب المباشر فالأسباب البعيدة قائمة باقية وأما المكان فمن المسلم به بين رجال السياسة والاستراتيجية أنه المكان الذى تزيد فيه عوامل الاحتكاك بين المتخاصمين عنه فى مكان آخر وقد وقع الاحتكاك عند اجتياح هتلر للنمسا وعند اجتياحه لتشيكوسلوفاكيا بعد ضم السوديت ولكن الحرب لم تقع فقد كانت الدول الغربية تتوقع أن يتوكد السلام العالمى بعد معاهدة فرساى ، ولم تكن تنتظر أن يثور بركان الحرب هكذا سريعا ، ولم تكن قد استعدت لها بعد فابتلعت اجتياح هتلر للنمسا واجتياحه

لتشيكوسلوفاكيا كما ابتلعت من قبل عدوان موسولينى على الحبشة ولكنها استيقظت أخيراً على الموقف الرهيب الذى ينتظرها فأخذت تعد نفسها لصد هذا الخطر الذى يتهددها وكان هتلر بدوره يريد استعادة الممر البولندى وميناء دانزج الذى فرضته معاهدة فرساى ميناء حراً لصالح بولندا . وتطلع العالم إلى دانزج وأدرك أنها المكان الذى ستندلع منه الشرارة الأولى للحرب .

وقامت الحرب العالمية الثانية بسبب دانزج والممر البولندى وهزمت ألمانيا وخرجت مغلوبة كما غلبت من قبل فى الحرب الأولى .

وكانت الحرب الثانية فى صالح روسيا فتوسعت وابتلعت دولا بأكملها وأصبحت خطراً حقيقياً يهدد العالم الرأسمالى فساء ما بينها وبينه ولما تنته الحرب التى جمعت بينهما ضد العدو المشترك وأصبح الصراع القائم صراعاً يدور بين عقيدتين سياسيتين ومذهبين اقتصاديين للسيطرة على العالم .

وتساءل الناس متى تقوم الحرب الثالثة وأين تقع ؟

أما متى تقوم فهذا رهن بتطور النزاع بين الكتلتين المتنازعتين ووقوع السبب المباشر ولكن هذا يتوقف تماماً على استعداد الفريقين وإيمان كل منهما بتفوقه على الآخر ، وكل يسعى الآن لإحراز التفوق ، وقد بدا من أمريكا وقت أن ظنت أنها تملك وحدها القنبلة الذرية رغبتها فى القضاء على روسيا سريعاً ولكن وصول الروس إلى صناعة القنبلة الذرية حال بين أمريكا وبين المغامرة فى حرب لا تدرك مداها ولا تعرف فيها قوة خصمها . ثم خرجت الصين من دائرة الغرب فاختل ميزان القوى بين الكتلتين ، وجاءت الحرب الكورية تجربة أخرى فلم تعد أمريكا تفكر فى شن حرب

على روسيا قبل أن تستعد لها تماماً ، سواء بالتسليح وضمان السبق فيه أو بضم الحلفاء ومناطق النفوذ إلى دائرتها وحين تدرك أمريكا أنها واثقة من استعدادها ومن حليفاتها فلن تتوانى عن إشعال الحرب ، أما متى يكون ذلك فإنه يتوقف على إتمام أمريكا لهدفيها هذين . ومن ناحية روسيا فإنها لا تؤمن بالاشتباك فى حرب مع الغرب إلا إذا دفعت إليها دفعًا ولكنها تسلك سبيلا آخر للسيطرة على العالم ، سبيلا يجنبها مجال الاحتكاك المسلح مع الغرب وهذا السبيل الذى تسلكه هو نشر الشيوعية والدعوة لها والعمل على تحطيم القوميات والسعى لتكوين جبهات قوية فى داخل الدول الرأسمالية تكون فى صفها ، ويمكن أن تقوى على مر الأيام لتقوم بقلب نظام الحكم أو السيطرة عليه بالطريق الطبيعى . طريق الانتخابات والمجالس النيابية ، وهذا هو المحور الذى تدور حوله استراتيجية السياسة الروسية .

وعلى هدى هذه الاستراتيجية الروسية نستطيع أن ندرك أين تقع الحرب القادمة فالمعروف كما قلنا أن الحرب تقع فى مواطن الاحتكاك العنيف ولا يكون هذا الاحتكاك إلا عندما توجد قوتان مواجهتان إحداهما للأخرى فى مكان واحد سواء كان هذا الاحتكاك سياسياً أو عسكرياً ومجال الاحتكاك بين الكتلتين قائم فى أمكنة كثيرة ولكنه لم يبلغ بعد حد الاحتكاك العنيف ، فكوريا والهند الصينية وإيران وتركيا والبلقان كلها مواطن للاحتكاك بين المتنازعين ، ولكن الاحتكاك لم يبلغ بعد المدى الذى يحمل أمريكا على إشعال الحرب الثالثة . وتدرك روسيا هذا تماماً فتتجنب المواطن الحساسة وتتجنب الاحتكاك المباشر . ولكن قد تقع الواقعة عندما تهاجم الصين الوطنية ، من فورموزا

الصين الشيوعية . أوعند ما يستولى الكوريون الشماليون على كوريا الجنوبية ، أوعند مايتوغل النفوذ الروسى فى إيران فيهدد مصالح الغرب فى الشرق الأوسط ، وكلها مناطق حساسة للاحتكاك بين الفريقين .

فالحرب الثالثة لن تقع إلا فى هذه المناطق الحساسة . وقد تبدأ فى الشرق الأوسط أوفى الشرق الأقصى أوفى البلقان ، ولكنها عند ماتقع فستبدأ فى كل الميادين فى آن واحد .

٢ – متى وأين تقع الحرب العالمية الثالثة

تقع الحرب فى مناطق الاحتكاك المباشر بين الخصوم . ومهما تعددت العوامل التى تمهد لها فستنتهى دائماً بالسبب المباشر الذى يؤدى إلى انفجارها .

وتقع مناطق الاحتكاك المباشر بين كتلتى الشيوعية والرأسمالية فى مراكز عديدة تمتد على طول خط الحدود الذى يحوى دول الكتلة الشيوعية وراءه حيث تطل عليها قواعد للحشود الغربيــة أو دول حاجزة يهدد كل من ينفذ إليها أو يسيطر عليها من الفريقين الفريق الآخر تهديداً خطيراً كايران وتركيا مثلا ، أو تشرف على حيز من جيوز القوى الكبرى يهدد أمنه الاستراتيجى ويضع القواعد والحشود تحت التهديد المباشر من العدو ككوريا بالنسبة لسيبيريا وشرق أوربا بالنسبة لأوربا الغربية أو مناطق تقوم فيها أحلاف عسكرية مضادة ومعدة للغزو والهجوم كحلف الأطلنطى وحلف البلقان .

وستبدأ الحرب من أحد هذه المناطق الحساسة للنزاع والتنافس والاحتكاك بين الكتلتين .

وقد تكون إيران موطن هذا الاحتكاك المباشر أو المركز الحساس لكل من الفريقين حيث تقف حاجزاً أمام الغزو الروسى للبحار الدافئة والمناطق الموسمية الغنية ومنابع البترول وقد تكون تركيا أو البلقان مركز الحساسية والاحتكاك المباشر حيث تقع خطوط الغزو الروسى للبحر الأبيض المتوسط وأفريقيا الشمالية.

مجلة الفصول عدد أكتوبر ١٩٥٤ بعنوان « إن قامت الحرب الثالثة فستبدأ من الصين » .

ولكن عوامل الاحتكاك المباشر لا توجد فى البلقان أو فى إيران كما توجد فى كوريا والصين وألمانيا إلا أن تبدأ روسيا بالهجوم فلا تجد أمامها إلا أن تقتحم أقرب الطرق للأهداف المباشرة للسيطرة على العالم القديم والقضاء على قوة العدو ، وتحطيم قواعده وحشوده والاستيلاء على مناطق العمق الاستراتيجى لقواته بالتقدم المباشر نحو الغرض المحتمل وهو الوصول إلى وسط وجنوب أفريقيا باختراق الخليج الفارسى والالتفاف حول السواحل الجنوبية للجزيرة العربية فى الوقت الذى تقوم فيه بعمليات « تعطيلية » فى البحر المتوسط وشمال أفريقيا ، لحجز الإمدادات الغربية إلى دكار والدار البيضاء أو إلى قواعد الحشد فى أسبانيا والجزر البريطانية . أما السيطرة على استراليا ونيوزيلندا فستتم بالسيطرة على الجزر العديدة التى تقع فى طريقهما عبر المحيط . بينما تضطلع قوات أخرى بالاستيلاء على الفيلبين لحجز الإمدادات الأمريكية إلى الشرق الأقصى .

ولكن روسيا لا تقيم استراتيجيتها على الهجوم وشن الحرب فهى تلجأ إلى التوسع الانبعاجى فى المناطق المجاورة بطريق غير مباشر وذلك بتأييد الأحزاب الشيوعية التى تدبر حرباً أهلية متى آنست فى نفسها القوة للسيطرة على زمام الدولة بانقلاب مفاجىء أو الوصول إلى الحكم عن طريق الانتخابات . وهى لا تبذل معونتها ولا تبدى نشاطها إلا فى المناطق المتاخمة كما فعلت فى الصين ونجحت فيه أو فى الهند الصينية وكوريا ونالت بعض النجاح . أو فى إيران ولم تحقق نجاحاً يذكر فى محاولتيها اللتين قامت بهما بعد الحربين الأولى والثانية .

وقد أيد فشل الانقلاب الشيوعى فى أسبانيا وهزيمة الشيوعيين فى الحرب الأسبانية الأهلية ، النظرية الروسية القائلة « بالتوسع الانبعاجى » فى المناطق المتاخمة وعدم التوسع فيما وراء الحدود الرأسمالية إلا أن يكون مقصوراً على الدعاية ونشر العقيدة وتأييد الأحزاب الشيوعية تأييداً غير ملموس .

وتفيد روسيا من تطبيق هذه النظرية فائدة برهنت الانتصارات الشيوعية فى أوروبا الشرقية والصين على سلامتها وأمنها .

وهى لذلك لا تحب أن تبدأ بحرب بل وتتخذ من حملة السلام التى تقوم بها وتدعو لها سبيلا لمقاومة كل نزعة للحرب قد تعصف بها قبل أن تكمل استعدادها لمواجهة الغرب والتغلب عليه .

وتدرك الكتلة الغربية ذلك تماما وتعرف مدى ما تفيده روسيا من سلام يطول ويمتد ويتيح لها نشر عقيدتها وتنظيم اتباعها فيما وراء العالم الرأسمالى واستكمال عدتها الحربية الهائلة التى تقف عليها كل مواردها وإمكانياتها وتصون سرها من جواسيس الغرب وعيونه المتطلعة .

وتعلم أمريكا هذا أكثر مما يعلمه غيرها فتتعجل القضاء على خصمها قبل أن يقوى ويكمل استعداده وتعبىء الشعب للحرب وتكتل الأحلاف وتجمع الأنصار ولا يحول دون شنها الحرب إلا قلة إيمانها بتأييد حلفائها الغربيين فبريطانيا لا تتعجل الحرب ما لم تتعرض مصالحها الإمبراطورية للخطر وترى فى السلام ما يمكنها من إعادة بناء قوتها التى حطمتها الحرب الأخيرة ، وفرنسا تنوشها المنازعات الداخلية وتعارض فكرة الجيش الأوروبى وتسليح ألمانيا الغربية ، وألمانيا نفسها ترمم ما خربت الحرب من كيانها العام وتتطلع

إلى تحقيق وحدتها القومية ، وألمانيا الموتورة من الكتلتين لن تحارب إلا لنفسها وفى سبيل إعادة بنائها على حساب الطرفين معاً .

ثم أن أمريكا غير واثقة من قوتها تماماً للقضاء على روسيا وقد آنست هذه القوة فى نفسها يوم ظنت أنها تنفرد بسر القنبلة الذرية ولكن تفجير روسيا لقنبلتها جعلها تحجم وتعتقد أنها تواجه خصما يطوى نفسه على سر رهيب ، قد يكون فيه الدمار لقوتها ومدنها الزاهية الجميلة المكتظة بالسكان .

ولذلك فإنها قد تحجم عن مواجهة روسيا مباشرة — وهذا ما نراه — وتكتفى بشن هجوم غير مباشر على الكتلة الشيوعية بتأليب دول الستار الحديدى على روسيا والقضاء على تماسكها وتحالف أتباعها الوثيق ولم تنجح فى هذا حتى الآن إلا مرة واحدة عند ما قامت ألمانيا الشرقية فى مظاهرات عدائية ضد الروس أخمدوها فى شدة وقسوة[١] .

وتقوم الاستراتيجية الأمريكية على احتواء الكتلة الشيوعية داخل جدار من المحالفات والقواعد العسكرية التى تطل على حدودها وتهددها تهديداً مباشراً واتخاذ أراضى الدول المتحالفة وقواتها العسكرية ومواردها العديدة عوناً لها فى الحرب ضد روسيا .

وهى تعمل لحصر الحرب فى العالم القديم حتى لا تتعرض أراضيها ومدنها وصناعاتها للخراب والتدمير الا أن يكون بالهجوم الجوى الذى تستعد لمواجهته بإقامة محطات الرادار وقواعد المقاتلات خارج نطاق القارة فى الجزر العديدة التى تقع فى المحيطين الباسفيكى والأطلنطى .

وترى أمريكا أن التعجيل فى القضاء على الاتحاد السوفيتى والكتلة

---

(١) حدثت بعد ذلك ثورة العمال فى بوزنان ببولندا فى يونية عام ١٩٥٦ وأخمدت بدورها كما قامت ثورة فى المجر فى أكتوبر ١٩٥٦ وما زالت قائمة حتى طبع هذه الملزمة .

الشيوعية يحقق النصر لها ويحول دون روسيا واستكمال عدتها الحربية الكاملة لمواجهة خصومها ويقضى على المذهب الشيوعى إلى الأبد فتنجو الرأسمالية من أعظم خطر يتهددها .

ولكن أمريكا لا تحب أن تبدأ بالهجوم وإن تلمست أسبابه . وتدرك روسيا هذا تماماً فتتحاشى مناطق الاحتكاك المباشر ومواقف الشدة والتعنت مما يؤدى إلى خلق السبب المباشر لقيام الحرب ولا تشتد روسيا أو تتعنت الا فى حدود الحق الذى يكفله لها ميثاق الأمم المتحدة الذى تتمسك به وتطبقه تطبيقاً حازماً فى غير مواربة أو مجاملة . ونراها تتجنب تأييد حلفائها وأتباعها تأييداً مباشراً كما حدث فى كوريا والصين والهند الصينية . وقد أفادت من دروس الحرب الأسبانية الأهلية فى تطبيق خطتها هذه والسير على هداها .

ولا تجد أمريكا إزاء هذا الحرص الشديد من روسيا سببا لإعلان الحرب ضدها فضلا عن أن حلفاءها يرون تطبيق ميثاق الأمم المتحدة تطبيقاً حرفياً ولا يشايعونها فى نظرية المبادأة بالهجوم ويرون أن اتخاذ موقف الدفاع أسلم لكيان الكتلة الرأسمالية من شن حرب لاترجى مغبتها .

وليس هناك غير منفذ واحد لأمريكا لتشن حرباً على الكتلة الشيوعية دون أن تنتهك ميثاق الأمم المتحدة أو تتهم بالعدوان ، هذا المنفذ هو شن هجوم على الصين الشيوعية ومازالت أمريكا ترى أن حكومة ماوتسى تونج لاتستند على أساس شرعى فلا تعترف بها . وقد أثار موقفها هذا عجب الكثيرين وتحاملت عليها حليفتها بريطانيا التى تعرف أكثر من غيرها نواياها الحقيقية وترى أنها ستؤدى بتفكيرها هذا إلى إشعال الحرب العالمية الثالثة

وهى تعمل على تجنبها جهد الطاقة أو تأجيلها ما استطاعت فتخرج على رأى حليفتها فى عدم الاعتراف بالصين الشيوعية .

ولكن أمريكا تعلم أن اعترافها بالصين الشيوعية سيقفل أمامها المنفذ المباشر لشن حرب على الشيوعية أمام حرص روسيا عل تجنب الاحتكاك أو تهيئة السبب المباشر للحرب .

واليوم تلوح الصين الشيوعية بالهجوم على فرموزا . ولما كانت أمريكا تريد أن تعجل بالقضاء على الشيوعية فقد تحرض الصين الوطنية فى فرموزا على غزو الصين الشيوعية على أن تمد حكومة فرموزا بالعتاد والرجال وتؤلب دول العالم الرأسمالى لنصرتها وتأييدها .

ويوم يحدث هذا فهى الحرب العالمية الثالثة ، فسيقوم الشيوعيون فى الهند الصينية بالهجوم على المراكز الفرنسية وتبدأ كوريا الشمالية باجتياح كوريا الجنوبية لتخفيف الضغط على الصين .

وقد تبقى الحرب فى الصين فلا تمتد إلى غيرها ولكن روسيا لن تفوت فرصة القضاء على خصمها المجهد المنهوك القوى ، فتعمل على اجتياحه فى أوروبا الغربية وفى الشرق الأوسط أو تقوم القوات الغربية بمهاجمة أوروبا الشرقية لتخفيف الضغط على الصين الوطنية وتعطيل إمداد روسيا لميدان الشرق الأقصى . يومذاك ستصبح الحرب عالمية شاملة وتمر الإنسانية فى تجربتها الجديد التى قد تقضى عليها إلى الأبد ! !

أما متى يبدأ ذلك فسيكون عندما تتأكد أمريكا من تفوقها العسكرى وتفرغ من سد الفجوات فى خط الدفاع وتضم إلى صفها كل دول العالم الرأسمالى فى محالفات عسكرية قوية .

الباب الثانى

فى سبيل السلام

١ ـــ التضامن الدولى والسلام العام

٢ ـــ الصراع العالمى وتطور فكرة الأمن الجماعى

٣ ـــ الحياد طريق السلام

٤ ـــ المنطقة الثالثة

٥ ـــ مؤتمر باندونج

التضامن الدولى والسلام العام

لم تكن المبادىء والأفكار العامة التى قامت عليها الأمم المتحدة إلا نتاجا رائعاً لجهود إنسانية جليلة فى سبيل التضامن الدولى والسلام العام بعد ما عصفت الحروب بسعادة البشرية وأوردتها موارد الهلاك والدمار . وليست الحروب إلا صراعاً دامياً تدفعه الأثرة ويقوده الطمع وتحدوه الرغبة فى التفوق وإذلال المغلوب واستعباد الضعفاء . والحروب وإن كانت إحدى غرائز البشر إلا أنها شر ماجبلت عليه النفس الإنسانية من طبائع إذ تقوم على القتل والتدمير . وهى بهذا تخالف كل الشرائع السماوية . ولا تتفق والقوانين الوضعية التى ارتضاها الإنسان لخيره ولاقرار السلام فى مجتمعه .

وقد كان للتقدم الآلى الرائع ولاسيما فى وسائل المواصلات وتداول الأفكار والثقافات فى العالم وتشابك المصالح العالمية ولا سيما فى الناحية الاقتصادية ما جعل الحاجة ماسة لتنظيم التضامن الدولى لخير الإنسانية وسعادتها ، وإلا كانت الحروب وسيلة من يعجزه التعاون والتضامن ويدفعه الشر والأثرة ليحقق مطامعه على حساب الآخرين . ولم تعد الحرب كما كانت قديماً ويلا للمغلوب بل أصبحت شراً على الغالب والمغلوب معاً . يصطلى الطرفان لظاها ويكتويان بسعيرها . ولم تكن الأمم التى خرجت ظافرة من الحربين العالميتين الأخيرتين بأسعد حالا وأكثر رخاء من الأمم التى خسرت المعركة وذاقت مرارة الهزيمة .

وليست الأمم فى حاجة إلى توطيد التعاون والتضامن فيما بينها كحاجتها اليوم وإن كانت قد مستها الحاجة إلى هذه الغاية منذ بداية القرن التاسع عشر

بعد ما أخذت المصالح الدولية تتشابك وتتصارع فتستعر نيران الحروب الشاملة فيما بينها وتقضى على رفاهية العالم وخيره وقد أصبحت فى القرن العشرين أبعد انتشاراً وأوسع شمولاً مما كانت عليه من قبل وتبدى النذر أن الحرب القادمة ستكون أوسع شمولاً وأشد فتكاً وتدميراً وستصلى الإنسانية سعيرها كما لم تصلها من قبل . وعلى قدر ما تهدد الحرب القادمة سعادة الإنسانية جمعاء بقدر ما تجاهد الأمم كلها لتحقيق أسس واضحة للتعاون والخير وتحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد والشعوب

وليس التضامن الدولى لمنع الحروب وتوطيد السلام العام هو غاية الأمم المتحدة فحسب بل أن التضامن الدولى هو وسيلة الأمم المتحدة أيضاً لاقرار حقوق الإنسان وتحقيق العدالة والتسامح ورفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للشعوب كما جاء فى مقدمة الميثاق الذى أقرته الأمم المتحدة وهى « نحن شعوب الأمم المتحدة . قد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال القادمة من ويلات الحرب التى جلبت على الإنسانية مرتين فى مدى جيل واحد أحزاناً يعجز عنها الوصف . وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وكرامته وقدره والمساواة فى الحقوق بين الرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها على السواء وأن نبين الأحوال التى يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى . وأن ننشد رقياً اجتماعياً ومستوى للحياة أرفع فى جو من الحرية أفسح وفى سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معاً فى سلام وحسن جوار . وأن نضم قوانا كى نحتفظ بالسلم والأمن الدولى وأن نكفل بقبولنا مبادىء معينة

الا تستخدم القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة وأن تستخدم الأداة الدولية فى ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعاً » .

وهذه الأهداف الرئيسية للأمم المتحدة هى جماع الحريات الأربع التى بعث بها الرئيس روزفلت إلى الكونجرس الأمريكى فى السادس من يناير سنة ١٩٤١ وهى « حرية القول والتعبير وحرية العبادة والتحرر من العوز والتحرر من الخوف وذلك فى كل مكان فى العالم » وليس التحرر من العوز كما يعنيه الرئيس روزفلت إلا تحقيق المستوى الاقتصادى الذى يكفل لكل شعب حياة صحية رغدة من السلام والطمأنينة لكل فرد من أفراده ، وأما التحرر من الخوف فمعناه الحد من رغبة الشعوب فى التسلح إلى حد لا يستطيع معه أى شعب أن يهدد شعباً آخر بالعدوان والإعتداء فى أى بقعة من بقاع العالم .

فالمبادىء التى تقوم عليها الأمم المتحدة والأهداف التى تسعى لتحقيقها هى خير ما يمكن أن تهدف إليه الإنسانية من وراء تضامنها وتماسكها واتحادها لخير الشعوب والأفراد . وتحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمساواة فيما بينها على السواء .

وقد ظلت الأمم تسعى جاهدة نحو هذه الغاية طوال القرن التاسع عشر بل وفيما سبق ذلك من قرون ولكنها لمست أوفر سعى لها فى هذا القرن من الزمن الذى تشابكت فيه المصالح وتضاربت الأهداف الدولية . والذى شهد من ألوان الصراع السياسى والحربى ما جعل الناس يعيشون فى جو من الفزع والخوف من وقوع الحرب حتى إذا وقعت اصطلوا آلامها وذاقوا مرارتها وعذابها .

ولم تكن الأمم المتحدة إلا نتيجة طبيعية لتطور فكرة التضامن الدولى بين الشعوب خلال الأزمنة السابقة .

وكانت الحروب التى اصطلت بها أوروبا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر هى التى أوحت إلى بعض المفكرين والمحبين للسلام من رجال السياسة والمشرعين فكرة التضامن الدولى للقضاء على الحروب ودعم السلام العام لتخليص الإنسانية من ويلاتها وشرورها وكان مشروع « الدوق دى سلى » وزير هنرى الرابع ملك فرنسا فى النصف الأول من القرن السابع عشر أول محاولة من نوعها لإنشاء جمعية دولية تضم الدول الأوربية وتتولى حسم المنازعات الدولية وتأمين العالم من ويلات الحروب وعرفت هذه المحاولة باسم « المشروع الأعظم » ولكن موت هنرى الرابع طوى هذا المشروع وحال دون إخراجه إلى حيز التنفيذ .

وكان للأحزان والآلام التى عانتها أوربا فى حرب الثلاثين عاما ما حملت المشرع الهولندى « جروتيوس » مؤسس القانون الدولى الحديث على المناداة بالتحكيم . وتنظيم العلاقات الدولية بوساطة القانون .

وعلى هدى مشروع « سلى » وضع « وليم بن » الإنجليزى الذى تزعم عهد الأخوة رسالة فى سبيل السلام الحاضر والمستقبل فى أوربا . واقترح فيها قيام اتحاد أوربى أشبه بمجلس أو برلمان يجتمع فيه ممثلون لدول أوربا فى فترات معينة لبحث المشاكل التى يصعب على الدول حلها ودياً . فإذا امتنعت دولة عن قبول قرار المجلس ولجأت إلى العدوان والقهر . فإن الدول الأخرى تتحد لمقاومتها ومنع محاولتها ، وكان « بن » يرى فى قيام هذه الهيئة الدولية ما يصون السلام بين دول أوربا .

حتى إذا قامت حروب لويس الرابع عشر أذاع برنار سان بيير « مشروع السلم الدائم » وافترض أن يكون صلح « أوترخت » الذى ختم حروب القرن السابع عشر نهاية الحروب الدامية التى حفل بها ذاك القرن فى أوربا . فاقترح أن تكون الحدود التى رسمها صلح أوترخت هى الحدود الفاصلة بين الممالك المختلفة فلا تقوم بينها حروب حول هذه الحدود فيما بعد ، واقترح إنشاء اتحاد دولى للفصل فيما قد ينشأ بينها من منازعات . غير أن هذه الأصوات الداعية للسلام خفتت وسط الضجيج الذى قام حول الفتح والاستعمار فى القرن الثامن عشر .

ولعل أقرب هذه المشروعات النظرية التى حفل بها القرنان السابع عشر والثامن عشر إلى الفكرة التى قامت عليها عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى مشروع الفيلسوف الإنجليزى « بنتام » فى أواخر القرن الثامن عشر ، فقد قام على الأسس الآتية :

١ — تخفيض التسليح لكل الدول عامة .

٢ — تحرير المستعمرات .

٣ — تكوين محكمة دولية للنظر فى تسوية المشاكل والمنازعات التى تقوم بين الدول .

كما أشار إلى حظر المعاهدات السرية وضرورة تأمين حرية الصحافة والنشر ولكنه لم يقترح عقوبات توقع على الدول المتمردة سوى نبذها من مجموعة الدول ووضعها تحت نقمة المجتمع .

وإن هذا ليدل تماماً على أن المبادىء التى يقوم عليها تحقيق السلام العام والتضامن الدولى معروفة واضحة ولكن الأثرة والطمع الدولى وحب التفوق

والعدوان هى العوامل التى لم تستطع البشرية أن تتغلب عليها أو تتخلص منها وكانت سبب بلائها والنكبات التى حاقت بها من جراء الحروب التى تشنها .

غير أن هذه الأفكار والمبادىء التى حفل بها القرنان السابع عشر والثامن عشر لم تعد حدود النظريات ولم تحل دون قيام حروب جديدة لا فى أوربا وحدها بل فى المستعمرات الأوربية فى آسيا وأمريكا أيضاً كما أصبحت البحار ميداناً لعدوان مسلح تقوم به الأساطيل ضد السفن الحربية والتجارية للدول المحاربة ، وما طلع القرن التاسع عشر حتى كانت أوربا مسرحاً للحروب النابليونية الدامية التى امتدت قرابة عشرين عاما لم تذق فيها القارة غير الآلام والشقاء ، وإن كانت موسيقى الظافرين قد طغت على أنات المكلومين فى غمرة من الإعجاب بالقائد الشاب الذى أرسلته آلهة الحرب ليخط فى تاريخ الحروب صفحة خالدة من الفن والعبقرية حتى إذا انجابت غمرة هذه الحروب وتنفست أوربا نسيم السلام وعقدت معاهدة باريس سنة ١٨١٤ دعا الحلفاء الأربعة الذين كسبوا النصر من نابليون ـ انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ـ جميع الحكومات والأمارات التى اشتركت فى الحرب إلى مؤتمر يعقد فى فينا لإقرار التسويات التى وضعوها .

وكان مؤتمر فينا الذى عقد سنة ١٨١٥ أول مظهر عملى للتضامن الدولى فى سبيل غاية واحدة وغرض مشترك وإن كان قد سلك طريقاً لا يتفق والتطور السياسى والقومى الوليد فى البلاد الأوربية التى حملت إليها حروب نابليون مبادىء الثورة الترنسية . فقد جاءت قرارات المؤتمر تؤيد مبدأ التوازن الدولى فى أوربا مما يحول دون قيام حروب جديدة للتوسع وبسط النفوذ ، وتضمن رد الحقوق الشرعية إلى أصحابها قدر المستطاع ، ولم تكن هذه الحقوق إلا حقوق

الملوك والأمراء . ولـكن الضمانات التى أقرها المؤتمرون فى فينا لتأمين السلام العام قد جاءت مبهمة غير واضحة المعالم لا تصلح أساساً لتنظيم مجتمع عالمى يسوده السلام والتضامن .

وظلت الروح التى سادت مؤتمر فينا تسيطر على جو السياسة الأوربية طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر يرعاها اسكندر الأول قيصر روسيا و يذللها لأغراضه السياسى النمسوى الشهير مترنخ فى قمع الثورات و إرهاب الشعوب الصغيرة ومناهضة مبادىء الحرية والقومية فى أوربا عامة . وكان مترنخ يعتقد أن السلام لن يسود أوربا ، وهناك شعوب تحاول أن تثور على أنظمة الحـكم فيها أو تحاول تغييرها أو دولة تتطلع إلى تعديل التسويات الإقليمية التى ضمنتها قرارات مؤتمر فينا أو المعاهدات التى أبرمت بين الدول الـكبرى فى ذلك الوقت لضمان هذه التسويات و إقرار السلام على ضوئها .

وقد تعددت اجتماعات المؤتمر الأوربى بعد ذلك فى اكس لاشابل سنة ١٨١٨ لإنهاء احتلال فرنسا وقبولها فى مجمع الدول وفى كارلسباد سنة ١٨١٩ لتشديد المراقبة على الأحرار فى جامعات ألمانيا ومنع الثورات والفتن فيها وفى تروباو سنة ١٨٢٠ وليباخ سنة ١٨٢١ لإخماد الثورة فى مملـكة نابلى وفى فيرونا عام ١٨٢٢ لقمع ثورة أسبانيا .

ولم يكن إلحاح مترنخ فى التدخل فى الشئون الخاصة لدول أوربا ليؤمن السلام العام بل كان سبباً فى إراقة الدماء و إثارة المنازعات وكان اختلاف الدول على تأييد سياسة مترنخ وخاصة انجلترا وفرنسا ثم إعلان مبدأ منرو المشهور سنة ١٨٢٣ خروجا على هذه الوحدة الأوربية التى قامت فى أعقاب الحروب النابليونية واستنكاراً لخطتها .

وكما فشل مؤتمر فينا والمؤتمرات التى قامت على آثاره فقد فشل مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس سنة ١٨٥٦ بعد حرب القرم فى جمع الدول على نهج معين لإقرار السلام وتحقيق التضامن الدولى رغم الأمانى الطيبة التى حفل بها جو المؤتمر واقتراح فكرة التوسط لمنع الحروب فى المستقبل ولكن هذه الرغبة لم تعد بدورها حد الأمانى .

وعلى قدر ما تعددت المؤتمرات الأوربية فى القرن التاسع عشر على قدر ما كان فشلها بينا فى تحقيق اتحاد دولى يكون دعامة السلام والتضامن فى العالم .

وعلى قدر ما فشلت المؤتمرات الدولية فى إقرار السلام وتحقيق التضامن الدولى على قدر ما نجح الأفراد والجماعات فى تحقيق جهود إنسانية جليلة كانت مظهراً رائعاً للتضامن الدولى العام كما كانت مظهراً جليلا من مظاهر النشاط الإنسانى .

وكان إلغاء الرق أول مظهر من مظاهر هذا النشاط الإنسانى الرائع وكان اجماع الدول على القضاء على هذه الوصمة الإنسانية مظهراً جديدا للروح الإنسانية الكريمة التى أخذت تعم العالم ، وكانت جهود فلورنس نيتنجيل حاملة المصباح الأزرق فى حرب القرم الأساس الذى قامت عليه جمعية الصليب الأحمر الدولية فى سنة ١٨٦٣ وفى سنة ١٨٧٤ تكون اتحاد البريد الدولى وأخذت الدول تنضم إليه تباعا وأصبح نظامه عالمياً لايتقيد بأنظمة الحكومات ثم كانت المؤتمرات التى عقدت لتعديل قوانين الحرب والملاحة البحرية ذات لون دولى يقوم على الإيمان بوحدة الغرض وعدالته .

واستمرت فكرة التضامن الدولى تتخبط فى ميادين السياسة الأوربية

وأطماعها دون أن تعدو حد الأمانى والرغبات حتى قامت الحرب العالمية الأولى وكانت مظهراً أليماً لفشل السياسة الأوربية فى تحقيق السلام العام فقد شهد العالم خلال السنوات التى سبقت الحرب سباقاً جنونياً بين الدول للتسليح والاستعداد للحرب وعجز المؤتمر الذى عقد فى لاهاى فى صيف سنة ١٨٩٩ للحد من التسليح وتسوية الخلافات بين الدول بالوسائل السلمية عن تحقيق أغراضه وإن كان قد أصاب بعض التوفيق فى إنشاء محكمة العدل الدولية تشترك فيها كل دولة بعدد من قضاتها الممتازين لا يزيد على أربعة وتختص بنظر الخلافات التى تنشب بين الدول على مسائل معينة وتقضى فيها وقد اتخذ مؤتمر لاهاى مظهراً عالمياً باشتراك الولايات المتحدة والمكسيك فيه ثم عقد مؤتمر لاهاى الثانى عام ١٩٠٧ وحضره ممثلوا اثنين وأربعين دولة من دول العالم ونال تأييداً كبيراً من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية « تيودور روزفلت » ووضع هذا المؤتمر الخطوات التى تتبع فى حالة التوسط والتحكيم لمنع الحروب ويجب أن نشير هنا إلى أن التوسط إجراء سياسى أما التحكيم فإجراء قضائى ولكن بالرغم من اتفاق الدول على هذه المبادىء لم تسلم الإنسانية من ويلات الحروب فقد شبت نيران الحرب العالمية الأولى وشهد العالم مجزرة بشرية تنكرت فيها الدول لكل عوامل الرحمة والشفقة الإنسانية مما دعا الدول إلى التفكير فى نظام أقوى وأشمل لصيانة السلام وتقوية التضامن الدولى وكان هذا الاتجاه إيذاناً بمولد عصبة الأمم .

وكان الرئيس الأمريكى « ويلسون » صاحب تشريع السلام الجديد حين أعلن فى مستهل عام ١٩١٨ مبادئه الأربع عشرة . وقد تناولت إلغاء

المعاهدات السرية وحرية البحار والملاحة وحرية التجارة وخفض التسليح والتسويات الإقليمية وتعديل الحدود والحكم الذاتى لبلاد الدولة العثمانية ثم أخيراً إنشاء عصبة الأمم على أسس ميثاق يكون ضماناً من العدوان وانتهاك سلامة الدول .

وكان قيام عصبة الأمم واشتراك أغلب الدول فى عضويتها مظهرا عظيما من مظاهر التعاون والتضامن الدولى ولكنه فى الوقت نفسه قد برهن تماماً على أن قيام أى نظام يهدف إلى هذه الغاية المثلى لا يمكن أن يكون نصيبه النجاح ما لم ترعه النوايا الطيبة والتسامح ونبذ الأطماع وحب العدالة والمساواة فإن عصبة الأمم وإن نجحت فى فض كثير من الخلافات والمشاكل الدولية إلا أنها لم تنجح فى منع عدوان اليابان على الصين أو فى منع اعتداء ايطاليا على الحبشة كما لم تحل دون وقوع كارثة الحرب العالمية الثانية التى اصطلت نيرانها دول العالم ما كان منها ميداناً للقتال أو ما كان بعيداً عنه .

وقد آنست الدول التى قامت العصبة على أكتافها عجزها عن ضمان الأمن الجماعى فلجأت إلى تأمين كيانها بالمحالفات والمعاهدات وكانت أولى هذه الدول فرنسا التى عقدت معاهدات مع دول التحالف الصغير : يوغوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ومع بولندا فى شرق أوربا لتكون لها درعاً يحميها من ألمانيا عدوتها التقليدية ولتحكم حصارها من الشرق والغرب . ثم كانت معاهدة لوكارنو سنة ١٩٢٥ بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا وايطاليا وبلجيكا التى ارتبطت فيها هذه الدول بعدم العدوان مظهراً ثانياً من مظاهر عدم الاطمئنان إلى الضمانات التى وردت فى ميثاق عصبة الأمم .

كما أن ميثاق بريان — كيلوج الذى وقعته خمس وستون دولة واستنكرت فيه الحرب كوسيلة لحل الخلافات الدولية التى يمكن تسويتها بالوسائل السلمية لم يكن إلا نوعا من الشك فى قدرة ميثاق العصبة الذى لم يستنكر الحرب ولم يرفض الاعتراف بها كوسيلة يقرها القانون الدولى لحل الخلافات الدولية وتجنب الحرب .

وقد لاحت بوادر فشل عصبة الأمم فى تحقيق الأغراض التى قامت لأجلها منذ البداية عند ما أبت الولايات المتحدة أن تعترف بها ولجأت إلى عزلتها التقليدية .

وإذا كانت عصبة الأمم قد فشلت فى تحقيق رسالتها فى ضمان السلام العام فقد أصابت كثيراً من التوفيق فى الميادين العمرانية والسلمية الأخرى وكان هذا النجاح أعظم ما أصابه التضامن الدولى فى الميادين العلمية والثقافية والاقتصادية والصحية .

ولكن قيام عصبة الأمم كحقيقة دولية ذات كيان فعلى كان تطوراً كبيراً نحو إدراك فكرة التضامن الدولى إدراكا يتسم بالحقيقة المرة التى تتوارى وراء أطماع الدول تلك الأطماع التى حالت دون التماسك الدولى القائم على التسامح والأخاء ونبذ الأطماع ولما كان الطمع إحدى غرائز البشر وكان القضاء على هذه الغريزة المدمرة يتطلب سموا فى النفس الإنسانية لم تصل إليه بعد لم يبق إلا أن تلجأ الأمم المتحدة إلى وسيلة عملية لمنع العدوان الذى تثيره الأطماع الدوليه فإن لم ينص ميثاق عصبة الأمم على هذه الوسيلة فإنها لم تفت ميثاق

الأمم المتحدة وقد تمثلت هذه الوسيلة فى مجلس الآمن وهو بمثابة الهيئة التنفيذية للأمم المتحدة .

ولقد أفادت الأمم المتحدة من فشل عصبة الأمم وجاء ميثاقهاحاويا لكل الضمانات اللازمة لمنع العدوان بالطرق السلمية فإن فشلت كان الالتجاء إلى القوة ضرورة يبررها ميثاق الهيئة للقضاء على العدوان قبل أن يستفحل أمره كما جاء شاملا لكل الوسائل التى تنمى روح التعاون بين الشعوب وتقوى أواصر التضامن الدولى ولم تقم أغراضها على ضمان السلام العام ومنع العدوان فحسب بل قامت أيضاً كما جاء فى البند الثانى من المادة الأولى فى ميثاقها على « انماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذى يقضى بالتسوية فى الحقوق بين الشعوب و بأن يكون لكل منها حق تقرير مصيرها وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلام » .

وكما جاء فى البند الثالث من نفس المادة وينص على « تحقيق التعاون الدولى على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً والتشجيع على ذلك اطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء » .

وقد حملت أمريكا رسالة الدفاع عن السلام العام ورعاية التضامن الدولى منذ أن اشترك الرئيس « تيودور روزفلت » فى مؤتمر السلام الثانى فى لاهاى سنة ١٩٠٧ وكانت عصبة الأمم إحدى النقاط التى تضمنتها مبادىء الرئيس ويلسون ولكن عودة أمريكا إلى عزلتها التقليدية بعد الحرب وتخليها عن

عصبة الأمم قد ترك أمر العصبة بين أيدى الساسة الذين شبوا فى أحضان النضال الاستعمارى الذى شهده القرن التاسع عشر من أمثـــال « لويد جورج » « وكليمنصو » فلم يكن إيمانهم بالمبادىء الجديدة إلا بقدر ما يتفق ومصالحهم الخاصة وأطماعهم الإقليمية فسرعان ماتنكر هؤلاء الساسة لـكثير من مبادئها .

حتى إذا شب أوار الحرب الثانية كان الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » يرقب من وراء البحار تلك المأساة الجديدة التى قضت على الأمانى الطيبة فى عالم يسوده السلام ولا ريب أن الرئيس الأمريكى الذى شهد أوضار الحربين كان يعلم تماماً أن السلام والتعاون بين الدول والشعوب لن يتحقق ما لم تتكاتف الإنسانية جمعاء على قدم المساواة للقضاء على عوامل الأثرة والطمع وبناء عالم تسوده المساواة والتضامن لخير الإنسانية دون ما تفرقه بين الشعوب والأجناس والأديان وكان إعلانه للحريات الأربعة بداية هذا العمل الجدى لتحقيق هذه الغاية العظمية ثم صدر ميثاق الأطلنطى وتعددت مؤتمرات الحلفاء بين يالتا والقاهر وطهران وسان فرنسسكو وتعددت تصريحاتهم الخاصة بإنهاء حالة الحرب وتنظيم عالم ما بعد الحرب حتى وضحت لدى الدول فـكرة الأمم المتحدة ووقع مندوبوا الدول التى اشتركت فى الحرب بجانب الحلفاء ميثاق الهيئة الجديدة فى سان فرنسسكو .

ثم سلمت دول المحور دون قيد أو شرط كما أراد الحلفاء و بدأ العمل الرائع فى تنظيم السلام على أساس من المساواة والتعاون لخير الإنسانية .

وقد نص ميثاق الهيئة الجديدة على وجود جميعة عامة من الدول الإعضاء ومجلس

الأمن من أعضاء الدول الخمس الكبرى مع ستة من الأعضاء الآخرين ينتخبون من بين أعضاء الجمعية العامة وقيام المجلس الاقتصادى والاجتماعى الدولى ومحكمة العدل الدولية ولجنة الوصاية كما أشار الميثاق إلى إمكان قيام هيئات أخرى إذا ما بدت حاجة التضامن الدولى إليها بجانب هذه الهيئات المذكورة .

وقد بدأت هذه الهيئات أعمالها فى نطاق الاختصاصات التى نيطت بها وكانت الجهود التى قامت بها وخاصة جهود المجلس الاقتصادى والاجتماعى الدولى أعظم دليل على ما يمكن أن يفيده العالم من التماسك والتضامن بين دوله .

وقامت هيئة الاغاثة والتعمير واليونسكو ومنظمة العمل الدولى ومنظمة الأغذية والزراعة والبنك الدولى للقروض جميعاً على أسس قوية من التعاون والتضامن .

ولن نتكهن بمستقبل التضامن الدولى فإن الأفكار العظيمة التى قامت عليها الأمم المتحدة كفيلة بتحقيقه ودعمه ولكن هناك النفس البشرية ما زالت تنطوى على غريزة العدوان والتدمير والأثرة والطمع وليس غير الإيمان الذى يقوم على سلامة العقيدة ما يمكن أن يتغلب على هذه النوازع البشرية التى فشلت أمام قوتها كل المعانى الرفيعة فى السلام والتضامن بين الأمم والشعوب .

ويوم يكون إيمان الأمم المتحدة بأهدافها وأعراضها قوياً سليما يوم يكون إيماننا بعالم جديد يسوده السلام والتضامن أعظم وأقوى .

الصراع العالمى

وتطور فكرة الأمن الجماعى

كان اشتراك الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية ظاهرة غير طبيعية بالنسبة للتعاليم الشيوعية التى تنأى بالشيوعيين عن حرب تثيرها الدول الرأسمالية إلا أن يلهبوا أوارها كلما خبا ويغذوها بوقود من الكراهية والمقت ليكون فيها دمار العالم الرأسمالى ونهايته وليسوقوا الجموع التى حطمتها الحرب للثورة على مشعليها والقضاء على الحكومات الرأسمالية لتنفذ الشيوعية إليها بعقيدتها وفلسفتها ونظامها .

ولكن تجنب الاتحاد السوفيتى للحرب كان فوق إدراك الفلسفة الشيوعية فإن العداء الأصيل بين النظامين الشيوعى والرأسمالى كان يسوق الدولة الشيوعية الناشئة إلى الحذر والخوف من عدوان العالم الرأسمالى وإن كان إيمان أئمة المذهب الشيوعى وعلى رأسهم لينين خالق الدولة الشيوعية ومبدعها فى روسيا بأن النزاع الذى تسوقه المنافسة الحادة بين الدول الرأسمالية سيدفعها إلى الحرب قبل أن تتفتح عيونها على الخطر الكامن فى القارة الروسية الواسعة ، وقد تنبأ لينين بأن الحرب القادمة ستدور رحاها بين بريطانيا وأمريكا ولم يكن قد شهد قيام الديكتاتورية النازية فى ألمانيا وأطماعها الخطيرة وما أوقعته بالشيوعيين من اضطهاد وتنكيل فى بلادها .

وقد دفع الخوف والحذر اللذين لابسا قيام الدولة الشيوعية روسيا إلى

مجلة الفصول يناير ١٩٥٥ .

الانطواء على نفسها فى عزلة رهيبة تعد للساعة الفاصلة حين تجد نفسها فى حرب سافرة حامية الوطيس مع العدوان الرأسمالى فأقامت ستاراً منيعاً من السرية ضلل العالم الخارجى عن حقيقة قوتها ، وأغرى بها النازية حتى طوحت بجيوشها إليها لتقضى عليها سراعا لتفرغ بعد ذلك لحرب حلفاء الغرب .

وجاءت الحرب التى تنبأ بها لينين بين الدول الرأسمالية ولـكن على صورة غير الصورة التى قدرها فلم تقع الحرب بين بريطانيا وأمريكا وإنما وقعت بين ألمانيا ودولتى الغرب بريطانيا وفرنســا أثر الغزو الألمانى لبولندا . وكانت صورة قديمة فى أسبابها للحرب التى نشبت بينهما قبل ذلك بربع قرن .

ووقف الاتحاد السوفيتى يرقب الموقف ورحب بعقد ميثاق الصـداقة وعدم الاعتداء مع ألمـانيا فى أغسطس سنة ١٩٣٩ بالرغم مما كان يعلمه من مقت النازية واحتقارها للشيوعيين . وكان الثمن الذى تقاضته روسيا غالياً فقد اقتطعت مساحة كبيرة من روسيا البيضاء وأوكرانيا عدا أربعة ملايين بولندى .

وظل الحذر التقليدى يطوف بزعماء الـكرملين فلم يأمنوا للحلفاء الجدد وراحوا فى غمرة هـذا الصراع القائم يعززون حدودهم الجديدة وينزلون حامياتهم العسكرية فى قواعد بحر البلطيق وفى داخل حدود استونيا ولتفيا ولتوانيا ثم ضموها إليهم كما انتزعوا ولاية بساربيا وشمال بوكوفينا من رومانيا ونالوا بعض الامتيازات من فنلندا بعد حرب ضروس أبدى فيها الفنلنديون أعظم ضروب البسالة والتضحية وقيل بعدها أنها كانت أكبر خدعة قام بها الجيش السوفيتى حين بدا عاجزاً عن قهر فنلندا ليموه على العالم الخارجى حقيقة قوته .

وما لبث الألمـان أن اجتاحوا دول غرب أوروبا وأقاموا قواعدهم على سواحل الأطلنطى ودخلت ايطاليا الحرب واقتحم المحور البلقان وسير فيالقه فى شمال أفريقيا لغزو مصر ثم روع العالم بنبأ اجتياح قوات الرايخ الثالث للحدود الروسية وقيل يومها أن هتلر أراد أن يسوى أموره مع الغرب ليفرغ الفريقان للخطر الشيوعى الذى يهدد أوروبا والحضارة الأوربية بأشد الـكوارث فلما لم تستجب له بريطانيا عمل على غزوها ولـكنه أراد أن يفرغ من روسيا قبل أن يوجه ضربته الـكبرى لبريطانيا ووقف العالم مذهولا أمام هذه المغامرة الجسور وأدرك أن هذا الطور الحاسم من أطوار الحرب سيترك أبعد النتائج لا فى تاريخ أوروبا فحسب بل فى تاريخ البشرية جمعاء ، وكان هتلر فى اندفاعه وغروره يدرك تماماً خطر هذه المحاولة ولـكن ثقته فى أعظم آلته الحربية لم تترك له مجالا للتفـكير فى خطر الأراضى الروسية الفسيحة على قواته وقد ابتلعت من قبل أعظم جيش عرفه القرن التاسع عشر وهو جيش نابليون أبرع قائد فى التاريخ الحديث ، فأراد كما ذكر فى منشوره الذى أعلن فيه الحرب على روسيا أن يضع مصير الشعب الألمانى وحكومة الرايخ ومستقبل أوروبا فى أيدى جنوده .

ووقفت بريطانيا إلى جانب روسيا وصرح تشرشل بأن كل من يسير فى ركاب هتلر فهو عدو ومن ينازله فهو حليف ، وهكذا وجدت روسيا نفسها فى حرب إن توقعتها فانها لم تتوقعها على هذه الصورة ورأت نفسها تحارب لنصرة فريق من الدول الرأسمالية على فريق آخر منها بله الدفاع عن أراضيها ووقف روزفلت يعطف على روسيا حبا فى بريطانيا وإيماناً بعدالة حربها ولم تـكن أمريكا قد اشتركت بعد فى المعركة .

ولم يكن هذا التحالف الجديد بين روسيا وحلفاء الغرب طبيعيا ولا يتفق مع منطق الزمن وسير الحوادث فإذا كان الخطر عظيما على دول الغرب من منافسة ألمانيا وقوتها فإن الخطر البعيد من قوة الشيوعية أعظم وأكبر فالعداء التقليدى بين الشيوعية والرأسمالية لا يمكن أن يجمع بينهما فى ميدان واحد وإن جمع بينهما شذوذ الموقف وخروجه على المألوف .

وانتهت الحرب فى الميدان الأوروبى باطباق القوات الحليفة على ألمانيا واحتلت القوات الروسية وارسو واكتسحت بولندا فى أوائل عام ١٩٤٥ وتقدمت فى سرعة فائقة جنوب الدانوب إلى النمسا فبلغت فينا فى منتصف أبريل واندفت نحو برلين فبلغت ضواحيها بعد خمسة أيام وكان حلفاء الغرب يقاتلون حينئذ على ضفاف الألب وتقابلت قوات الشرق والغرب فى طورجاو وسلمت ألمانيا من غير قيد ولا شرط للقاهرين .

وما أن أخذت بوادر الحرب فى الشرق الأقصى تنذر بهزيمة اليابان وتسليمها حتى أعلنت روسيا عليها الحرب وأرسلت جنودها على الفور لغزو منشوريا وكان ذلك فى ٨ أغسطس سنة ١٩٤٥ بعد أن ألقت أمريكا بقنبلتها الذرية الأولى على هيروشيما بيومين اثنين وكانت روسيا تعنى ألا تخرج من معركة الشرق الأقصى دون غنيمة .

وهكذا كانت الحرب فى نهايتها سباقا بين الحلفاء لاحتلال أراضى العدو المهزوم وبدا أن روسيا التى شاركت ألمانيا فى اقتسام بولندا تسير على نفس خطتها مع الحلفاء وتسرع بقواتها إلى احتلال الأراضى والمساحات الواسعة قبل أن يصل الحلفاء إليها أو ينزلوا بها فإن الخوف والحذر اللذين يغلبان عليها من

الدول الرأسمالية ما برحا يسيطران عليها ويدفعانها إلى وقاية نفسها من خطر الرأسمالية التى تقدر أن ستحاربها يوما ما .

وعقد الحلفاء خلال الحرب عدة مؤتمرات فى الدار البيضاء والقاهرة وطهران وموسكوا ويالتا ثم مؤتمر بوتسدام بعد الحرب لوضع المبادىء والأسس لمستقبل العالم والإعداد لصبح السلام المنتظر ، بيد أن الخلافات الخطيرة التى كانت تقع بينهم والتى حجبتها ضرورات الحرب ما لبثت بعد الحرب أن انفجرت فى عنف شديد ودوى هائل ترك العالم موزعاً بين كتلتين قويتين تقف كل منهما على طرفى نقيض من الطرف الآخر ، على رأس الكتلة الشيوعية روسيا وهى التى جرى العرف بتسميتها بالكتلة الشرقية وعلى رأس الكتلة الرأسمالية أمريكا ومعها فرنسا وبريطانيا وهى التى عرفت بالكتلة الغربية .

وحال النزاع بين الكتلتين دون تسوية كثير من مشكلات الحرب فلم يعقد مؤتمر الصلح الذى شهده العالم فى فرساى بعد الحرب الأولى ولم توقع معاهدات الصلح مع ألمانيا والنمسا حتى الآن وتأخر عقد معاهدات الصلح مع اليابان وإيطاليا إلى ما بعد الحرب بكثير .

وكان من مظاهر السيطرة الروسية فى شرق أوربا أن أقيمت فى دولها جمهوريات شعبية شيوعية خضعت بدرجات متفاوتة لنفوذ الكرملين وانضوت الدول العديدة الممتدة من بحر البلطيق شمالا إلى أدرنة جنوباً تحت راية الاتحاد السوفيتى وحمايته وإشرافه ولمقاومة هذا الاتجاه الجديد أبرمت دول غرب أوربا ومعها أمريكا معاهدة شمال الأطلنطى وقام حلف الأطلنطى يضم إليه الولايات المتحدة وكندا وإيسلندا والمملكة المتحدة وفرنسا والبرتغال

والنرويج ودول البنلوكس « بلجيكا وهولندا ولكسمبورج » والدنمارك وضمت إليه بعد ذلك إيطاليا وتركيا واليونان . وبهذا قامت الكتلتان المتصارعتان اللتان أخلتا بتوازن القوى العالمية وراحت كل كتلة منهما تقوى نفسها وتنشر دعوتها وتجذب إليها الأعوان والأنصار .

وفى غمرة هذا الصراع السافر وفى ثنايا هذا التكتل العالمى ظهر ما يعرف بالأمن الجماعى بصورته الحاضرة والأمن الجماعى ليس وليد الحرب الأخيرة ولا من آثارها بل هو فكرة قديمة ما رستها الدول فى صور عديدة بقصد التحالف معاً لحماية نفسها من خطر العدوان والقضاء على الحروب وتوطيد أركان السلام .

إلا أن فكرة الأمن الجماعى ظلت تتخبط بين النظريات الفلسفية ومحاولات الساسة العمليين والمؤتمرات والهيئات التى عقدت لتنظيم العلاقات الدولية وخفض السلاح حتى قامت عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى ففشلت فى تحقيق الأمن الجماعى وكان من مظاهر فشلها اندفاع الدول الأوربية إلى تأمين كيانها بالمحالفات والمعاهدات الخاصة فأبرمت فرنسا معاهدات مع دول التحالف الصغير ومع بولندا لتأمين نفسها من ألمانيا . ثم كانت اتفاقية لوكارنو عام ١٩٢٥ وميثاق بريان — كيلوج مظهراً آخر لفشل فكرة الأمن الجماعى الذى قامت عصبة الأمم لتكفله .

وكان أهم ما شغل الحلفاء فى مؤتمراتهم خلال الحرب الثانية هو خلق نظام عملى لتأمين العالم وإنقاذه من ويلات الحروب التى تردى فيها مرتين خلال جيل واحد . فكان قيام هيئة الأمم المتحدة ثمرة هذه الجهود ولكن

الأحداث المتلاحقة التى أعقبت الحرب الأخيرة حتى الآن توحى بأن الفشل فى حل المشكلات الكبرى يلاحق هيئة الأمم المتحدة كما لحق بعصبة الأمم من قبل .

ويخيل إلينا أن فكرة الأمن الجماعى تتطور فى حمى هيئة الأمم المتحدة إلى ما تطورت إليه فى حمى قرارات مؤتمر فينا والمجمع الأوربى والتحالف الرباعى عند ما اجتاحت الثورات القومية بلاد أوربا وخضبتها بالدماء وفى حمى عصبة الأمم عند ما اندفعت الديكتاتوريات النازية والفاشية تنادى بالسيادة العنصرية والمجد الأمبراطورى وتخط مصائر الأمم والشعوب على هواها لأجيال عديدة .

فهذا الانقسام الذى يعانيه العالم فى ظل هيئة الأمم المتحدة هو قبل كل شىء انقسام فكرى مذهبى كما كانت أوربا بعد مؤتمر فينا وفى ظل عصبة الأمم .

وكان من جراء هذا الإنقسام العالمى الحاضر أن تطورت فكرة الأمن الجماعى إلى نوع من الأمن الإقليمى لضمان الحماية المحدودة بنصوص المعاهدات ومحالفات الدفاع المشترك والتى كان من مظاهرها قيام حلف الأطلنطى فى ناحية وعقد اتفاق وارسو فى ناحية أخرى .

وإلى جانب حلف الأطلنطى وحلف وارسو قامت محالفات إقليمية عديدة يتصل بعضها بحلف الأطلنطى كحلف البلقان أو يقوم بعيداً عنه كالضمان الجماعى العربى الذى يربط دول الجامعة العربية فى تحالف عسكرى واقتصادى .

وبجانب هذه المحالفات العسكرية ، تقوم منظمات إقليملية عديدة تجمع بينها وحدة الغرض والغاية واتصال المنافع وهى غالباً ما تنشأ فى

وحدات إقليمية تربط سكانها روابط عديدة من وحدة الجنس أو وحدة المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة كدول الجامعة العربية ودول أمريكا اللاتينية ودول كولمبو .

وغالباً ما ترتبط دول تلك المنظمات الإقليمية بمعاهدات اقتصادية أو مواثيق دفاعية خارج نطاق الأمم المتحدة .

ويبدو من كل هذا أن فكرة الأمن الجماعى ما زالت تسير ضمن تلك الحدود الإقليمية الضيقة بعيداً عن النظام العام للأمم المتحدة أو الوحدة العالمية المشتركة لمصالح العالم كافة فإن الإيمان بالصالح العالمى العام ما زال يتعثر فى قتاد من الشك والحذر اللذين يحولان دون تحقيق الوحدة العالمية فى غايتها المنشودة .

الحياد طريق السلام

خرج العالم من الحرب العالمية الثانية بظاهرة ستترك أبعد الآثار فى تاريخ الجيل الحاضر وقد تترك سماتها البارزة فى تاريخ العالم لعدة أجيال قادمة ، هذه الظاهرة هى ظاهرة التكتل الجمعى للدول . وقد جاءت نتيجة لانقسام العالم إلى كتلتين ضخمتين بعقيدتيهما البارزتين ومواردهما الضخمة وسيطرتهما البارزة على تيار السياسة العالمية ومجرياتها .

وقد حاربت الجبهتان معاً جنباً إلى جنب خلال الحرب العالمية الماضية وأحرزتا النصر معا ، واجتمعتا مع اختلاف مشربيهما ونظاميهما وعقيدتيهما للتخلص من جبهة ثالثة عادتهما معا وسبقتهما سويا إلى الكشف عن أهدافها ومراميها للسيطرة على العالم وإخضاعه لسلطانها ، ثم انتهت المعركة بانهيارها فوقف الحليفان ولما تبد تباشير السلام وجهاً لوجه . فقد كان لكل منهما أهدافه ومراميه التى حارب من أجلها وهى السيطرة بنظامه وعقيدته على العالم ، وهما إذ حاربا معا من قبل فللقضاء على عدو مشترك كان يبغى من دونهما هذه السيطرة ويسعى إليها وهى نفس ما تسعيان إليه أو تريد إحداهما ، وهى صاحبة النفوذ الفعلى فى العالم أن تبقى عليه .

حتى إذا انتهت الحرب بالقضاء على العدو المشترك وقف حليفا الأمس يصفيان حسابهما معا فاختلفا ، ودون اتفاقهما أن تسلم إحداهما بسيادة الأخرى وعقيدتها ومطامعها فى أرجاء العالم الواسعة .

مجلة الفصول عدد مارس ١٩٥٤ .

وشهد العالم بوادر التكتل كما لم يشهده من قبل ، التكتل الذى لا يقاس عليه تكتل أوربا أمام نابليون أو المحالفات الأوربية التى سبقت الحرب الأولى أو الانقسام الدولى الذى سبق الحرب الثانية ، فالتكتل اليوم لا يسلم بالحياد ولا يعترف بالعزلة الجغرافية أو الحواجز والموانع الطبيعية أو عدم الأهمية الاستراتيجية فاتساع نطاق الحرب وامتدادها إلى جميع بقاع الأرض فى آن واحد قد قضى على العزلة الجغرافية ، كما قضى تطور آلة الحرب وتقدمها على منعة الحواجز والفواصل الطبيعية ، أما الأهمية الاستراتيجية فلا تعدمها منطقة مهما يقل شأنها فى الحرب القادمة أما كقاعدة عسكرية أو كمورد لمواد استراتيجية ضرورية أو مورد بشرى هام .

ولكن ليس هذا كل ما فى الأمر ، فهناك طبيعة هذا النزاع العالمى الدائر وإلى أى حد يتصل بصالح كل دولة ، فالعدد الأكبر من دول العالم لا يجد فى هذا الصراع العالمى مصلحة مباشرة أو غير مباشرة تعود عليه ولا يجد مبرراً لأن يخوض غمرات صراع سلمى أو حربى قد يعود عليه بالوبال والدمار .

وقد أدركت الولايات المتحدة هذه الحقيقة ، فنزلت إلى العالم الحرب المفلس بقوة الدولار تشترى الأتباع وتلم الشيع وتكتل الدول إلى جانبها أما روسيا فنزلت بسلاح آخر هو الدعوة إلى السلام وتشجيع الحركات القومية والتحريرية فى الشعوب المغلوبة والتى غالباً ما يدور الصراع العالمى حولها ومن أجلها . وكلا السلاحين ماض بتار ولكن الدولار بالرغم من بريقه لا يجذب إليه فى الحقيقة إلا من يدرك أن مصلحته فى جانب الكتلة التى تتزعمها الولايات المتحدة كتركيا التى تجد فى روسيا عدوها التقليدى وأسبانيا التى ترى فى الشيوعية عدواً لدوداً لعقيدتها ونظامها الفاشى ، وأما تشجيع الحركات القومية

والتحريرية فلا ريب أنه يستهوى الشعوب المغلوبة المكافحة فى سبيل استقلالها وحريتها مما يدخل فى باب المصلحة الخاصة لهذه الشعوب دون ما تقدير لقوة الدولار أو اعتبار لحقيقة النزاع العالمى القائم .

فالمصلحة الخاصة للدولة والكيان الحقيقى لوضعها العالمى هما اللذان يسيطران على موقفها و يوجهانه .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نفسر سياسة الحياد التى التزمتها الهند . فالهند ترى أول واجباتها أن تدعم استقلالها الذى ظفرت به حديثا بالاهتمام بالوطن و إصلاحه والنهوض به وهى مسائل يجب أن تسبق مرامى السياسة الخارجية التى ترسم حدودها المصلحة الخاصة للدولة . وللهند مسائل سياسية خارجية تتعلق بكيانها الفعلى كتلك الجيوب الفرنسية والبرتغالية على ساحليها الشرقى والغربى ومشكلة الهنود فى جنوب أفريقيا ، ومع ذلك قدمت عليها برامج الإصلاح الداخلى التى تسير فيها بهمة ملحوظة موفورة ستدفع بالهند بعد سنوات قلائل إلى مصاف أعظم الدول قوة وانتاجا . فإذا كانت الهند قد تركت هذه المسائل التى تتعلق بكيانها كدولة فالأجدر بها ألا تلقى بالا إلى هذا الصراع العالمى الدائر إلا فى حدود السعى لدعم السلام العالمى واستقراره فى ظله تزدهر الحضارة وتأمن الهند على كيانها العام وسلامتها الإقليمية .

ومن الدول التى تنادى بالحياد فى النزاع بين الكتلتين العالميتين ، الارجنتين وقد حظى موقفها بقسط وافر من العطف والتشجيع لدى دول أمريكا الجنوبية ، والارجنتين كدولة تنفرد بنوع معين من نظام الحكم و بمكانة ملحوظة بين دول أمريكا الجنوبية وموارد وافرة تغنيها عن التطلع خارج حدودها تجد أن موقف الحياد هو أنسب المواقف لسياستها الخارجية .

ومن الدعوات الحيادية ما نادى به الدكتور كيكونين رئيس وزراء فنلندا ، حين دعا الدول السكندينافية لاتباع سياسة حيادية حتى تتجنب عدوان روسيا عليها . وقد بنى دعوته هذه على أن ارتباط الدول السكندينافية بالغرب سيحمل روسيا عليها فإذا قامت الحرب فإنها أول من يتلقى الصدمة المباشرة

فالحياد إذن سياسة تقترن بالمصلحة الخاصة للدولة ، مثله فى ذلك مثل التحالف يدفع إليه الخوف والحذر من العدوان المؤكد المحتوم .

والحياد ضرورة لدعم السلام العالمى واستقراره فى هذا المعترك الثائر الساعى للحرب المتأهب لها ، فكلما التزم أكبر عدد من الدول موقف الحياد كلما خافت الدول الكبرى الحرب وحسبت حسابها ، فالدول لاتقدم عادة على الحرب إلا إذا ضمنت التفوق فيها ، والتفوق لا يتأتى لدولة إلا إذا كثر عدد أعوانها وأنصارها . وهناك من يقول مثلا بأن الكتلة الغربية ستشن الحرب حالما تجد أنها فى وضع من التفوق يمكنها من كسب الحرب ، بل هناك من يغالى أكثر من هذا فيقول انه حالما تنتهى كتلة الغرب من إكمال سياسة الاحتواء أوالتطويق التى تقيمها حول الكتلة الشيوعية فلن تتأخر عن اجتياح أراضيها ولن تتم سياسة التطويق إلا إذا وصلت حلف الأطلنطى بحلف الشرق الأوسط ثم بحلف الباسفيكى وجمعت الدول وراء هذه الأحلاف فى صفها ، وبالمثل لن تتأخر روسيا بالرغم من دعوة السلام التى تنادى بها عن أن تحمل الدول على اعتناق عقيدتها والقضاء على الرأسمالية أينما كانت وفى كل مكان من الأرض .

وعلى ضوء هذه الحقيقة كانت دعوة الزعيم الهندى نهرو لقيام منطقة ثالثة تكون وسطاً بين الكتلتين المتنازعتين وتعمل على توازن القوى بينهما ، فتكون دعامة للسلم المنهار تحت ضربات التكتل والمحالفات العسكرية .

ومن اليسير أن تنادى الدول بالحياد ولكن من العسير أن تصونه مالم تعمل لتأمينه وصيانته وهذا هو الحياد المسلح ، وقد لايكون للدولة من القوة ما تستطيع بها أن تحمى حيادها فحياد الدول الصغرى كما يقول الاستراتيجى الإنجليزى ليدل هارت « حياد نظرى » ولكنه كما يقول أيضاً يصبح قوة لها خطرها إذا مارتبطت هذه الدول الصغيرة بعضها ببعض وعملت على تأمين حيادها متماسكة قوية ، وهذا هو ما ينطبق على دول الشرق الأوسط فكل منها بمفردها قوة ضئيلة بالقياس إلى قوة المعتدى المحتملة ولكنها مع بعضها وبما تملكه من موارد وإمكانيات تصبح قوة لها خطرها .

وفى غمار هذا التكتل الجمعى وانقسام العالم إلى كتلتين متنافستين تتحرشان ببعضهما وتقف كل منهما من الأخرى موقف المترقب المتحفز ، يكون من الخير للسلام العالمى أن تنشأ كتلة أومنطقة وسط بين الكتلتين ، تتخذ موقف الحياد وتكون عاملا لدعم السلام العام والتوسط بين الفريقين المتنازعين .

فإذا تلاشت هذه المنطقة الثالثة كما يحب أن يسميها نهرو ، ولم يعد لها أثر فى توازن القوى العالمية انعدمت العوامل المخففة من شدة التوتر وأمحت قوة الوساطة الدولية التى يمكن أن تزيل أسباب الخلاف وتقف موقف الحكم فالدول مهما تأزمت أمورها تتطلع عادة إل وسيط يصلح ما بينها ، شأنها فى

ذلك شأن الأفراد يلجأون فى خصوماتهم إل وسيط يصلح بينهم و يعيدالسلام والوئام إلى صفوفهم .

وكلما كثر عدد الدول التى تعتنق الحياد وتدين به ، كلما كان لهذا أثره فى تخفيف التوتر الدولى بعكس ماإذا عملت كل دولة على أن تنحاز لفريق من الفريقين الكبيرين فإن الأمل فى استقرار السلام يتضاءل عند أول احتكاك وقد يمهد لقيام الحرب و يضرم أوارها .

وفى ظل مبادىء الأمم المتحدة يمكن لهذه الدول أن تحمل رسالة السلام وتعمل على صونها ورعايتها مستمدة قوتها من أهداف الميثاق ونصوصه .

و إذا نجحت هذه الدول التى تدين بالحياد فى حمل رسالة السلام بعد شبح الحرب ولن تحمل رسالة السلام مالم تنزع من نفسها التحيز لأحد الفريقين ، أما إذا أصبح العالم وليس فيه من ينادى باخياد ، وأصبحت دوله إما مع الشرق و إما مع الغرب فهى الحرب المدمرة التى يخشاها العالم وترهبها الإنسانية لامحالة .

استراتيجية السلام
والمنطقة الثالثة

ما من دولة تتبنى قضية السلام وتؤمن بها كما تتبناها الهند وتؤمن بها ، وما من رجل فى العالم يدعو إلى السلام مخلصاً كما يدعو إليه جواهر لال نهرو . فهو بهذا يحيي ميراث التقاليد الهندية القديمة ويحمل المشعل الذى حمله « غاندى » من قبل .

ودعوة نهرو إلى السلام وإن لبست ثوب الحياد الذى نادى بالتزام الهند له إلا أنها فى حقيقتها وجوهرها دعوة حياد يحقق السلام فى مرماه الأخير ، وهو بهذا يبتدع للسلام سياسة أشبه بما يبتدعه العسكريون حين يرسمون استراتيجية الحرب فلا غرو أن دعوناها باستراتيجية السلام ، فهى أشبه ماتكون فى خطوطها الرئيسية بالخطة التى يضعها رجال الحرب عندما يفكرون فيها ويرسمون خطوطها الرئيسية .

وطابع الاستراتيجية الحديثة هو التكتل سواء فى ذلك الكتلة الشرقية أو الكتلة الغربية ، فكل منهما ترمى إلى السيطرة على المساحات الواسعه من الأراضى ذات الأهمية الخاصة من حيث موقعها أو مواردها أو أهميتها فى الحرب التى تشب سواء بوضع اليد أو مانسميه بالاستعمار أو بعقد المعاهدات العسكرية أو قيام المحالفات السياسية ذات الطابع الإيجابى أو بمعنى آخر المحالفات التى

نشرت بمجلة صوت الشرق عدد ٨ فى مايو ١٩٥٣ بعنوان « المنطقة الثالثة التى يدعو بها نهرو » .

تربط المتحالفين بالتزامات تدور حول تبادل المعونة سواء فى الحرب أو فى السلم .

وقد نجحت روسيا فى أعقاب الحرب الماضية فى أن تكتل إلى جانبها أو تجمع فى فلكها مساحة متماسكة مترامية من الأرض تضم دولا عديدة سواء فى شرق أوربا أو فى شرق آسيا وكان آخر ما حققته من هذه السياسة هو ضم كتلة الصين الواسعة إلى جانبها ، بعد أن سيطرت عليها قوات ماوتسى تونج الشيوعية . فكان هذا أعظم كسب حققته الاستراتيجية الروسية فى السنوات الأخيرة وتتسم هذه الكتلة الشيوعية باتصالها بعضها ببعض . فليس هناك من حواجز يمكن أن تفصل مجموعها مما يعد فى ذاته ميزة استراتيجية واضحة حيث تتصل سبل المواصلات فى هذه المساحة الواسعة وتقف جميعاً كجدار واحد أمام أى عدوان خارجى ، وخاصة إذا ما نجحت روسيا فى الإبقاء على ولاء هذه الدول الشيوعية إلى جانبها .

وهذه الميزة التى كسبتها روسيا تعوز ولا شك الكتلة الغربية التى تفصل أجزاءها بعضها عن البعض الآخر البحار الواسعة وتعترضها الكتل الأرضية التى لزمت سياسة معينة لا تساير سياسة الغرب أو لم يستطع الغرب أن يضمها إلى جانبه أو يتفق معها بعد ولهذا ترسم الاستراتيجية الغربية خطوطها على ضرورة سد هذه الفجوات فى كتلتها وهى ما تعبر عنه أحياناً بعبارة سد الفراغ .

وهى جاهدة فى ملء هذا الفراغ بكل ما تستطيع من سبل حتى تتماسك كتلتها أمام الكتلة الشرقية وتستطيع أن تحقق سياسة الاحتواء أو بمعنى آخر الإحاطة بقلب وجناحى الكتلة الشرقية .

ويعتقد كثير من الاستراتيجيين أنه إذا ما نجحت الكتلة الغربية

فى تحقيق استراتيجية الاحتواء فإن الحرب قائمة لا محالة حيث تقوم الكتلتان متواجهتين لا يفصل بينهما فاصل مما يدعو إلى زيادة التوتر والاحتكاك الذى يوقد نيران الحروب .

والحرب — كما قال نهرو فى إحدى خطبه — لا يوقد نيرانها إلا عاملان أولهما الإعداد لها وثانيهما الشعور الذى يدفع إليها : والإعداد قائم فى كل من الكتلتين ولكن ينقصه الحافز أو الشعور ، ولا ريب أن الشعوب تنساق إلى الحرب راضية بها عندما يعبأ شعور أفرادها للإيمان بجدواها وسيكون هذا أحد النتائج الهامة لتجاور الكتلتين واحتكاكهما ، وأول برهان على ما نقول هو ما نراه اليوم فى الأماكن التى تتجاور فيها الكتلتان فى كوريا أولا وفى ألمانيا ثانياً .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نفسر دعوة نهرو للحياد بأنها دعوة للسلام العام ، كما يمكن أن ندرك ما يعنيه بقيام منطقة ثالثة كما يسميها تكون منطقة حياد بين الكتلتين ، وتكون حائلا دون احتكاك كل كتلة بالأخرى . وهذا ما يفسر تسميتنا لدعوته باستراتيجية السلام تشبيهاً لها بالسياسة التى يضعها الاستراتيجيون للحرب .

ولا يحب نهرو أن يدعو كتلة الحياد هذه كتلة أو قوة وإنما يسميها منطقة فهو يقول : إنها ليست كتلة ثالثة وليست قوة ثالثة ، وإنما هى منطقة ثالثة ويعنى بهذا أنها حاجز أرضى يحتل مساحة واسعة ويمتد بين الكتلتين ويمنع من احتكاكهما ، ثم يضع لها دستور الحياد فيقول أنها تسير وفق مبادىء الأمم المتحدة وتهدف لإقرار السلام ومنع العدوان .

ويرى نهرو أن هذه المنطقة الثالثة تمتد من أندونيسيا شرقا لتشمل وسط وجنوب أسيا وتلم بكتلة الشرق الأوسط ومجموعة الدول العربية والإسلامية فى شمال أفريقيا ، وإن كان يسميها تجاوزا كتلة الشعوب الأسيوية ، وقد رأينا ما لاتصال مندوبى هذه الدول الأسيوية ووقوفها صفاً واحداً فى دوائر الأمم المتحدة ومؤتمراتها من أثر بارز فى توجيه السياسة الدولية .

ويجىء مرتبطاً بهذه السياسة موقف الهند من جهاد الشعوب الأسيوية لاستكمال استقلالها ووقوفها فى صف الأحرار ، ودعوتهم فى الشعوب المهضومة فإن الكيان الحقيقى لمنطقة الحياد لا يتحقق طالما كان للنفوذ الأجنبى قدم فيها وطالما كان ظل الاستعمار أو الإحتلال العسكرى قائماً فى أراضيها ، ولهذا وقفت الهند تنصر قضية أندونيسيا ، وفى دلهى عقد المؤتمر الأسيوى الذى دعا إليه نهرو وحضره ممثل لمصر فى يناير سنة ١٩٤٩ لإبداء وجهة نظر الدول الأسيوية فى مشكلة أندونيسيا وحملها إلى مجلس الأمن . وكما انتصرت الهند لقضية أندونيسيا فقد وقفت تنتصر للحركات الاستقلالية فى المستعمرات الإيطالية ، ولا سيما فى قضية ليبيا . . فوقفت ضد مشروع بيفن — سفورزا الذى كان يرمى إلى تقطيع أوصال ليبيا ، وحملت الأمم المتحدة على النظر إليها بعين أخرى ، وقبل الاقتراح الذى تقدم به المندوب الهندى فى سبتمبر سنة ١٩٤٩ بتعيين لجنة تضع أسس جمعبة تشريعية حقيقية لليبيا ، بعد أن أشار إلى الدور الذى قام به الجيش الهندى فى تحرير شمال أفريقيا ، ولا ننس تصريح نهرو خاصاً بالمسألة المصرية ، وهو التصريح الذى قال فيه : إنه لا يمكن حل المسألة حلا قانونيا بالإصرار على معاهدة بالية غير متكافئة ، كما أنه يعترض إطلاقا على احتلال قوات أية دولة لجزء من دولة أخرى ، أما من حيث قضايا تونس

ومراكش فقد عملت مع كتلة الشعوب العربية الأسيوية على عرض المشكلة وإدراجها فى جدول المسائل التى تعرض على هيئة الأمم المتحدة .

ويجىء فى الشق الثانى من دستور هذه المنطقة الثالثة التى يراها نهرو دعامة السلام العالمى ، علاقتها بكل من الكتلتين المتنازعتين ، ويرى نهرو أن تقوم هذه العلاقة على أسس من التعاون والمحبة لخير البشرية ولمصلحة السلام العام على قدم المساواة وهى لا ترفض اليد التى تمتد إليها بالسلام .

ويرى نهرو أن هذه المنطقة الثالثة بقوتها ومواردها قادرة على موازنة القوى فى العالم وصيانة السلام العام والدفاع عن حيادها ضد كل معتد .

هذه هى استراتيجية السلام كما يرسمها نهرو تقوم على أسس من الفهم العميق والإدراك الواقعى والعاطفة الصريحة النبيلة لحقيقة السلام والدوافع التى تدفع كل من الكتلتين للصراع وإثارة التوتر إعداداً للحرب التى يجهزان لها ، وقد أدركت مصر فى نهضتها الحاضرة هذه الحقيقة كما أدركتها كثير من الدول الأسيوية والعربية فأخذت تنادى بالحياد فى أى صراع لا ناقة لها فيه ولا جمل .

مؤتمر باندونج

أول مؤتمر من نوعه فى تاريخ آسيا وأفريقيا الحديث ولعله أول مؤتمر يضم دول القارتين القديمتين فى تاريخهما القديم والحديث على السواء فلم يرو التاريخ من قبل نبأ اجتماع مثل هذا العدد من الدول الأسيوية والأفريقية فى بلد من بلاد القارتين رغم ما بين القارتين من صلات ترجع إلى أبعد حدود التاريخ القديم .

ومؤتمر باندونج أو المؤتمر الأسيوى الأفريقى ظاهرة طبيعية لليقظة العارمة التى تجتاح بقاع القارتين القديمتين ، فتدفع شعوبها إلى التحرر والطموح والارتقاء ، وهو عنوان لتجاوب هذه الدول الأسيوية الأفريقية واتفاقها على هدف واحد مهما تباينت الوسائل واختلفت وجهات النظر .

فهذه الدول الأسيوية والأفريقية قد نزل عليها الاستعمار وعصف بكيانها فى مدى من الزمن متقارب لم يأفل حتى كانت كلها مطية ذلولا للاستعمار فى صوره وأشكاله العديدة التى تنتهى دائماً باستعباد المواطنين واستنزاف موارد الأرض وفرض السيطرة الاستعمارية على أسنة الحراب أو بوسائل المكر السياسى وأفانينه وأحابيله الملتوية الخادعة .

وأغلب هذه الدول الآسيوية الأفريقية دول لها حضارتها القديمة وتاريخها الطويل غلب عليها الاستعمار فى ساعة ضعف وفى هجعة من هجعات الطموح واليقظة والجد فاغتالها فى ضعفها وتمكن من الأرض والعباد وفرض عليها

---

(١) نشر بمجلة صرخة العرب العدد الخامس مايو ١٩٥٥

السيطرة والسلطان حتى إذا بدأت تفيق من غفوتها خاضت معركة طويلة من من معارك الكفاح والتحرر والاستقلال والتقدم والارتقاء .

وكانت يقظتها كما كانت غفوتها فى مدى من الزمن متقارب أيضاً فخاضت معركة الحرية فرادى ولكن فى جيل واحد ولقيت كل منها من الأخرى تأييداً معنوياً لم يرق إلى درجة التأييد المادى للحدود والقيود التى ضربها الاستعمار على كل منها ، وكان كفاح كل منها هدياً للآخرين وقدوة لهم فألهمت حركة مصر الوطنية حركة غاندى لتحرير الهند كما ألهمت حركة شقيقاتها من الدول العربية ، وكانت كل حركة للتحرير فى الشرق الأقصى تتجاوب أصداؤها فى الشرق الأدنى وكل فوز لاحداها تتردد أنباؤه بالفرح والاستبشار فى بقيتها فكان انتصار اليابان على الروس عام ١٩٠٥ انتصاراً للشرق على قوى الاستعمار الغاشمة فرح به الشرق من أقصاه إلى أدناه وهلل له وكبر ، وعندما هبت مصر فى ثورتها الوطنية الكبرى عام ١٩١٩ كانت الثورة تجتاح الهند وتمتد إلى العراق وسوريا والشمال الأفريقى وتعم كل بلاد القارتين القديمتين حتى إذا قدر لهذه الدول أن تظفر بحريتها واستقلالها رأت أن قيود الاستعمار الاقتصادى والفكرى والسياسى ما زالت تكبلها وتجذبها إليها بقيود محكمة لا تستطيع منها فكاكا وتعرضت لقوى عنيفة من الجذب السياسى يحاول أن يكبلها بقيود جديدة تجرها إلى حلبة الصراع العنيف بين الشيوعية والرأسمالية .

فالمؤتمر الذى عقد فى باندونج فى الثامن عشر من أبريل الماضى مرحلة من مراحل التقارب بين الدول الأسيوية والأفريقية هذا التقارب الذى سلك سبيله بعد الحرب العالمية الثانية حين ظفرت هذه الدول ببعض حريتها

واستطاعت أن تحطم القيود التى تفصل ما بينها وأن تبدى إلى جانب ما كانت تبديه من تأييد معنوى لبعضها البعض تأييداً مادياً ملموسا .

فمجموعة الدول الأسيوية الأفريقية أو الكتلة الأسيوية الأفريقية كما نسميها غالباً لم يكن قيامها إلا ظاهرة طبيعية لوحدة الهدف الذى تنشده جميعا وتقارب الغايات التى تحدوها وتدفعها فى المعترك العالمى الجديد .

ولقد بدأ هذا التقارب تحت وطأة ظروف معينة بعضها محلى و بعضها خارجى فأما الظروف المحلية فلأن بعضها قد تعرض لمحنة من محن كفاحها للحرية والاستقلال دفعت الآخرين لتأييدها فى كفاحها والوقوف إلى جانبها فى ثورتها وأما الظروف الخارجية فلأن هذه الدول وجدت أن من مصلحتها فى اجتماعات الأمم المتحدة أن تتخذ موقفاً واحداً لتكسب قوة من وراء هذا الإجماع .

فمجموعة الدول الأسيوية أو الكتلة الأسيوية الأفريقية لا يربط بينها ميثاق ولا تجمعها هيئة إقليمية و إنما تجتمع وتتشاور وتتعاطف تدفعها وحدة الهدف والمصلحة المشتركة وتقارب الغايات والمشارب كما جمع بينها من قبل الكفاح المشترك والعدو الواحد ، وهى تجتمع وتتعاطف كلما ألمت بإحداها ملمة أو حزبها الأمر للتجمع والتكتل فى أروقة الأمم المتحدة وخارج أروقتها .

وكانت المحنة التى تعرضت لها أندونيسيا فى كفاحها الأخير للاستقلال النور الذى أضاء بقاع آسيا وأفريقيا فجمع دولها ولم شملها حول فكرة واحدة هى فكرة تأييد هذا الشعب الشقيق فى كفاحه للحرية والاستقلال .

وكانت جامعة الدول العربية التى تكونت حديثاً أول من تقدم إلى الميدان فاتصل أمينها العام السيد عبد الرحمن عزام بالمستر أرشيبالد كلارك وكان

قد كلف بالتوسط لفض النزاع بين الأندونيسيين والهولنديين ، وطلب إليه أن يكون نصير الحق والعدل .

ولكن مستر أرشيبالد كلارك أبدى تحيزه الواضح للجانب الهولندى ، وكانت القوات الهولندية تحاصر البلاد وتحتل شرق جاوه وبورنيو حيث أقامت حكومتين مواليتين للتاج الهولندى .

وأنكرت الدول العربية حكم أرشيبالد وتحيزه الواضح فأرسلت أمانة الجامعة العربية خلال عام ١٩٤٧ سراً إلى قنصل مصر فى بومباى توصيه بالسفر إلى أندونيسيا والاتصال بالجنرال أحمد سوكارنو قائد حركة التحرير .

وأثمر هذا الاتصال ثمرته المرجوة فقام وفد أندونيسى إلى مصر التى أيدت حركة التحرير الأندونيسية ثم اعترفت روسيا بجمهورية أندونيسيا وتبعتها فى ذلك بقية الدول العربية .

وقررت الدول العربية وأندونيسيا رفع قضية العدوان الهولندى إلى مجلس الأمن ووقع الاختيار على الهند لتقوم بهذا الدور وبذلك وضعت القواعد الأولى لقيام كتلة أسيوية عربية تتساند وتتكاتف لمعونة بعضها البعض فى اجتماعات الأمم المتحدة وأمام مجلس الأمن .

وكان لهذا الموقف المشترك من الهند والدول العربية أثره فى اصدار قرار مجلس الأمن بوقف القتال وإرسال « لجنة المساعى » لتنفيذ هذا القرار وتسوية النزاع ودياً ، واستطاعت لجنة المساعى أن تحمل الطرفين على عقد اتفاق « رنفيل » فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٨ اعترفت فيه هولاندا باستقلال أندونيسيا وإقامة جمهورية اتحادية لولاياتها .

ولم ينته عام ١٩٤٨ حتى خرقت هولاندا الاتفاق فاجتاحت قواتها جاكرتا واحتلتها واعتقلت زعماء الجمهورية الجديدة وعلى رأسهم الدكتور سوكارنو والدكتور حته ونفتهم إلى جزيرة اريان التى تعرف بغينيا الجديدة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

وفى نفس اليوم ألقى البانديت نهرو خطاباً أمام الجمعية الوطنية الهندية ندد فيه بالإجراء الذى اتخذته هولاندا وحذرها من عواقب هذا العدوان ومن مخالفتها لمبادىء الأمم المتحدة .

وترك خطاب نهرو أصداءاً قوية فى جميع بقاع آسيا فاقترح رئيس وزراء بورما عليه دعوة مؤتمر أسيوى للنظر فى قضية أندونيسيا وتأييد الشعب الأندونيسى فى كفاحه ضد الاستعمار الهولندى .

وفى الحادى والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩٤٨ دعا نهرو تسع عشرة دولة للاجتماع فى مؤتمر نيودلهى ووضع القضية الأندونيسية على رأس جدول أعماله .

واشتركت فى هذا المؤتمر دول أخرى من غير آسيا كمصر واستراليا ونيوزيلندا والحبشة ، وبذلك تبلورت فكرة الكتلة الأسيوية الأفريقية كحقيقة واقعة دعا إليها هذا الظرف الطارىء .

وقد دعيت استراليا ونيوزيلندا حتى لايتهم المؤتمر بالتعصب العنصرى وليؤكد تعزيزه للأمم المتحدة فى القيام برسالتها فضلا عن اتصال الأمن الإقليمى فى المحيط الهادى بكيان الدولتين .

ودعيت الجامعة العربية فى شخص أمينها العام للاشتراك فى المؤتمر

ولكنها امتنعت فى النهاية عن قبول الدعوة فقد تمسكت بدعوتها كهيئة إقليمية لها كيانها المعترف به .

واعتذرت كل من تركيا وسيام عن حضور المؤتمر ، أما تركيا فلم ترد أن تخرج عن النطاق الذى تسير فيه عجلة الكتلة الغربية التى ربطت نفسها بها وأما سيام فقد رفضت لأن علاقاتها الودية بهولاندا تمنعها من حضوره .

وافتتح مؤتمر نيودلهى فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٩ فكان البداية الواقعية لتكوين كتلة الدول الأسيوية الأفريقية .

وتناولت خطب المؤتمر مستقبل آسيا والأمم الصديقة التى تسعى لحريتها .

وانتهى مؤتمر نيودلهى إلى إصدار قرارات وتوصيات لحل مشكلة أندونيسسيا وعرض المؤتمرون لتنظيم علاقات دائمة تربط بينهم فى تعاون واتصال وثيقين وناقش المؤتمر فكرة إنشاء هيئة إقليمية دائمة يتناول نشاطها جميع المشاكل التى تنشأ مستقبلا وتمس الدول الأعضاء .

وبدت الفكرة مبهمة بعض الشىء وقوبلت بشىء من الحذر من جانب جامعة الدول العربية فإن الجامعة العربية كانت تخشى كمنظمة إقليمية أن تذوب وسط هذه المنظمة العامة .

وبالرغم من هذا الغموض الذى أحاط بالفكرة والتنظيم العام لها فإن أغراضها كانت تبدو واضحة أمام العالم وردد الأعضاء هذه الأغراض فى خطبهم وتصريحاتهم وأصبحت تتبلور فى المبادىء التالية :

— حماية وتنمية المصالح المشتركة .

— تكوين جبهة متحدة فى وجه الاستعمار .

— الوقوف ضد كل اعتداء يقع من الدول الاستعمارية ضد الأمم التى تدافع عن حريتها .

وكان هذا الموقف الجماعى للدول الأسيوية والأفريقية التى اشتركت فى مؤتمر نيودلهى وتعضيد جامعة الدول العربية له أثره البارز فى نجاح الحركة الوطنية فى أندونيسيا واستقلالها ، مما حداها جميعاً إلى أن تجرب قوتها فى الأمم المتحدة فوقفت موقفاً مشتركاً عند النظر فى مصير المستعمرات الايطالية وقادها هذا النجاح الذى أحرزته وحققته إلى التفكير فى إنشاء كتلة ثالثة توازن بين العنف الذى تسلكه الكتلتان المتنازعتان وكان صاحب هذه الفكرة الزعيم السورى فارس الخورى .

وجاءت المشكلة الكورية فضاعفت من نفوذ هذه الكتلة الجديدة حين قامت الهند ومصر بدور الوسيط لحل المشكلة الكورية وبدا للدول العربية الأسيوية فى اجتماع الأمم المتحدة فى ديسمبر عام ١٩٥٠ أن توحد سياستها حيال المشكلة الكورية كما كان منها بالنسبة لقضية أندونيسيا وقضية المستعمرات الايطالية .

وتكونت الجبهة المتحدة للدول الأسيوية والأفريقية فى اجتماع دعا إليه مندوب الهند فى نيويورك من ثلاث عشرة دولة عربية وأسيوية هى مصر والمملكة العربية السعودية والعراق ولبنان وسوريا والباكستان وإيران وتركيا وسيام وأفغانستان وبورما والفيليبين والهند . وانتهى هذا الاجتماع بإصدار نداء مشترك إلى الصين الشعبية وكوريا بالتزام خط عرض ٣٨ .

وفى هذا الاجتماع تبلورت فكرة تكوين المجموعة الأسيوية الأفريقيه بعد الإبهام الذى أحاط بتنظيمها فى مؤتمر نيودلهى وانضمت إليها دول جديدة من أفريقيا هى أثيوبيا وليبيريا إلا أن هذه المجموعة لم تأخذ شكل المنظمة أو الكتلة وإن برهنت على أنها أقوى من الكتلة وأكثر تجاوباً من المنظمة .

وقد عرفت هذه المجموعة فى بعض الأحيان باسم الكتلة العربية الأسيوية وفى أحيان أخرى بالكتلة الأسيوية الأفريقية فقد كانت الدول العربية أبرز عناصرها إلى جانب العناصر الأسيوية ، ولكنها بعد أن ضمت دولا أخرى من أفريقيا غير الدول العربية أصبحت تعرف باسم كتلة أو مجموعة الدول الأسيوية الأفريقية .

فمؤتمر باندونج هو الصورة الأخيرة لتطور العوامل المشتركة التى جمعت بين الدول الأسيوية الأفريقية هذه العوامل التى ترجع فى أصولها الأولى إلى خضوع هذه الدول للاستعمار الأوروبى ثم يقظتها وكفاحها للحرية والاستقلال وأخيراً الرغبة فى تدعيم كيانها فى المجتمع الدولى الجديد ، وحماية مصالحها المشتركة وتقوية علاقاتها بعضها ببعض .

وجاءت فكرة عقد مؤتمر أسيوى أفريقى من وحى أندونيسيا فى اجتماع دول كولومبو الذى عقد فى مايو سنة ١٩٥٤ ، فقد اقترحت عقد مؤتمر يضم الدول العربية والأسيوية التى تتعاون فى هيئة الأمم المتحدة وحددتها بثمان عشرة دولة . وفى اجتماع « بوجور » الذى عقدته دول كولومبو فى أواخر ديسمبر من نفس العام قررت هذه الدول توجيه الدعوة إلى الدول المستقلة فى

آسيا وأفريقيا ماعدا اتحاد جنوب أفريقيا بسبب سياسته القائمة على التمييز العنصرى وكوزيا للاختلاف على وضعها السياسى وإسرائيل لمعارضة الدول العربية فى دعوتها ورأت الهند دعوة الصين الشيوعية وإغفال دعوة الصين الوطنية اعترافاً بحقيقة الأمر الواقع .

ووجهت الدعوة إلى أربع وعشرين دولة عدا دول كولومبو فيكون عدد الدول المشتركة فى المؤتمر تسعا وعشرين دولة .

ولم تشأ اللجنة التحضيرية للمؤتمر أن تعد جدولا للأعمال ولكنها وضعت أمام المؤتمرين مبادىء أساسية هى :

— توطيد وتنمية العلاقات الأسيوية الأفريقية القائمة على الصداقة والتعاون .

— دراسة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبلاد المشتركة وأوجه الشبه فيما بينها .

— دراسة مشاكل آسيا وأفريقيا القومية والنظر فى السياسة العنصرية والاستعمارية فيهما .

— دراسة وضع آسيا وأفريقيا فى عالم اليوم والجهود التى يمكن أن تبذلاها لدعم السلام العالمى وتوطيد التعاون بين أمم العالم قاطبة .

ومثلت الدول المشتركة بوفود قوية كان على رأس بعضها رؤساء الحكومات ومثلت جامعة الدول العربية فى شخص أمينها العام السيد عبدالخالق حسونة داخل الوفد المصرى. وعقد المؤتمر فى جو من الحماس والتأييد لقضية السلام العام وعرض المؤتمرون لقضايا بلادهم فضلا عن القضايا الدولية العامة واتخذوا عدة قرارات

وتوصيات للتعاون الاقتصادى والثقافى والسياسى، وفى أروقة المؤتمر تبلورت فكرة التعايش السلمى فى مبادىء أقرتها اللجنة السياسية ووافق عليها المؤتمرون وهى :

١ — احترام حقوق الإنسان الأساسية ، وأغراض ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة .

٢ — احترام سيادة جميع الأمم وسلامة أراضيها .

٣ — الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس وبين جميع الأمم كبيرها وصغيرها .

٤ — الامتناع عن أى تدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخر .

٥ — احترام حق كل أمة فى الدفاع عن نفسها انفراديا أو جماعيا وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٦ — الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى والكف عن استخدام وسائل الضغط على أى بلد آخر .

٧ — تجنب الأعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسى لأى بلد من البلاد .

٨ — تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، كالتفاوض أو التوفيق أو التحكيم أو التسوية القضائية أو أية وسيلة سلمية أخرى تختارها الأطراف المعنية وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٩ — تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل .

١٠ — احترام العدالة والالتزامات الدولية .

« ويعلن المؤتمر الأسيوى الأفريقى عن إيمانه بأن التعاون الصادق وفق هذه المبادىء يؤدى حقا إلى كفالة السلام والأمن العالميين وتوطيد أركانهما ، كما أن التعاون فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية يؤدى إلى الازدهار العام والخير الشامل .

وأوصى المؤتمر الأسيوى الأفريقى بأن تتولى البلاد الخمس الداعية لهذا المؤتمر ، العمل لعقد المؤتمر المقبل بالتشاور مع سائر البلاد المشتركة فى المؤتمر ».

ولا شك أن مؤتمر باندونج وما تمخض عنه من قرارات وتوصيات سيكون خطوة عظيمة الأثر فى تقرير مصير الإنسانية التى تتأرجح على أهواء الصراع الحاد بين الكتلتين الشرقية والغربية .

الباب الثالث

البترول

١ — الخليج الفارسى مركز الثقل الدولى الجديد

٢ — بترول الشرق الأوسط فى السلم والحرب

٣ — قصة البترول السعودى

٤ — أنابيب البترول فى الشرق الأوسط

الخليج الفارسى

مركز الثقل الدولى الجديد فى الشرق الأوسط

مازال الشرق الأوسط يحتل مكانته الخالدة إن لم تزد فى التاريخ ، وفى صراع الأطماع السياسية وتناحرها الدائم ، وفى غمار العراك الدولى والتنافس على السيادة الاستعمارية والنفوذ العالمى . فنى هذا الشرق الأوسط يوم لم يكن فى العالم المعروف غيره ، نشأت الحضارات ، و بعثت الأديان ، واندفعت من فيافيه الهجرات البشرية تجتاح البطاح والوديان ، وتعمر أنحاء العالم المجهول . وفى تلك الرقعة الفسيحة من أرضه تلاقى الشرق والغرب ، فاعترك على أديمه الفرس والإغريق ، وطوته محاربة الإسكندر كما طوته محاربة دارا ، وشهد غزو قيصر وهرقل ، كما شهد اندفاع فرسان العرب ، تحدوهم العقيدة و يدفعهم الإيمان نحو الشرق إلى جبال الهملايا ، ونحو الغرب إلى مزاهر الأندلس وروابيها الفياحة ، ثم طالع أعلام بنى عثمان ترفرف على ربى القسطنطينية ، وتخفق على بطاح البلقان وسهول الدانوب إلى أسوار فينا ، حتى إذا انتابهم ماينتاب الأمم فى شيخوختها نكصوا على أعقابهم أمام الضغط الأوربى الزاحف من الغرب ليقيم دعائم استعماره الحديث و يوطد أركانه طاويا إليه فى البحار الموسمية وفى الشرق الأقصى رقعة الشرق الأوسط الفسيحة التى أضحت قنطرة العبور إلى كنوز الشرق البعيد .

وفى تلك المراحل المتعاقبة من سير التاريخ لم يفقد الشرق الأوسط

مجلة المقاء م ٦ عدد ٢٣ فى يولية ١٩٥٣

أهميته التى هيأتها له الطبيعة منذ القدم . حتى إذا اندفعت قوى الاستعمار الحديث تغزوا العالم وتبسط نفوذها عليه ، جعلت تنزو على دول الشرق الأوسط وبقاعة المختلفة لتحمى طريق العبور إلى مستعمراتها البعيدة ، وما أن أهل القرن العشرين حتى تفجرت أرضه عن كنوزها السوداء ، فأصبح مهوى الاستعمار وغايته بعد أن كان معبره وقنطرته .

فقد تفجر الشرق الأوسط عن أوفر فيض بترولى فى العالم فى وقت أصبح البترول فيه عصب الصناعة والحرب ، وأضحت أهمية هذا الشرق الأوسط تتعلق بفيضه البترولى أكثر مما تتعلق بممراته المائية وطرقه البرية ، لا سيما وقد أخذت دولة الاستعمار فى الشرق البعيد سبيلها إلى الزوال ، وأصبحت ممرات الشرق الأوسط المائية وطرقه البرية معبر البترول وحاملاته وأنابيبه فحسب ، فلم تعد هذه الممرات المائية والطرق البرية مركز الصراع الدولى فى الشرق الأوسط بل أصبحت مناطق البترول هى موطن هذا الصراع الدولى فغدت بذلك مركز الثقل الدولى الجديد .

لقد كان مركز الثقل الدولى فى الشرق الأوسط يتركز فى قناة السويس أهم شريان مائى يربط الشرق بالغرب ، ويربط مواصلات الامبراطورية البريطانية أعظم امبراطورية استعمارية فى العصر الحديث يوم إن كان الشرق الأوسط قنطرة العبور فحسب ، فشغلت حرية المرور فى قناة السويس وحمايتها والسيطرة عليها أمر أوربا فعقدت بشأنها معاهدة الآستانة لضمان حمايتها وتنظيم المرور عبرها عام ١٨٨٨ ، وكان الاحتلال البريطانى قد جثم فوقها قبل ذلك بست سنوات ، فكان وضعه أعجب وضع بالقياس

إلى أوضاع القانون الدولى ، و إلى ما نصت عليه معاهدة الآستانة من تقرير حماية القناة والدفاع عنها لمصر ، ودولة الخلافة صاحبة السلطة الشرعية على مصر .

ولم تكن أهداف السياسة البريطانية فى هذا القطاع من الشرق العربى لتدور إلا حول اهتمامها بالسيطرة على القناة وحماية المواصلات الإمبراطورية . فلم يكن تقدير بريطانيا لاحتلال قبرص وفلسطين ، و إقامة قاعدة عسكرية فى شرق الأردن إلا بقصد حماية قناة السويس و إبعاد أى نفوذ أجنبى عن الاقتراب منها . فحين انتهجت ألمانيا سياستها الشرقية على أساس أحياء طريق الجزيرة البرى عبر الأناضول والعراق لتتفادى النفوذ البريطانى فى مصر وقامت بمشروع سكة حديد بغداد ليمكنها من الوصول إلى أهدافها الاستراتيجية والاقتصادية والاستعمارية بعيداً عن سطوة الأسطول البريطانى آثارت فزع بريطانيا وانتباهها إلى الخطر الألمانى الذى يهدد مواصلاتها عبر الشرق الأوسط فكان هذا بداية الاهتمام البريطانى برأس الخليج الفارسى فقد كانت الكويت هى نهاية خط بغداد كما وضع مشروعه الألمان . ولم تكن قواعد الخليج الفارسى البحرية حينذاك إلا قواعد لحماية المواصلات الامبراطورية عبر قناة السويس إلى الهند فعملت بريطانيا على تأمين رأس الخليج من أى محاولة برية لقطع الطريق البحرى للإمبراطوية فى أضعف نقطة فيه وأقربها إلى الهند هدف الغزو المباشر فإن أى قوة تستطيع السيطرة على قواعد الملاحة فى الخليج الفارسى والبحر العربى يمكنها أن تهدد طريق المواصلات البحرى إلى الهند والشرق الأقصى تهديداً خطيراً ، فلم تكن أهمية الخليج

الفارسى إذن لتدور إلا حول حماية الطريق البحرى الذى يعبر قناة السويس ، فهى بذلك أهمية ثانوية بالقياس إلى أهمية قناة السويس للمواصلات الإمبراطورية .

وقد ظلت قناة السويس لهذا مركز الثقل الدولى فى الشرق الأوسط حتى نهاية الحرب العالمية الثانية التى انتهت بسقوط الامبراطورية البريطانية الأسيوية وإن ظلت امبراطوريتها الأفريقية ورابطة الكومنولث تحتمان على بريطانيا ضرورة السيطرة على القناة والعناية بأمرها ، إلا أن قناة السويس لم تعد فى المكانة التى كانت تحتلها من قبل بين تيارات السياسة العالمية والتنافس الدولى والصراع القائم بين الكتلتين الشيوعية والرأسمالية ، فإن تيارات السياسة العالمية لم تعد تدور حول التملك والسيطرة بقدر ما أصبحت تدور حول الغزو الاقتصادى والسيطرة التجارية ، ولم يعد التنافس الدولى يدور حول مواطن النفوذ بقدر ما أصبح يدور حول مواطن الاستغلال والاستثمارات المالية ، ولم تعد قناة السويس طريق الاقتراب الوحيد أمام الكتلة الشيوعية لغزو العالم فإن الكتلة الشيوعية تسيطر على جبهة متسعة تمتد من ضفاف الباسفيك إلى ضفاف الأطلنطى وتطل على طرق الاقتراب الرئيسية من الشمال إلى الجنوب فى أوربا وأفريقيا وآسيا ، ولم تعد القناة الهدف الرئيسى للاقتراب ، بل أصبحت كغيرها هدفاً من الأهداف العديدة كالسيطرة على البحر الأصفر ، والنزول إلى خليج البنغال والاقتراب من رأس الخليج الفارسى وبحر أيجة ، والسيطرة على مضيق صقلية ورأس بون وغزو جبل طارق والسيطرة على مضيقه .

وأصبحت طرق الاقتراب فى الشرق الأوسط هدفا ثانوياً بالقياس إلى

أهميته الجديدة التى يستمدها من نبع بتروله الغزير ومخزونه الضخم من هذه المادة التى أصبحت هدف الاستثمارات المالية الكبرى ، كما أصبحت عصب الصناعة والحرب . ولم تعد أهمية الشرق الأوسط فى توسط موقعه فى العالم القديم فحسب بل أصبحت أهميته تتعلق بتلك المادة الحيوية التى تنبعث من أرضه والتى تعرف بالذهب الأسود . والهدف الرئيسى من السيطرة على الشرق الأوسط أو غزوه هو الاستيلاء على بتروله وتملكه والسيطرة عليه . والدفاع عن الشرق الأوسط فى حقيقته يدور حول حماية المصالح البترولية للغرب فى بقاعه فقاعدة الظهران الجوية هى لحماية آبار القطيف ودمام و بقيق ورأس التنورة على ساحل الخليج الفارسى للمملكة العربية السعودية . والنزاع بين البريطانيين والسعوديين على واحة البريمى يدور فى حقيقته حول السيطرة على منابع البترول المقدرة فى تلك المنطقة ، فإن سيطرة السعوديين عليها يحرم بريطانيا من كسب امتيازها ، والملك السعودى يميل بطبعه إلى منح الامتيازات البترولية للشركات الأمريكية ، وهذا بعكس مما لو كانت واحة البريمى تابعة لمشيخة أبو ظبى كما تدعى بريطانيا ، فإن مشيخة أبو ظبى تربطها ببريطانيا معاهدة حماية واستغلال ونفوذ . وقاعدتا البصرة والحبانية فى العراق هما لحماية بترول كركوك والموصل ، والقواعد العسكرية الأخرى فى الشرق الأوسط وإن كانت بقصد الدفاع عن الشرق الأوسط ليست فى الحقيقة إلا لحماية بتروله والدفاع عنه حتى أن الاستخدام الاستراتيجى لقاعدة القناة كما يراه الغرب بعد أن فقدت القناة آمنها الملاحى فى الحربين الأخيرتين ليس إلا لحماية ناقلات البترول التى تعبره من إيران وساحل الحسا إلى البحر الأبيض المتوسط . فالأهمية الكبرى للشرق الأوسط تكمن فى بتروله ، ويكفى أن نقول إن

سدس الاستثمارات المالية لأمريكا فى الخارج هى للشركات البترولية فى الشرق الأوسط ، ولا تقل الاستثمارات المالية لبريطانيا عن ذلك أبداً إن لم تزد نسبياً بالقياس إلى جملة رأس المال البريطانى المستثمر فى الخارج .

والنفوذ السياسى للدول الكبرى فى الشرق الأوسط يكمن وراء البترول ، فقد كانت شركة البترول الإيرانية الإنجليزية دولة داخل الدولة فى إيران ، وشركة البترول العراقية دعامة من دعائم النفوذ البريطانى فى العراق ، وإن كان رأس مالها قسمة بين الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين والهولنديين وكذلك شركات البترول فى الكويت والبحرين وقطر والمحميات كلها شركات لها نفوذها السياسى والاقتصادى فى تلك البلاد .

بقى أن نعرف أن بترول الشرق الأوسط ينبع كله من ذلك الحوض البترولى الضخم تحت أرض الخليج الفارسى والمناطق المجاورة له ، حتى ندرك كيف تحرك مركز الثقل الدولى فى الشرق الأوسط إلى الخليج الفارسى بعد قناة السويس ، وكيف ترتبط الأحداث السياسية فى الشرق الأوسط بقوة هذه الشركات البترولية فيه وكيف تتلاقى وتشتبك أحابيل السياسة الدولية فى تلك البقعة.

أما أن هذه المنطقة لا تجذب إليها دوامة التيارات السياسية والاستراتيجية فى الشرق الأوسط كما تجذبها العواصم الكبرى لدوله كطهران وبغداد والقاهرة والرياض ، فلأن الاهتمام الحقيقى يدور حول السيطرة على المنطقة بأجمعها لضمان بقاء السيطرة على بتروله ، والتيارات السياسية لا تدور إلا بين الحكومات وفى عواصم الدول ، وإن بدت هذه العواصم جاهلة بحقيقة هذا الاهتمام فلأنها قد شغلت بقضاياها الوطنية الكبرى وما عرفت أن العقدة التى

تكمن وراء تحقيق أمانيها الوطنية هى فى تلك المصالح المالية والاقتصادية للغوب ، ثم أن أغلب جهات الخليج الفارسى خاضعة للحماية البريطانية وليس لها الكيان الدولى الكامل وليست لها قوة الدولة ووضعها المعروف ، فكلها إمارات أو مشيخات صغيرة محدودة المساحة ليس كيان دولى واضح وتقع تحت حماية بريطانيا وتخضع للنفوذ البريطانى ، فالبحرين والكويت وقطر ومشيخات الساحل العمانى كلها خاضعة للنفوذ البريطانى منذ بداية الجولة الاستعمارية الكبرى لبريطانيا فى الشرق ، فقد نزلت بريطانيا إلى هذه المناطق بقصد حماية تجارتها من غارات قراصنة الخليج الفارسى ، ثم أخذت تزيد من اهتمامها بها نتيجة لتطورات السياسة الدولية ومحاولة بعض الدول الكبرى المنافسة لها كفرنسا وألمانيا الاقتراب من هذه المناطق وتطور الاهتمام البريطانى بها من حماية التجارة البريطانية وتأمينها إلى السيطرة على موارد الخليج الاقتصادية فاحتكرت امتيازات صيد الأسفنج واللؤلؤ ، وصناعة السفن فى الخليج . ونصت المعاهدات التى أبرمتها مع شيوخها وسلاطينها على ذلك ، كما نصت على ألا يتنازل سلاطينها وشيوخها عن أى جزء من أراضيهم دون الرجوع إليها وموافقتها ، كما حرمت عليهم عقد معاهدات أو اتفاقيات مع أية دولة أخرى غيرها . حتى إذا نبع بترولها نصت المعاهدات المجددة على ألا تمنح امتيازات البترول لدولة غير بريطانيا أو لشركة غير الشركات البريطانية حتى أن امتياز شركة بترول البحرين ، وهى فرع لشركة كاليفورنيا ستاندارد ، لم تستطع الشركة كسبه إلا بعد أن سجلته فى كندا حتى يوائم التزامات شيخ البحرين للحكومات البريطانية بأن تكون

امتيازات الاستثمار من حقها وحدها ، وسجل الامتياز للشركة الأمريكية بشروط سخية لبريطانيا كتعيين بعض المندوبين الإنجليز بالشركة واستخدام أغلبية الموظفين من رعاياها .

وبقيت هذه المنطقة فى ظاهر الأمر بعيدة عن دوامة السياسة الدولية فى الشرق الأوسط إلا أنها فى الحقيقة السر الأكبر الذى يكمن وراء تياراتها المتضاربة بالرغم من طهران وبغداد والقاهرة والرياض ، فهى المركز الحقيقى للثقل الدولى الجديد فى الشرق الأوسط .

بترول الشرق الاوسط
فى السلم والحرب

يخط البترول فى تاريخ الشرق الأوسط صفحة من أهم وأروع صفحاته ، كتبت أولى سطورها وما زالت سطورها الباقية فى ضمير الغيب وإن دلت عليها البوادر كما يدل على عراقتها وعظم آثارها ما يحيط بتلك البلاد من صراع السياسة الدولية وما يتدفق على جنباتها من ذهب نضار يبعث فى صحاريها وقفارها القوة والحياة والنضارة .

وقد نبع بترول الشرق الأوسط فى وقت لاحت فيه مقدرات أهمية البادية ، ففى عام ١٨٨١ ظهر المصباح الكهربائى الذى اخترعه « أديسن » وشاع استعماله حتى كاد يهدد المصباح البترولى بالزوال والفناء فخيم يأس مفزع فى دوائر الاستثمار البترولى ، ولم يمض وقت طويل حتى ظهر محرك صغير يدار بقوة البنزين للمهندس الألمانى « جوتليب » فعاود البشر دوائر الاستثمارات البترولية ، وأخذت الأواسط المالية والصناعية تتحدث عن هذا المحرك الصغير وما يمكن أن يحدثه من تطور وانقلاب فى عوالم الصناعة والمواصلات .

وحققت الأيام دواعى الأمل الجديد ، فلم يعد استعمال البترول قاصرا على أغراض الإضاءة ، بل أصبح عنصراً هاما من عناصر الصناعة والمواصلات الحديثة ، وأخذت مشتقاته المختلفة تدخل فى مختلف الصناعات الأخرى كالنسيج ، ودباغة الجلود ورصف الطرق بل وفى التبخير الزراعى وصناعة المخصبات وإبادة الحشرات الزراعية والحيوانية والمنزلية ، هذا فضلا عن استعماله اليومى المنزلى فى كثير من بقاع العالم التى تنقصها القوى الكهربائية وأضحت

الحضارة والعمران والتقدم الآلى الرائع والتطور الصناعى العظيم فى هذا القرن تدين بمقوماتها للبترول ولم يعد الفحم المصدر الوحيد للقوى المحركة ، وقد لعب الفحم قبل ظهور البترول دوره العظيم فى قيام الصناعة الآلية وتقدمها حتى أصبحت مواطن الفحم مواطن الصناعة الحديثة فى الدول المتقدمة وقوام التقدم الآلى فى الدول الصناعية الكبرى ، كانجلترا وألمانيا والولايات المتحدة ، وما أن ظهرت آلة الاحتراق الداخلى حتى أصبح البترول قوام التقدم الآلى العظيم ومصدر القوى المحركة الكبرى فى العالم ، وأخذت الدول الصناعية الكبرى تتهافت على موارد البترول ومنابعه تستثمرها وتحتكر فيضها طلبا للربح واحتفاظا بقدرتها الصناعية التى أقامتها على كاهل الفحم من قبل .

وجاءت هذه الحاجة إلى البترول والشرق الأوسط لم ينبض بعد بفيضه الغزير ففى نهاية التسعينات من القرن التاسع عشر نبع بترول رومانيا وفى عام ١٨٦٣ أنتجته روسيا واستغل فى بورما عام ١٨٨٩ وفى جزر الهند الهولندية عام ١٨٩٣ ، ولم يبدأ البحث عن بترول الشرق الأوسط إلا فى عام ١٩٠١ أثر الامتياز الذى ناله دراسى من شاه فارس ، ولم تنبض بلاد فارس ببترولها الغزير إلا فى ٢٨ يونيه عام ١٩٠٨ فى مسجدى سليمان وفى العام التالى تألفت شركة البترول الانجليزية الفارسية ولم يبدأ انتاجها التجارى إلا فى عام ١٩١١ وفى الوقت الذى نبع فيه بترول فارس فى مسجدى سليمان نبع البترول فى مصر فى رأس جمسة وبعد ذلك بسنوات قليلة كشف عنه فى الغردقة ولكنه كان دون بترول فارس من حيث كمياته الانتاجية والاحتياطية بكثير وأخذت الأبحاث البترولية تجرى فى كثير من بلدان الشرق الأوسط كالعراق ومصر .

وتكونت الشركات الاستغلالية و بدأت جولة الصراع الأكبر حول امتيازات البترول وئيدة لتشتد وتعظم على مر السنين ، ولم ينتصف القرن العشرين حتى أسفر الصراع عن فوز أمريكا و بريطانيا وهولندا وفرنسا بكافة الامتيازات البترولية فى تلك المنطقة التى أخذ انتاجها يتزايد و ينمو على الدوام فقفز فى عام ١٩٢٨ إلى ٦ر٣ ٪ من الإنتاج العالمى وارتفعت هذه النسبة بعد مضى عشرة أعوام إلى ٦ر٤ ٪ و بلغت قمتها عام ١٩٥٠ فأصبحت ٣ر١٨ ٪ و إن تناقصت هذه النسبة فى السنتين التاليتين فبسبب توقف الإنتاج الإيرانى إلا أنها تبشر بالزيادة والنمو إذا ما استغلت مقدراته استغلالا كافياً بالنسبة لوفرة مخزونه واحتياطيه الثابت الذى يبلغ أكثر من نصف الاحتياطى العالمى كله و بالرغم من هذا فإن انتاجه يقع فى المرتبة الثانية بين المناطق المنتجة للبترول فى العالم ولا يفوقه فى هذه الناحية إلا انتاج الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن احتياطيه يبلغ ضعف احتياطيها وتفوق الزيادة المطردة فى إنتاجه الزيادة المطردة فى أية منطقة أخرى من مناطق انتاجه فى العالم فقد بلغت ستة أضعافها فى السنوات العشرة الأخيرة بينما بلغت خمسة أضعافها فى كندا وضعفين وربع فى فنزويلا وأكثر من ضعفيها فى الشرق الأقصى ولم يصل الإنتاج فى الولايات المتحدة إلا إلى ٦٥ ٪ من انتاجها الأصلى ونقص الإنتاج فى أندونيسيا بنسبة ١١ ٪ من انتاجها الأصلى . و بذلك ظهرت أهمية الشرق الأوسط كأعظم مناطق الإنتاج البترولى فى العالم والمنطقة التى تنطوى على نصف المخزون العالمى الثابت .

والدول المنتجة للبترول فى الشرق الأوسط هى إيران وهى أولى مناطق انتاجه وأول ما نبع بفيضه بين بلدانه وظلت حتى الوقت الحاضر أعظم مورد له

فى الشرق الأوسط كله وتدل الأبحاث على وجود أماكن عديدة فى إيران لم تستغل بعد ولا تقل مقدراتها عن مقدرات المناطق المستغلة و إن كان هناك من يقول أن البحيرة البترولية فى تلك البلاد يتصل بعضها ببعض ، ويؤثر بعضها على البعض الآخر . وتمتد منطقة الإنتاج البترولى فى إيران على شكل قوس يرتكز وتره على سفوح جبال زاجروس بطول ١٨٠ ميلا من عبدان عند مصب شط العرب فى الخليج الفارسى ، وتضم سبعة حقول رئيسية ، هى مسجدى سليمان وأغا شارى وحفط كل وصفد ولالى فى إقليم خوزستان وشاه فى إقليم كرمنشاه وكاش ساران فى إقليم فارس و بلغ الإنتاج الإيرانى قمته عام ١٩٥٠ قبل أن تقع أزمة التأميم فوصل إلى ٣٢٫٣٥٩٫٠٠٠ طناً متريا ، وتعتبر إيران ثالث دولة منتجة للبترول فى العالم ، وتحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى وفنزويلا المرتبة الثانية وفى عبدان أكبر معمل لتكرير البترول فى العالم و يصب فيه أحد عشرة خطاً لنقل البترول الخام .

وكانت مصر ثانى دولة تنتج البترول فى الشرق الأوسط . فقد بدأت أبحاث التنقيب فيها مبكرة عنها فى أى مكان آخر فى الشرق الأوسط وذلك على الشاطئ الغربى لخليج السويس والبحر الأحمر وفى شبه جزيرة سيناء ونبع بترول جمسه والغردقة قبيل الحرب العالمية الأولى ، وفى عام ١٩٢١ اكتشف حقل أبو دربة وفى خلال عام ١٩٣٨ أكتشف حقل رأس غارب و إليه يرجع الفضل فى إمداد البلاد بالبترول خلال الحرب العالمية الثانية وأخيراً كشف حقلا سد روعسل .

وفى عام ١٩٥١ بلغ الإنتاج العام ٢٫٣٥٨٫٤٠٣ طناً متريا لا يكفى غير ٦٨ ٪ من حاجة الاستهلاك المحلى ومالم يزد الانتاج عن مقدراته الحالية فإن

من المقدر أن تستورد البلاد بثلاثين مليوناً من الجنيهات لتغطية مطالبها البترولية المتزايدة فإن أكثر من ٨٧ ٪ من مصادر القوى المحركة فى مصر تعتمد على البترول وفى مصر معملان للتكرير أحدهما تابع لشركة آبار الزيوت وطاقته السنوية حوالى مليونى طن والآخر حكومى وطاقته السنوية حوالى ثلث مليون طن .

وفى الوقت الذى نبع فيه البترول فى جمسة والغردقة نبضت أرض العراق ببعض فيضها ، ولكنه لم يواز تكاليفه مما دفع الأتراك إلى التخلص من نصيبهم فى أسهم شركة البترول التركية التى تأسست عام ١٩١٢ ، كما نقل بنك تركيا الوطنى — وهو خاضع لرأس المال الإنجليزى — حصته إلى شركة البترول الإنجليزية الفارسية ، وما لبثت شركة البترول التركية أن حصلت على امتياز التنقيب فى منطقتى الموصل و بغداد من الحكومة العثمانية وعرفت هذه الشركة باسم شركة البترول العراقية منذ عام ١٩٢٩ وتمثل رأس المال الإنجليزى والهولندى والفرنسى والأمريكى فقد اقتسمت فيما بينها أسهم الشركة بالتساوى ما عدا ٥ ٪ من رأس المال المساهم تركت لشركة جلبنكيان الأرمنى الأصل وأحد ملوك البترول فى العالم ، وتكونت شركات أخرى فيما بعد لاستثمار البترول فى المناطق التى لم يشملها امتياز شركة بترول العراق منها شركة خانقين للنفط وشركة نفط الموصل وشركة نفط البصرة .

وتحتل العراق المرتبة الثامنة بين الدول المنتجة للبترول فى العالم ، والمرتبة الرابعة بين دول الشرق الأوسط ، وقد وصل الإنتاج العراقى عام ١٩٥٢ إلى ١٨ مليون

طن إذ بدأ استغلال حقل الزبير جنوب شرق العراق ويبشر بمستقبل فى الإنتاج مرموق . وينقل بترول العراق إلى شواطىء البحر المتوسط عبر الأنابيب الممتدة من كركوك إلى الحديثة ، حيث تتفرع إلى شعبتين تتجه إحداهما إلى طرابلس والأخرى إلى حيفا ، وقد ازدوجت هذه الأنابيب فيما بعد كما مد خط آخر من كركوك إلى بانياس ، وهناك خط آخر من حقل الزبير إلى ميناء الفاو القريب من مصب شط العرب ، وفى نهاية خط الأنابيب إلى حيفا أقيم معمل حيفا لتكرير البترول غير أنه معطل منذ احتلال فلسطين .

ولم يبدأ التنقيب عن البترول فى شبه الجزيرة العربية إلا فى فترة ما بين الحربين وفاض البترول فى كثير من نواحيها ، ولما تبدأ الحرب العالمية الثانية ، وعم البشر شركات الاستثمار التى نزلت بأموالها وجهودها وأبحاثها إلى هذه البقاع المقفرة الفقيرة ، فقد دلت الأبحاث كما دلت غزارة الفيض على عظم ما ينتظرها من مستقبل بترولى باهر ، وكانت شركة بترول البحرين وهى فرع من شركة كاليفورنيا ستاندارد أول ما نزل إلى الميدان فقد نالت امتيازها فى البحرين عام ١٩٣٠ وبلغ إنتاجها عام ١٩٣٨ حوالى ١٣٨,٠٠٠ ,١ طناً متريا وهبط هذا الإنتاج خلال سنوات الحرب ، ولكنه عاد إلى الزيادة بعدها حتى وصل عام ١٩٥٠ إلى ١,٥١٢,٠٠٠ طناً مترياً ، ويقدر احتياطى المنطقة بحوالى ٢٢٪ من الاحتياطى العالمى ، وفى عام ١٩٣٦ أنشىء معمل للتكرير طاقته السنوية ٥,٢٠٠,٠٠٠ طناً يستكمل حاجة هذه الطاقة من بترول الظهران تنقله إليه أنبوبة تمتد تحت مياه البحر .

وفى عام ١٩٣٣ نالت شركة بترول الكويت امتياز الاستغلال فى

أمارة الكويت ويقتسم رأسا المال الإنجليزى والأمريكى أسهم الشركة وبدأ الفيض الغزير والإنتاج الوافر للشركة بعد الحرب العالمية الثانية ، حتى وصل عام ١٩٥٢ إلى ما يقرب من ٣٫١٣٦٫٠٠٠ طناً وترجع أهمية هذه المنطقة إلى عظم احتياطيها الثابت ، ويقدر بنحو ١٤٫٠٥ ٪ من الاحتياطى العالمى ، وهناك معمل للتكرير فى الأحمدية طاقته اليومية ثلاثون ألف رطل يكفى لسد حاجيات الكويت .

وبدأت أعمال التنقيب فى قطر عام ١٩٣٨ وتمت فى أوائل عام ١٩٤٠ حيث بلغ الإنتاج اليومى خمسة آلاف برميل ، وتوقفت عمليات التنقيب خلال الحرب ثم استؤنفت عام ١٩٤٧ ، وبدأ الإنتاج التجارى عام ١٩٥١ وفاضت الآبار فى حقل دخان بأربعين ألف برميل يوميا ، ويعادل احتياطى بترول قطر ٠٫٦٤٪ من الاحتياطى العالمى ، وصاحب امتياز الاستغلال فى قطر شركة تنمية بترول قطر ويملك رأس المال المساهمون فى شركة بترول العراق بنفس نسبة التوزيع بينهم .

ونالت شركة البترول العربية الأمريكية المعروفة بأرامكو امتيازاً للتنقيب فى إمارة الحسا من المملكة العربية السعودية ورأس ما لها أمريكى خالص. تقتسمه شركات كاليفورنيا ستاندارد ونيوجرسى ستاندارد وتكساس وسوكونى فاكوم وصدرت أول كمية من البترول السعودى فى منتصف عام ١٩٣٨ وتوالى حفر الآبار فى دمام وبقيق والقطيف حتى بلغت ١١٨ بئراً فى نهاية عام ١٩٥١ ولم يتعد الإنتاج عام ١٩٤٥ بسبب الحرب وتعطيل أعمال التنقيب ٢٫٨٧٢٫٠٠٠ طنا متريا ولكنه قفز إلى أكثر من ٣٦ مليوناً فى أواخر عام ١٩٥١ ، وشغل

الإنتاج السعودى المركز الأول فى الشرق الأوسط حين توقف الإنتاج الإيرانى ، وارتفع الإنتاج خلال عام ١٩٥٢ إلى ٤١٫٤٤٣٫٠٠٠ طناً متريا ، و يعادل احتياطى البترول السعودى ١١٫٤٨٪ من الاحتياطى العالمى ، وتنقل الأنابيب هذا البترول من بقيق والظهران إلى رأس تنورة ، حيث أنشىء معمل للتكرير طاقته اليومية ١٤٠٫٠٠٠ برميل يومياً، ومن الظهران إلى البحرين خلال أنيوبة تمتد تحت سطح البحر ومن الظهران إلى الساحل اللبنانى خلال الأنبوب الكبير المعروف بالتابلاين .

وما زالت أعمال التنقيب تجرى فى بقاع كثيرة من الشرق الأوسط فى لبنان وسوريا وفلسطين وتركيا واليمن وعدن والمحميات والحجاز ومصر يبشر بعضها بالخير و يقف بعضها الآخر دون أبواب الأمل . ولاريب فى أن مقدرات الشرق الأوسط البترولية ستنمو على مر الأيام والأعوام وسيبقى الشرق الأوسط مجال الغزو الاقتصادى والاستثمار المالى للدول الكبرى ما دامت موارده المالية واستعداد شعوبه الفنى لايقومان بحاجيات البترول واستثماره وتشغيله .

وقد ترك الكشف عن بترول الشرق الأوسط آثاراً بعيدة المدى فى حياة أهله وفى تطوره السياسى والاقتصادى وفى أهميته الاستراتيجية والاستعمارية لم يتركها أى عامل آخر خلال تاريخه الطويل فقد ظلت هذه المنطقة وهى تستمد عوامل تاريخها من حضارتها القديمة وأديانها السماوية وموقعها الممتاز بين الشرق والغرب فكانت ملتقى الحضارات والثقافات والموجات البشرية ومهبط الأديان كما كانت معبر الجيوش وممر التجارة والتجار وظلت تعتمد فى حياتها الاقتصادية على الزراعة وعلى تجارة المرور وانتابها الفقر يوم تحولت عنها تجارة المرور وجمدت وسائلها الزراعية وأفسد الجهل والإهمال استغلال أراضيها الخصبة

فطغت عليها الصحراء وانتابها البوار وفقدت مقومات أهميتها السياسية . ولما قامت حضارة الغرب على دعائم من العلم والبحث والمعرفة واستغلال الجهود البشرية وموارد الأرض لم يجد الغرب فى هذه المنطقة ما يرضيه إلا أنها الطريق الذى يعبر عليه إلى مواد الخامات وأسواق التجارة وموارد القوى البشرية ومواطن الهجرة والاستغلال ، وفاقت أهميتها كطريق للعبور والمواصلات أهميتها الاقتصادية ، حتى إذا نبع بترولها وفاض غزيراً زادت أهميتها الاقتصادية على كل أهمية سواها وبدا الثراء ينثال على أراضيها ويتدفق على حكوماتها مما سيكون له أعظم النتائج فى ترقية مستوى شعوبها الاجتماعى والاقتصادى والثقافى وتقدمها الصناعى ، وما يتبع ذلك من نمو الوعى القومى والسياسى فى الوقت الذى يشتد ويعظم حولها الصراع الدولى ، وما ألاعيب السياسة الدولية فى بلادها إلا نتيجة لأهمية بترولها وحاجة العالم إليه ، وما مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط إلا مشروعات للدفاع عن البترول قبل أن تكون للدفاع عن مناطق العبور إلى السيادة العالمية ، وقد أقيمت القواعد العسكرية فى الشرق الأوسط وهى تضمن سلامة الدفاع عن مراكز البترول وتأمين معامل تكريره وأنابيب نقله فقاعدة الظهران الجوية قامت لتأمين حقول البترول فى الحسا والبحرين وقاعدتا الشعيبة والمفرق لتأمين بترول إيران والكويت وقاعدة الحبانية لتأمين بترول الموصل وقاعدتا المفرق واطنه لتأمين خطوط الأنابيب العراقية وخط التابلاين وقاعدة الملاحة فى طرابلس لتأمين سير ناقلات البترول فى البحر المتوسط وقاعدة السويس لضمان سلامة عبور الناقلات فى القناة .

وسيلعب البترول دوره الباهر فى تقدم الشرق الأوسط الصناعى حيث لايتوفر الفحم ، وقد جاء البترول والمنطقة فى بداية نهضتها الصناعية مما يبشر بتقدم صناعاتها وقيامها على أساس وطيد .

وقد لعب بترول الشرق الأوسط دوره العظيم فى تغذية آلة الحرب خلال حربين عالميتين لم تشهد البشرية مثيلا لهما من قبل وجاء الكشف عنه فى الوقت الذى أخذت آلة الحرب تتحول فيه إلى آلة ميكانيكية وبدأ استعمال البترول فى وسائل النقل الاستراتيجى وتسيير الأساطيل قبل أن يبدأ دوره فى الاستخدام التكتيكى للمعركة فقد ظلت عمليات المعركة تعتمد على المدفعية التى تنقلها الدواب وفرسان الخيالة وكتائب المشاة التى تنقلها القطر والسفن إلى ميدن القتال ولكن العمليات التكتيكية للأساطيل قد تأثرت إلى حد بعيد باستعمال البترول فقد زادت سرعتها إلى الضعف وضاعف هذا من خفة الحركة البحرية وسهولة المناورة كما ضاعف من قدرة استخدامها الاستراتيجى .

ولم يكن اتجاه الحكومة البريطانية إلى بترول فارس إلا بسبب حاجة الأسطول البريطانى إليه بعد استعمال البترول فى تسييره ، وجاء هذا التطور الجديد الذى تم قبيل الحرب العالمية الأولى نتيجة لتطور البحرية الألمانية وسبقها فى استعماله بدل الفحم ، ومن عادة البحرية البريطانية أن تقيم المحطات التموينية فى طريق أسطولها ولم يكن هناك ما هو أقرب من مورد البترول الفارسى لإمداده بحاجته منه فأصبحت قواعد الخليج الفارسى ملجأ الأسطول البريطانى ومحط تموينه .

وفى خلال الحرب العالمية الأولى استخدمت الطائرة فى الأغراض الحربية

كما ظهرت الدبابة فى الميدان و بدت حاجة المتحار بين إلى البترول ملحة ماسة سواء فى العمليات التكتيكية أو العمليات الاستراتيجية حتى كانت كلمة « لويد جورج » رئيس الوزارة البريطانية خلال الحرب « إن قطرة من البترول تساوى قطرة من الدم » مثلا مأثوراً لا تقل عنها فى ذلك الوقت كلمة كيرزون « لقد طاف الحلفاء على موجة من البترول نحو النصر » ، وقد احتلت ألمانيا فى الحرب الأولى رومانيا لتنتفع ببترولها وظل الحلفاء يصرخون فى طلب البترول الأمريكى حتى نهاية الحرب .

وزادت أهمية البترول الاستراتيجية فيما بين الحربين بعد تحول آلة الحرب تحولا تاماً إلى أداة ميكانيكية وحلت القوات المدرعة محل قوات الفرسان وقامت عربات نقل الجنود بنقل جندى المشاة فى أرض المعركة إلى خط القتال وأصبح التنظيم الجديد للفرقة المشاة تنظيما ميكانيكيا وأضحت المدفعية تجرها السيارات ، وتنقل جنودها الحمالات المدرعة وتقدم الطيران حتى صار قوة ثالثة فى قوات الدول العسكرية .

وقام بترول الشرق الأوسط بدوره الرائع فى إمداد الحلفاء بحاجياتهم ومطالبهم الحربية منه خلال الحرب العالمية الثانية فى ميادين القتال الثلاثة ، ميدان الشرق الأوسط وميدان الشرق الأقصى وميدان أوربا فقد حرم الغزو اليابانى الحلفاء من بترول الشرق الأقصى فأصبح جل اعتمادهم على بترول الشرق الأوسط ولم يكن البترول الأمريكى ليكفى وحده حاجة الميدان الأوربى ولذلك فإن خطوط الغزو الألمانى كانت تتجه فى نهايتها نحو مناطق البترول فى الشرق الأوسط ، ولو قدر لهم الوصول إليه لأصبح أمل الحلفاء فى النصر ضعيفاً .

وقد وقف البترول وراء كثير من المشاكل السياسية فى الشرق الأوسط فمشكلة الموصل فى أعقاب الحرب العالمية الأولى كانت جزءاً من سياسة بريطانيا البترولية والمشاكل السياسية فى إيران مشاكل بترولية ومشكلة البريمى بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية مشكلة بترولية ، والبعوث الكشفية فى شبة جزيرة العرب يقف وراءها البترول وتمسك بريطانيا بعدن والمحميات وامارات الخليج الفارسى لأجل البترول وعظم مقدراته فى تلك المناطق فلم تعد أهميتها الاستراتيجية من وقوعها على طريق الهند هى أهميتها الأولى وإن بقيت تحرس طريق الغزو عند الخليج الفارسى إلى امبراطوريتها فى أفريقيا فقد غدا البترول العامل الأول فى أهميتها الاستراتيجية الجديدة .

وتتأثر حقوق السيادة والاستقلال لدول الشرق الأوسط بأهمية بترولها ، فالدول الاستعمارية لا تحب أن تتخلى عن هذه البلاد قبل أن تضمن مصالحها الاقتصادية ومواردها من البترول واستثماراتها فيه كما يدخل البترول كعامل هام فى الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية ، فكل منهما تتطلع إليه وتبغى أن تستحوذ عليه وتحتكر إنتاجه ، وستكون الحرب القامة فى الشرق الأوسط سباقاً نحو منابع البترول .

ويقوم الشرق الأوسط بإمداد غرب أوربا ، وكثير من بلدان الشرق الأقصى بحاجاتها من البترول حيث تفتقر إليه أوربا فى أراضيها وأقرب الموارد إليها هى موارد الشرق الأوسط حتى ليرى قادة الغرب أن نجاح مشروع مارشال كان يتوقف إلى حد بعيد على استمرار تدفق بترول الشرق الأوسط إلى دوله

سواء فى وقت السلم أو فى وقت الحرب وأن نجاح حلف الأطلنطى لا يتم بغير بترول الشرق الأوسط أما الشرق الأقصى فإنتاجه من البترول لا يفى بحاجته منه.

وهكذا يلعب البترول فى الشرق الأوسط أعظم دور فى حاضره ومستقبله كما يقوم بدوره الرائع فى سير الحياة والتقدم والعمران العالمى كقيامه بدوره المرتقب فى كسب النصر فى الحرب القادمة لمن يملك موارده ويحتكر إنتاجه .

والآن ما هو المستقبل الذى يضمره الغيب لدولة البترول ، هل تدول كما دالت دولة الفحم قبل أن ينضب معينه أم تبقى حتى تفنى بنضوب موارده ؟ أم هل تكون نهاية دولته تسليما بسنة الحياة فى التطور والارتقاء فيديل عصر الذرة من عصر البترول ؟ !

هذا ما يطويه الزمن فى ضمير الغيب القريب أو البعيد وهو رهن بتقدم الأبحاث الذرية وتطورها لتكون فى خدمة الحضارة والعمران كما هى فى خدمة الحرب .

قصة البترول السعودى

(ربى إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .

« صدق الله العظيم »

واستجاب الله الدعاء فما انقطع الرزق عن بقاع الجزيرة المقفرة الجرداء وما شكى أهل البيت الحرام جوعاً ولا سغبا ، وسارت الرواحل تحمل تجارة الشام واليمن تفيض من خيرها على أم القرى ، وتضفى من برها على ساكنى البيت الحرام ، وفى ركاب الحجيج سار الخير وازدهرت التجارة ونمت الثروة وشاع الرضاء فى نفوس القوم .

حتى إذا كان عام ١٩٣٣ شهدت أقصى الصحراء من شرق الجزيرة جماعة من علماء طبقات الأرض يجسونها ويفحصون تركيبها ويحللون تربتها لتأتى على آثارهم جماعات غفيرة أخذت تدقها وتحفرها لتصل إلى أعماقها واستمر الحفر عاماً بعد عام حتى خريف عام ١٩٣٨ حين انفجرت بئر فى الدمام عن فيض غزير من البترول ، وانساب الذهب الأسود ليغمر المملكة بالغنى والثراء وشهد العاهل الراحل عبد العزيز آل سعود أول ناقلة تحمل البترول من رأس تنورة إلى أسواق العالم الخارجى فى مايو عام ١٩٣٩ . وما لبثت الشركة أن أقامت مصفاة فى رأس تنورة تكرر يومياً ثلاثة آلاف برميل لسد حاجة المطالب المحلية .

مجلة المهندسين العسكريين المجلد السابع يولية ١٩٥٤ .

هكذا بدأت قصة البترول السعودى بدأتها شركة « سوكال » التى تعرف باسم ستاندارد كاليفورنيا عام ١٩٣٣ . حين منحها الملك السعودى امتياز البحث عن البترول واستغلاله فى منطقة تشمل الجانب الشرقى من المملكة السعودية وتمتد غرباً حتى صحراء الدهناء لمدة ٦٦ سنة تبدأ عام ١٩٣٣ وتنتهى عام ١٩٩٩ تؤول بعدها منشآت الشركة ومرافقها إلى المملكة السعودية وفى عام ١٩٣٩ وسعت منطقة الامتياز بمقتضى ملحق أضيف إلى الاتفاقية فأصبحت مساحتها ٤٤٠٫٠٠٠ ميل مربع .

وما أن تم توقيع الاتفاقية حتى شرعت شركة سوكال فى تكوين شركة جديدة لاستثمار البترول السعودى وفق نصوص الامتياز دعتها شركة ستاندرد كاليفورنيا العربية ؛ انضمت إليها شركة تكساس عام ١٩٣٦ بمقدار النصف وأصبحت الشركة العربية مناصفة بين الشركتين الأمريكيتين الكبيرتين .

وتأثرت عمليات الشركة بقيام الحرب العالمية الثانية فقد شلت حركة النقل الخارجى إلا أن الشركة استمرت فى نقل البترول الخام إلى معمل التكرير بالبحرين بمعدل ١٢٫٠٠٠ برميل يومياً حتى إذا دخلت الولايات المتحدة الحرب واضطلعت بأعبائها الجسام فى ميادين القتال فى أوروبا والشرق الأقصى وازدادت احتياجات القوات المسلحة الأمريكية إلى البترول قامت الشركة بنصيبها فى إمدادها بحاجتها منه فأنشأت رصيفاً جديداً فى ميناء رأس تنوره كما قامت ببناء مصفاة جديدة طاقتها اليومية خمسون ألف برميل ، ومدت أنبوبة بحرية لنقل البترول إلى مصفاة البحرين بدأ تشغيلها فى أبريل عام ١٩٤٦ .

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانيـة أوزارها بدأت الشركة وقد أصبحت تعرف بإسمها الجديد « ارامكو » منذ عام ١٩٤٤ ، خطة عملية لزيادة إنتاجها وسد حاجة الأسواق العالمية إلى البترول فأشركت معها فى رأس المال بعد أن ضاعفته شركتى ستاندارد نيوجرسى وسوكونى فاكوم عام ١٩٤٨ وأصبح رأس المال العام موزعا على الشركات الأربع بالنسبة التالية :

شركة ستاندارد كاليفورنيا ٣٠ ٪

شركة تـكساس ٣٠ ٪

شركة ستاندارد نيوجرسى ٣٠ ٪

شركة سوكونى فاكوم ١٠ ٪

وفى عام ١٩٥٠ أبرمت اتفاقية توزيع الأرباح بين ارامكو والمملـكة العربية السعودية فأصبح نصيب السعوديين ٥٠٪ من صافى أرباح الشركة .

وقد بلغ إنتاج الشركة عام ١٩٥٢ وفق آخر إحصاء ٣٠١٫٧٨٠٫٠٠٠ برميل فى العام[1] بمعدل يومى ٨٢٥٫٠٠٠ برميلا وكان متوسط المعدل اليومى عام ١٩٤٣ قد بلغ ١٢٫٠٠٠ برميل والإنتاج العام ٤٫٥٣٠٫٠٠٠ برميل فى السنة ومن هذا يتضح مدى تقدم انتاج ارامكو خلال عشر سنوات .

وقد تم كشف ثلاثة حقول للبترول قبل قيام الحرب الثانية وهى حقول الدمام وبقيق وأبى حدرية وتم الـكشف عن ستة حقول أخرى للبترول بعد الحرب هى القطيف وعين دار والعثمانية والفاضلى والسـفانية وشدقم وهى كلها جزء من حقل هائل هو حقل الغوار ليس له ضريب حتى الوقت الحاضر فى إنتاجه وضخامته فى الجزيرة العربية .

---

(١) ارتفع الإنتاج عام ١٩٥٥ إلى ٣٠٢٫٢٣٩٫٩١٢ برميلا فى العام .

ولتيسير نقل البترول تكونت شركة جديدة من نفس الشركات المساهمة فى ارامكو تعرف بشركة أنابيب البترول عبر البلاد العربية لحمل البترول عبر الصحراء الواسعة إلى موانىء البحر المتوسط لتوفر على نفسها مؤونة حمله فى رحلة طويلة تبدأها الناقلات من رأس تنوره طوافاً حول الجزيرة العربية إلى البحر الأحمر لتصل إلى البحر المتوسط عبر قناة السويس مسافة ٧٫٠٠٠ ميل و بذلك اقتصدت فروق النفقات بين تكاليف الناقلات وتكاليف النقل بالأنابيب كما اقتصدت الضريبة التى تحصلها شركة قناة السويس على كل طن تحمله ناقلات البترول و يعرف خط الأنابيب الجديد باسم التابلاين وهو أطول أنبوب من نوعه فى الشرق الأوسط .

وقد بلغت أعلى طاقة لمصفاة رأس تنوره بعد توسيعها وزيادتها حوالى ٢١٦٫٠٠٠ برميل يومياً ، هذا عدا ما يكرر فى مصفاة البحرين التى ينقل إليها البترول خلال أنبوبين تحت مياه الخليج الفارسى مسافة ١٦ ميلا .

والبترول هو المصدر الأساسى فى الوقت الحاضر لثروة المملكة العربية السعودية وقد بلغت أرباحها منه أكثر من مائة مليون جنيه فى العام ستكون أعظم عامل فى النهوض الاقتصادى والاجتماعى بالبلاد .

أنابيب البترول
فى الشرق الأوسط

ما أن ينبض قلب الأرض عن فيض من بترولها حتى تنتهى مرحلة لتبدأ مرحلة جديدة فى غاية الأهمية . تنتهى مرحلة البحث والتنقيب والاستخراج ليبدأ التفكير فى نقلة وتسويقه وأسواق البترول غالبا ما تكون فى البلدان المتقدمة صناعيا حيث تعظم الحاجة إليه فى مطالب الصناعة الحديثة ولذا كانت الأسواق الأوروبية أعظم أسواقه الاستهلاكية حيث لايوجد البترول وحيث تقوم الصناعات الكبرى فى العالم وحيث تتشابك المصالح الدولية فتقوم الحروب وتبدأ الحاجة الاستراتيجية إليه كالحاجة الاقتصادية أن لم تعظم وخاصة عندما تتأزم المشاكل الدولية وتلوح بوادر الحرب .

وقد روعى فى مد أنابيب البترول فى الشرق الأوسط هذان العاملان : العامل الاقتصادى وهو نقله بأقل تكاليف ممكنة إلى أسواقه الاستهلاكية الرائجة ، والعامل الاستراتيجى وهو تيسير تموين آلة الحرب منه فى أقرب مكان إلى قواعد الحشد والطرق الإستراتيجية ، وكانت موانىء البحر المتوسط الشرقية أقرب الموانىء إلى تحقيق هذين العاملين ، وإلى جانب هذين العاملين يراعى عامل محلى آخر هو بعد مناطق الإنتاج عن البحر فتدعوا الحاجة إلى مد الأنابيب إلى أقرب الموانىء البحرية لتقوم الناقلات بعد ذلك بحمله إلى أسواقه الكبرى.

وأول ما مد من أنابيب نقل البترول فى الشرق الأوسط أنبوب من كركوك

صوت الشرق العدد ١٣ فى أكتوبر ١٩٥٣

إلى الحديثة حيث يتفرغ إلى فرعين أحدهما إلى حيفا مارا بشرق الأردن وفلسطين وطوله ٦٢٠ ميلا والآخر إلا طرابلس مارا بسوريا ولبنان وطوله ٥٣٠ ميلا .

وقد أصرت فرنسا على أن تمد أحد الانبوبين إلى منطقة انتدابها كما أصرت بريطانيا على أن يمر الانبوب الاخر فى منطقة نفوذها وهكذا سار الانبوبان إحدهما إلى أقصى الشمال ، والآخر إلى أقصى الجنوب من ساحل اللفانت .

وتبلغ الطاقة السنوية للأنبوبين معاً حوالى أربعة ملايين طن من البترول الخام حتى إذا رأت شركة البترول العراقية مضاعفة الإنتاج فى أعقاب الحرب الثانية مدت أنبوبا آخر من كركوك والموصل إلى طرابلس فأمكنها أن ترفع الإنتاج من أربعة ملايين طن إلى ثمانية ملايين طن سنويا خلال عام ١٩٥١ . وبدأت فى مد أنبوب آخر إلى حيفا ولكنها أوقفت العمل فيه بعد أن توغل فى فلسطين خمسين ميلا وذلك لتغير الموقف فيها واغتصاب الصهيونية لبعض أجزائها .

ولما لم تكف تلك الأنابيب لمواجهة الإنتاج الكبير مدت الشركة أنبوبا أعظم طاقة إلى بانياس فى سوريا طوله ٥٥٦ ميلا وبانشاء هذا الأنبوب بلغ الإنتاج المصدر من الحقول العراقية ٢٣ مليون طن سنويا

وفيما عدا تلك الأنابيب المديدة نجد بضع أنابيب أقل طولا وسعة فهناك أنبوب طوله ١٣٥ ميلا مدته شركة بترول الموصل ليصل حقلها فى عين زالة بأنابيب كركوك المتجهة صوب البحر المتوسط . وأنبوبان آخران مدتهما شركة بترول البصرة من حقولها فى الزبير إلى ميناء الفاو على شط العرب عند

إلتقائه بالخليج الفارسى . مد الأول عام ١٩٥١ وطوله ٤٧ ميلا ومدالثانى عام ١٩٥٣وطوله ٦٦ ميلا ، هذا عدا أنبوبصغيرطوله ١٠ أميال أنشىء عام١٩٥٤ ليصل حقل الرميلة بأنبوب الزبير — الفاو .

أما بترول إيران فإن الناقلات تحمله من عبدان عبر الخليج الفارسى إلى البحار الواسعة و إن مدت شبكةمن الأنابيب لربط عبدان بحقول البترول فى الداخل أهمها أنبوبان يمتدان من مركز الإنتاج إلى عبدان و بندر مشهور .

وهناك مشروع مد أنبوب على غرار التابلاين لنقل بترول الكويت و إيران إلى الساحل السورى .

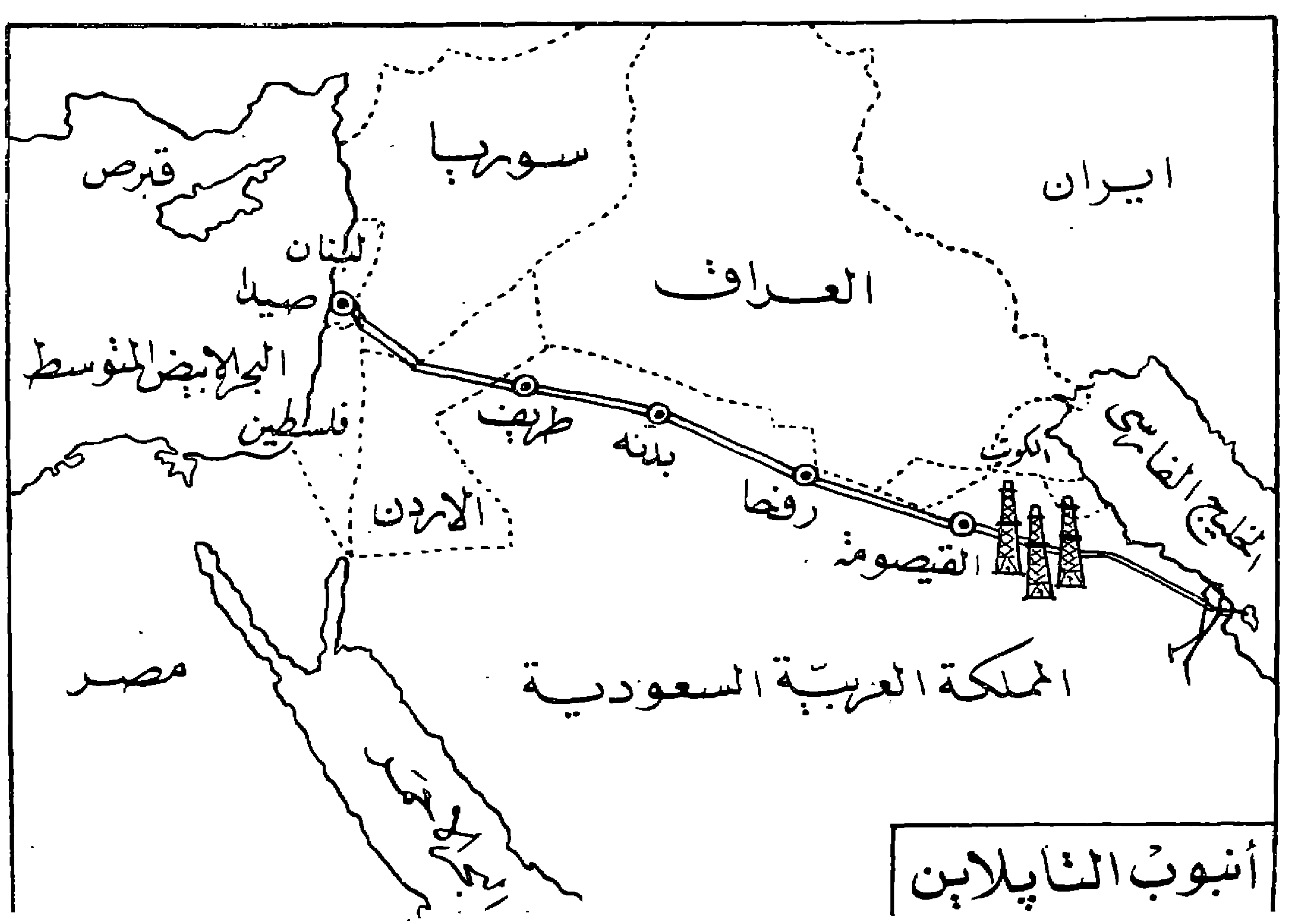
ويصل بترول الكويت إلى ميناء الأحمدى خلال عدد من الأنابيب تمتد إليه من حقول الإنتاج فى برغان وماغوا .

أما بترول قطر فتنقله ثلاثة أنابيب تمتد من حقل دخان إلى شاطىء الخليج . ومن الأنابيب الصغيرة تلك الأنابيب التى تربط حقول البترول فى المملكة السعودية إلى رأس تنورة والبحرين أما الأنبوب الرئيسى للنقل فهو إنبوب التابلاين له قصة قوامها المال والعلم وعظم الجهد الإنسانى فهو أطول أنبوب فى الشرق الأوسط يعبر أربع دول و يبعث الحياة فى قلب الصحراء . و يستطيع أن ينقل ٤٥ ألف طن من البترول يومياً إلى مرفأ صيدا حيث تتجمع الناقلات لتحمله إلى أربعة أركان العالم !

هذا هو خط الأنابيب الرئيسى ، خط التابلاين ، يبدأ من القيصومة عند نهاية خط أنابيب أرامكو فى بقيق مخترقاً أرض المملكة السعودية نحو الشمال ليعبر

أراضى المملكة الأردنية الهاشمية ومنها إلى الأراضى السورية،فيمر بأطراف جبل الدروز ووادى اليرموك ليرتفع إلى ٢١٠٠ قدم فوق سطح البحر، ثم ينزل إلى قاع وادى نهر الحسبانى على ارتفاع ٨٤٠ قدماً ويعاود ارتفاعه مرة أخرى إلى ١٨٠٠ قدم عند الحدود السورية اللبنانية ليهبط إلى ٦٠٠ قدم وهو يخترق وادى نهر الليطانى ، ثم يرتفع مع جبل لبنان من جديد إلى ١٩٠٠ قدم ومن هناك يأخذ فى الانحدار التدريجى إلى البحر حتى يصل إلى نهايته فى نقطة تقع جنوب صيدا عند مصب نهر الزهرانى حيث تعبىء الناقلات ٣١٠ آلاف برميل زيت يومياً ، ويبلغ طوله من بقيق إلى صيدا ١٠٦٨ ميلا، والأنابيب الممتدة من حجمين قطر أحدهما ٣١ بوصة والآخر ٣٠ بوصة .

وقد بدأ العمل فى خط الأنابيب عام ١٩٤٧ وانتهى عام ١٩٥٠ ، بعد ثلاث سنوات من الجهد الشاق ، ويعد من أعظم الأعمال التى تقع فى طاقة الجهد الإنسانى ، مما يدل دلالة واضحة على أن المال والعلم هما عصب الحياة والحضارة القائمة . وقد بلغت تكاليفه ١٦٨ مليوناً من الدولارات واستهلك من الصلب ٢٦٥ ألف طن مما يكفى لصناعة نصف مليون سيارة من الحجم المتوسط ، واستخدم فيه من العمال حوالى ١٧ ألف عامل ما بين عربى وأمريكى ، واستلزم مده مسح أراض واسعة من الصحارى والجبال والوديان التى يمر بها ، وعقد اتفاقيات عدة مع الدول التى يعبرها وإقامة عدد من المحطات على امتداده لدفع الزيت فى الأنابيب ، وذلك فى القيصومة ورفحا وبدنة وطريف وفى هذه المحطات قامت قرى جديدة على أحدث طراز لإيواء الموظفين والعمال، وأنشئت لهم المدارس والمستوصفات والأندية والأسواق ، تمونها السيارات يومياً



ايران
سوريا
قبرص
لبنان
صيدا
العراق
البحر الابيض المتوسط
فلسطين
طريف
بدنه
رفحا
الكويت
الخليج الفارسي
القيصومة
الاردن
مصر
المملكة العربية السعودية
البحر الاحمر
أنبوب التابلاين

بحاجاتها الاستهلاكية مما ساعد على رواج التجارة المحلية التى يفيد منها التجار العرب و إن حوت كثيراً من السلع الأمريكية الوفيرة .

وكانت مياه الشرب أول مشكلة تواجهها الشركة فى القيام بالمشروع و إقامة محطات الدفع ودلت التقديرات الأولية على ضرورة توفير ٤٠ ألف جالون من المياه يومياً لسد حاجة العمل والمستخدمين ولكن الاستهلاك الفعلى بلغ مائتى ألف جالون يومياً و يعزى ذلك إلى حاجة الوراد من البدو والرحل والماشية ، ودلت الإحصاءات على أن وراد المحلة الواحدة فى أشهر الصيف القائظة قد بلغ خمسة آلاف أسرة عدا سقيا ١٦ ألف رأس من الماشية . ولتوفير مياه السقيا حفرت الآبار عند كل محلة و بلغ عمق بعضها ١٢٠٠ قدم !

وأقيم هذا المشروع الضخم لنقل بترول المملكة العربية السعودية إلى البحر المتوسط فى أقصر وقت و بأقل نفقات ممكنة ، فقد كان على الناقلات أن تحمله من رأس تنورة على الساحل السعودى للخليج الفارسى وتعبر به مياه الخليج إلى بحر العرب فالبحر الأحمر لتمر فى قناة السويس حيث تتقاضى شركة القناة ١٨ سنتاً عن البرميل الواحد . ومعنى هذا أن الشركة تحصل رسوما قدرها ٤٠ ألف دولار عن كل ناقلة كبيرة وتستغرق المسافة التى تقطعها الناقلات إلى البحر المتوسط ٢٠ يوماً فى حين أن وصول البترول عبر الأنابيب يستغرق ١٦ يوماً ، وللزمن مهما قل أهميته فى عالم التجارة والاقتصاد .

والتابلاين مشروع تجارى محض قبل أن يكون مشروعاً سياسياً أو استراتيجيا و إن كانت قيمته الاستراتيجية لا تخفى على إنسان ، فإنه يضمن سلامة نقل البترول ، إلى أبعد مدى ممكن ، من خطر تعرض الناقلات

للغواصات ولو أنه لا يجنبه خطر التعرض للغارات الجوية وأعمال الطابور الخامس التى أصبحت عنصراً أساسياً فى العمليات الاستراتيجية فى الحرب الحديثة . وفى هذا ما يفسر حرص الحكومة الأمريكية على إقامة قواعد الطيران قريباً من مناطق البترول لحمايتها ومن أهمها قاعدة الظهران الجوية التى تقوم فى قلب منطقة إنتاجه فى إمارة الحسا بالمملكة العربية السعودية .

ويدير خط التابلاين شركة خطوط الأنابيب عبر البلاد العربية ، التى اتخذت لها اسم التابلاين ويشترك فى رأس المال أربع شركات أمريكية ، هى شركة كاليفورنيا ستاندارد وتكساس ونيوجرسى ستاندارد وسوكونى فاكوم يسهم فيها ٦٠٠ ألف مساهم . وبيروت هى المركز الإدارى للشركة .

وتحرص الشركة على نجاح عملها التجارى ويتطلب هذا إرضاء الشعور القومى للعرب الذين تعمل بينهم ، فنراها تعلن أنها لن تمد إسرائيل بالبترول كما نراها تقدم التبرعات لكثير من المؤسسات العربية والأمريكية التى تعمل بين العرب كالهلال الأحمر الأردنى والصليب الأحمر اللبنانى واللاجئين والجامعة الأمريكية فى بيروت وكلية حلب مما يقع فى نطاق البلدان التى تتعامل معها .

وشركة خطوط لأنابيب عبر البلاد العربية شركة نقل فحسب ، فليس لها علاقة أو صلة بشركة أرامكو إلا فيما يتصل بالعمليات التجارية والصلات الاقتصادية التى تربط بين شركتين مستقلتين بالرغم من أن الشركات التى تساهم فى أرامكو هى نفس الشركات التى تساهم فى التابلاين .

والتابلاين مثل قوى لما يمكن أن يكون عليه استخدام رءوس الأموال

واستثمارها فى الخارج ففى الوقت الذى تعمل فيه لفائدة مساهميها لا تغفل إرضاء عملائها أو البلاد التى تعمل فيها حتى يتوفر لهـا الهدوء والتعاون للعمل والإنتاج .

ويبدو أن مد أنابيب التابلاين سيكون بداية لشق الطرق البرية عبر شبة الجزيرة العربية بين الخليج الفارسى والبحر المتوسط ، فتعود لتلك المنطقة أهميتها القديمة فى نقل التجارة بين الشرق والغرب كما كانت لها قديما ولا سيما أن الطرق البرية القديمة قد أخذت تستعيد أهميتها بعد تقدم وسائل المواصلات البرية .

وقد ظهر فى أعقاب الحرب الثانية مشروع لم يتحقق بعد يدور حول مد أنبوب ضخم من الخليج القارسى لنقل بترول إيران والبحرين والكويت إلى موانىء البحر المتوسط ويكمن وراء هذا المشروع بالإضافة إلى أهدافه الاقتصادية الواضحة غرض استراتيجى ظاهر هو تيسير تموين أوربا ودول حلف الأطلنطى بحاجتها من هذه المادة الاستراتيجية الواضحة الأهمية فى أقصر وقت و بأقل نفقات ممكنة . ولكن بريطانيا لا تفكر فى نقل بترول إيران عبر الأنابيب إلى البحر المتوسط حتى لا تفقد الضريبة التى تحصلها شركة قناة السويس على الناقلات ولأنها تطمئن إلى سيادتها البحرية أكثر مما تطمئن إلى الدول العربية التى يمكن أن تعبرها الأنابيب لكثرة ما واجهت من ثورات واضطرابات فى العراق وفلسطين .

ولا ريب أن المقدرات البترولية فى الشرق الأوسط مليئة بالاحتمالات وستلعب خطوطه دورها الرئيسى الذى لعبته الخطوط الحديدية من قبل . وستكون امتيازات البترول وحقول انتاجه موطن الصراع الجديد فى أرضه .

الباب الرابع

الصراع الدولى فى الشرق الاوسط

١ — معركة النفوذ فى الشرق أوسط

٢ — الحرب القادمة والشرق الأوسط

٣ — حياد الشرق الأوسط والسلام العالمى

٤ — الدفاع عن الشرق الاوسط — حقيقته ودوافعه

٥ — تركيا والدفاع عن الشرق الاوسط

معركة النفوذ فى الشرق الأوسط

لا تحتدم معركة النفوذ بين الدول الكبرى فى بقعة من بقاع العالم كما تحتدم فى الشرق الاوسط ولا تتضارب التيارات العديدة الخارجية والمحلية كما تتضارب فى هذه المنطقة . وقد اتخذت المعركة طابعا خاصا فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة لم يكن لها من قبل ، وإن كانت أهم العوامل التى أثرت فيها من قبل ما زالت باقية لم تتغير وإن تغير الشكل العام للصراع بتغير الابطال واللاعبين على المسرح .

أما العامل المؤثر فى سير المعركة والذى لم يتأثر ولم يتغير بتغير الابطال والظروف فهو الأهمية القصوى لموقع هذا الاقليم فى قلب العالم وفى تجمع المواصلات العالمية على اختلافها برية أو بحرية أو جوية فيه ، فالاقليم منطقة حاجزة أولا ومسيطرة على سبل المواصلات فى العالم ثانياً .

وجد عامل جديد لم يكن من قبل ، جعل له من الأهمية ما لا يقل عن أهمية الموقع ، وهو ظهور البترول فى بقاع كثيرة من أرضه بغزارة ليس لها مثيل حتى أصبح إنتاجه خمس إنتاج العالم تقريبا ، وبلغ احتياطيه المخزون أكثر من نصف المخزون العالمى ، ثم ارتفاع قوته الشرائية فى السنوات الثلاثين الاخيرة ، وإقبال أهله على مطالب الحياة الاوربية واستكمالها ، فأصبح سوقا استهلاكيا رائجا للتجارة الاوربية فضلا عن حاجة الصناعة الأوربية لبعض خاماته المعدنية والزراعية .

صوت الشرق عدد ٢٠ فى مايو ١٩٥٤ .

هذه هى العوامل الأساسية فى معركة النفوذ فى الشرق الأوسط ، الموقع والخامات والتجارة . وزاد من حدة المعركة أنها تدور الآن بين مذهبين ونظامين ، المذهب الشيوعى بفلسفته ونظامه القائم على سيادة البلوريتاريا والمذهب الرأسمالى القائم على المنافسة الحرة ونظامه الذى يستمد قوته من سيادة البورجوازية وفلفسته ذات الصبغة المثالية .

ويقع الشرق الأوسط على امتداد النطاق الأرضى الذى يحيط بالكتلة الشيوعية التى تمتد فى كتلة أرضية متماسكة فتغطى شمال أوراسيا من بحر الصين فى الشرق إلى بحر البلطيق فى الغرب ويضم خطوط الاقتراب الرئيسية البرية والبحرية إلى أهم المناطق فى الكتلتين المتصارعتين فطريق « الخليج الفارسى ـ الجزيرة » يؤدى إلى قلب المناطق الصناعية فى الاورال ومناطق البترول الروسية فى القوقاز ، كما يؤدى إلى البحار الجنوبية وجنوب آسيا وشرق إفريقيا ومناطق البترول فى إيران وشبه الجزيرة العربية . وطريق البلقان والبواغيز يؤدى إلى بترول رومانيا وسهول القمح فى أوكرانيا وحوض الفولجا والدانوب الأدنى مفتاح السيطرة على شرق أوربا ، كما يؤدى إلى البحر الأبيض المتوسط جنوبا وقناة السويس وشمال إفريقيا .

والصراع بين الكتلتين الشيوعية والرأسمالية ، إذ يدور للسيطرة على العالم فان كلا منهما ستعبر طريقها إليه على قنطرة الشرق الأوسط ، وقد احتدمت المعركة بين الكتلتين على هذا الأساس فالكتلة الرأسمالية ترمى إلى تأمين المنطقة ضد الشيوعية اقتصاديا واستراتيجياً . فالمعونة الفنية والنقطة الرابعة والاهتمام بالاصلاح الاجتماعى والاقتصادى وسائل تهدف إلى النهوض بالاقليم

من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، على أن لا يتعارض هذا مع أهداف الغرب الاقتصادية واستثماراته المالية فى المنطقة وحاجاته الى خاماتها وأسواقها. فالمعونة الفنية والنقطة الرابعة ترميان فى الواقع إلى تنمية القدرة الزراعية للاقليم وتشجيع الصناعات الصغيرة لاحداث رواج يزيد من قوة الفرد الشرائية وقدرة الأسواق المحلية على استيعاب البضائع الواردة من الغرب . كما تمهدان أيضاً لنزول رأس المال الغربى إلى المنطقة واحتكاره لمنابع ثروتها المعدنية ومقدراتها الصناعية وتقومان بدور آخر لا يقل خطراً عن دورهما البارز وهو الدعاية لمذاهب الغرب للحد من إنتشار الشيوعية .

أما الاهتمام بالقواعد الاستراتيجية و إبرام المحالفات العسكرية فالقصد منه تأمين المنطقة ضد العدوان الشيوعى وضمانها فى دائرة النفوذ الغربى ومراقبة المحاولات الشيوعية للتسرب إليها والحد من نشاطها ومقاومتها .

فالمعركة التى يديرها الغرب فى الشرق الأوسط هى معركة النفوذ والسيطرة للاحتفاظ بهذا الإقليم فى دائرة النفوذ الغربى واتخاذه قاعدة لشن الهجوم البرى والجوى على الكتلة الشرقية حين تندلع نيران الحرب الحامية واستثمار موارده ومقدراته الاقتصادية والصناعية لفائدة رأس المال الغربى .

وليس لروسيا فى هذه المعركة — ونعرف أن ليس لها من نفوذ فعلى فى أى بلد من بلدان الشرق الأوسط — إلا أن تقف موقف المترقب لتقوم بهجومها المضاد فى الساعة المناسبة ، فحين تقدم الغرب بمشروعاته الدفاعية راحت تعلن أن قبول دول الشرق الأوسط لمشروعات الغرب الدفاعية ما هو إلا إجراء عدائى ضدها ، ثم تنذر هذه الدول وتتوعدها ، كما حدث عندما

تقدم الغرب بالمقترحات الرباعية لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط إلى الدول العربية . وتعمل روسيا من ناحية أخرى على تأييد الكفاح الشعبى للشعوب المناضلة ضد الغرب والوقوف بجانبها فى الهيئات الدولية وتأييد قضاياها الوطنية ، ثم تبث دعوتها السرية مستغلة القلق السياسى الذى تعانيه المنطقة ، والوعى القومى ، وكفاح الشعوب للحرية والاستقلال ، وهبوط المستوى المعيشى ، والفقر المنتشر فى أرجائها ، وهى تأمل من نشر الدعوة الشيوعية أن تضطلع الشعوب نفسها بقلب أنظمة الحكم فى بلادها إلى النظام الشيوعى .

فالمعركة الكبرى للنفوذ تدور بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وهى فى هذا تدور بين مذهبين وعقيدتين ونظامين يتزعم طرفى النزاع فيهما روسيا فى ناحية والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا دولتا النفوذ التقليدى القديم فى الشرق الأوسط فى ناحية أخرى ، ولقدظل النفوذ الغالب فى الشرق الأوسط لبريطانيا وفرنسا حتى الحرب العالمية الثانية، وقامت معركة النفوذ بينهما و بين ألمانيا و إيطاليا فى فترة ما بين الحربين ، وظلت روسيا فى عزلتها التى ضربتها على نفسها بعد ثورتها الشيوعية واجتهدت أن تسوى مشاكلها مع الدول التى اختصمتها قديماً فى الشرق الأوسط فارتبطت بكل من إيران وتركيا بمعاهدات صداقة وقامت بينها و بينهما علاقات تجارية نامية ، أما الولايات المتحدة فكانت بمنأى عن الإقليم حتى ولجته عندما نبع بتروله وطالبت بتطبيق سياسة الباب المفتوح عند تقسيم حصص رأس المال فى شركة البترول العراقية ، ثم أخذت تفد إليه قدما وفى اهتمام بالغ عند ماظفرت بامتياز بترول الجزيرة العربية .

وزاد اهتمامها بها عندما فاض هذا البترول بغزارة لفتت إليه أنظار العالم فى الوقت الذى خشيت فيه نضوب بترولها ونفاذ احتياطيه أمام الحاجة الملحة للبترول فى أمريكا حتى إذا خرجت أمريكا من عزلتها التقليدية بعد الحرب الثانية كانت مصالحها المالية والاقتصادية تنمو نمواً مطرداً فى الشرق الأوسط ، فنزلت إلى ميدانه يحدوها عاملان أولهما الصراع القائم بينها و بين الشيوعية وكان دافعها الأول إلى نفض غبار العزلة التى تمسكت بها منذ أعلن مونرو مبدأه عام ١٨٢٣ حتى عام ١٩٤٧ بعد الحرب الأخيرة حين أعلن ترومان سياسة الولايات المتحدة الجديدة. والعامل الثانى هو تأمين مصالحها النامية فى الشرق الأوسط وتطلعها إلى تحقيق مغانم أكبر واستغلال أعظم لموارده و إنتاجه وأسواقه وخاصة بعد ما فقدت سوق الصين العظيم فى الشرق الأقصى .

وكان من نتائج الحرب الثانية أن خرجت فرنسا إلى حد كبير من الميدان بعد استقلال سوريا ولبنان ولم يعد لها من أثر فى سياسة الإقليم إلا ما تمليه السياسة المشتركة لكتلة الغرب، وانحصر النفوذ السياسى فى الشرق الأوسط بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ، و بذلك نشأ لون من الصراع الخفى بينهما يذكرنا بالصراع الذى قام بين فرنسا و بريطانيا فى أعقاب الحرب الأولى .

ولهذا كانت معركة النفوذ فى الشرق الأوسط ذات لونين لون عام يتمثل فى الصراع الأكبر بين كتلتى الشرق والغرب وفيه تتسق وتتجاوب السياسة الغربية فى الإقليم فضرورة ربط الإقليم بعجلة الغرب الاستراتيجية وتنظيم الدفاع عنه وربط دوله فى حلف عسكرى جماعى يسد الفراغ فيه لا تجد خلافاً عليها بين دول الغرب ، وإن اختلفت إلى حد ما وجهات النظر

فى تناول المشكلة وعلاجها إلا أنها لاتؤثر فى الاتجاه العام لسياستها ولاتختلف أبداً على أهدافها .

أما اللون الآخر لمعركة النفوذ فى الشرق الأوسط فهو خاص ، يدور بين المصالح الأمريكية النامية فى الإقليم والمصالح البريطانية القديمة فيه ، فقد كان الشرق الأوسط سوقا رائجا للبضائع الإنجليزية كما ظل مورداً لكثير من خامات الصناعة البريطانية ، وأعظم مورد لحاجة بريطانيا من البترول حيث تحتكر تماماً استغلال بترول إيران ولها غير هذا نفوذها السياسى القائم على المعاهدات الثنائية التى تربطها بالعراق والأردن ومصر ، عدا معاهدات الصداقة التى تربطها بالمملكة السعودية واليمن ونفوذها فى الخليج الفارسى والمحميات[1] .

وترى بريطانيا أن هذه المصالح وذلك النفوذ يتعرضان لخطر المصالح الأمريكية النامية ونفوذ الولايات المتحدة الجديد الذى يجد أرضا مستوية ممهدة أمامه أكثر مما يجد النفوذ البريطانى المقيت المرتبط بالاستعمار والحماية والاحتلال والانتداب ، ولذا فإن هناك صراعاً خفياً يدور بين الحليفتين فى المنطقة ويؤثر إلى حد بعيد على تياراتها السياسية واتجاهاتها الإقليمية .

وتتخذ هذه المعركة فى بعض الأحيان شكلا سافراً يظهر خلال الأحداث فالخلاف على تدويل البترول الإيرانى وتسويقه يظهر ما خفى من أطماع الدولتين وتعارض مصالحهما . فالشركة الإنجليزية الإيرانية تتمسك بحصة قدرها ٤٤٪ من أسهم الشركة المتحدة المقترح أن تحل محلها ، فإذا أضيف إليها حصة شركة

(١) اعتقد أن بريطانيا قد خسرت العالم العربى بعد عدوانها الغادر على مصر أخيراً (نوفمبر ١٩٥٦) .

شل الإنجليزية ومقدارها ٨٪ تصبح حصة رأس المال الإنجليزى ٥٢٪ فيكون له الغلبة فى الشركة الجديدة وترفض الشركات الأمريكية ذلك وتحمل على العقلية البريطانية الجامدة التى لا تدرك تطور الأمور فى الشرق الأوسط .

كما نجد فى تأييد بريطانيا لمشروعى الهلال الخصيب وسوريا الكبرى مظهرا لأطماعها ووسيلة لدعم نفوذها ومده ليشمل سوريا ولبنان فتحل بذلك محل فرنسا فى الوقت الذى لا تتحمس فيه أمريكا لهذين المشروعين . بينما نجد فى تأييد أمريكا الجديد لإسرائيل وسيلة لدعم النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط وضمان مركز لاستثمار رأس المال الأمريكى وترويجه فى بلدان المنطقة ، ولذلك نراها تنادى بضرورة عقد صلح بين العرب وإسرائيل يتيح لإسرائيل نشاطها الاقتصادى والتجارى فى الشرق العربى .

وفى معركة النفوذ هذه تقف دول الشرق الأوسط حائرة بين شتات من الدعايات والآراء المغرضة لا تجد سنداً لها إلا قوة الوعى القومى للشعوب ، ونضجها السياسى وحذرها من الفخاخ التى تنصب لها .

الحرب القادمة والشرق الأوسط

أصبح الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية مركز الثقل الدولى فى العالم وقد كان غرب أوروبا والبلقان مركزا الثقل الدولى قبل أن تميل كفته شرقا إلى منطقة الشرق الأوسط .

ففى غرب أوروبا كان التنافس المستمر والعداء القائم بين ألمانيا وفرنسا مثارا لألوان من النزاع وعدد من الحروب بين الدولتين جرت فى أذيالها عدداً من الدول الأوروبية إلى التدخل المسلح كل والجانب الذى ارتضاه والذى يتفق ومآربه وتحقيق أهدافه ولاسيما بريطانيا التى جعلت المحافظة على التوازن الدولى هدف سياستها الأوربية من ناحية والقضاء على المحاولات الألمانية فى التفوق الاستعمارى والتجارى مما يهدد مصالح الأمبراطورية البريطانية تهديداً خطيراً فى سياستها الاستعمارية من ناحية أخرى . وقد ظل هذا العامل مسيطرا منذ بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية التى انتهت بالقضاء على التفوق الألمانى واضعاف فرنسا ضعفا ابعدها إلى حد كبير عن المساهمة الفعاله فى أحداث السياسة الدولية العامة فى الشرق الأوسط .

أما فى البلقان فقد كانت المسألة الشرقية طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر محكا لكثير من ألوان النزاع التى جرت فى أعقابها عددا من الحروب اشتبكت فيها الدول الأوروبية حتى كانت النهاية الطبيعية للمسألة الشرقية بعد

صحيفة الكلية الحربية العدد الثامن سنة ١٩٥١

الحرب العالمية الأولى فلم يعد البلقان بعدها الشرارة التى تفجر مستودع البارود.

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية بالقضاء على التفوق الألمانى واضعاف فرنسا كما قلنا وأدت إلى تفوق روسيا تفوقا أصبح مصدر القلق الجديد والعامل البارز فى توجيه السياسية العالمية واختل التوازن الدولى فى أوروبا بعد أن بسطت روسيا سيطرتها ونفوذها على شرق أوروبا وأقامت على أطراف هذا النفوذ الذى امتد حتى برلين ستاراً حديدياً من الحذر والكتمان فلم تسمح لأى غريب أن يجتاز هذا النطاق أو ينفذ إلى داخله وأصبح النطاق الغربى الذى يضم دول البنلوكس ودول غرب أوروبا التى يربطها حلف الأطلنطى موطىء الزحف الذى يمكن أن تطرقه القوات الروسية فى تقدم سريع ناجح بمعاونة الطابور الخامس الذى يتمثل الأحزاب الشيوعية القوية فى فرنسا وبلجيكا و إيطاليا و باقى دول حلف الأطلنطى كما يساعد على نجاحه ما خلفته الحرب الماضية فى هذه الدول من ألوان الضعف وكراهية الحرب التى أنزلت الخراب والدمار ببلادها مرتين فى مدى ربع قرن .

و إذا كانت الحرب العالمية الثانية قد أدت إلى الإخلال بمبدأ توازن القوى فى أوروبا ونقلت أسباب الحروب من ميدان المنافسة حول مناطق النفوذ وأسواق التجارة ومواطن الخامات إلى المنافسة المذهبية حول تقرير شرائع الحكم والسياسة والاقتصاد فقد أضحت هذه المنافسة المذهبية بين دولتين كبيرتين لكل منهما شريعتها فى الحياة وفى الحكم والسياسة والاقتصاد. فالروسيا تبشر بشريعة ماركس وأمريكا تنادى بسيادة الديمقراطية وتحاول كل منهما أن تخرج من ميدان هذه المنافسة بفرض شريعتها على العالم ونشر

مذهبها بين شعوبه وفى سيادة أحد هذين المذهبين قضاء على المذهب الآخر . وفى غمار هـذه الحرب المذهبية تعد الدولتان للحرب القادمة بينهما كل عديدها وقوتها .

وقد جرت كل من الدولتين وراءها عددا من الدول يؤمن بشريعتها ويدافع عنها وينطوى فى كتلتها ، وأخذت كل من الـكتلتين ترسم سياستها الاستراتيجية على هدى ما تضمه من أعوان ومناطق نفوذ وما يمكن أن تبرمه من مواثيق ومحالفات وقد قضت الحرب العالمية الثانية على مبادىء الاستراتيجية القديمة وتطور الفن الاستراتيجى على ضوء ما شمل آلة الحرب الحديثة من تطور وما ألم بدوافعها من تغير يكاد يكون انقلابا فى هذه الدوافع والأسباب وارتباط الجبهة الداخلية للأمم المتحاربة بعوامل الحروب ودوافعها وتطوراتها .

وقد دعمت الجبهة الغربية استراتيجيتها بإقامة سلسلة من القواعد العسكرية على طول امتداد النفوذ الروسى الذى يتاخم فى سيره الحدود الروسية الأصلية ويغطى بذلك كتلة متسعة من الأرض تمتد من أقصى امتداد الساحل الأوربى فى الغرب إلى أقصى امتداد الساحل الأسيوى فى الشرق ويتوغل بنسب متفاوتة نحو الجنوب ويقترب فى بعض الأحيان اقترابا شديدا من مراكز النفوذ الانجليزى فى الشرقين الأوسط والأقصى كما يطل على خطوط الدفاع الاستراتيجية الأمريكية فى المحيطين الهادى والأطلنطى اللذين تعتبرهما أمريكا مانعين عظيمين حققا لها عزلتها التقليدية فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حتى إذا تقدم الطيران هذا التقدم الرائع فى السنوات الأخيرة لم يكن لهذين المانعين من القوة والمنعة ما كان لهما من قبل وأصبح أى تهديد لسلامة شواطىء هذين المحيطين فى الشرق والغرب تهديدا مباشرا لسلامة

القارة الأمريكية وعلى ضوء هـذا التطور يمكننا أن نفسر أولا حرص الولايات المتحدة الأمريكية على اتخاذ قواعد استراتيجية دائمة لها فى الجزر المتاخمة لشواطىء آسيا وأوربا وثانيا خروج أمريكا من عزلتها القديمة واشتراكها فى الأحداث العالمية اشتراكا أصبح عنوانا على سياستها الجديدة التى عرفت بسياسة ترومان أو مبدأ ترومان ، والتى تتنافى تماما والسياسة الأمريكية القديمة التى سارت على ضوء مبدأ مونرو .

وأضحت سلامة القارة الأمريكية بعد هذا التطور مرتبطة بسلامة ثلاثة ميادين هاومة أولها ميدان غرب أوربا وثانيها ميدان الشرق الأقصى وثالثها ميدان الشرق الأوسط وكانت سلامة الميدان الأول هى العامل الأول فى اشتراك أمريكا فى الحرب العالمية الأولى كما كانت سلامته بالإضافة إلى سلامة ميدان الشرق الأقصى الذى اجتاحته اليابان إحدى دول المحور سببا فى اشتراكها فى الحرب العالمية الثانية وظل ميدان الشرق الأوسط بعيدا عن اهتمام أمريكا به حتى انتهت الحرب بوقوف روسيا ودولها وأمريكا وحلفائها كل منهما أمام الآخر تحاول كل منهما أن تقضى على الأخرى أو تنزلها على إرادتها ورغبتها.

واجتاحت الشيوعية بلاد الصين وأقامت فيها حكومة شعبية رجحت كفة روسيا فى ميدان الشرق الأقصى إلى حد كبير. فإذا كانت المعركة الأخيرة الفاصلة فى الحرب قد جرت فى ميدانى غرب أوربا والشرق الأقصى وكان الميدان الأول هو ميدان المعركة الفاصلة فى الحرب الأولى ، فإن ميدان الشرق الأوسط سيكون بلا ريب ميدان الحرب الرئيسى وميدان المعركة الفاصلة فى الحرب القادمة فلاغرو إذا قلنا أن مركز الثقل الدولى قد انحرف انحرافا شديدا نحو هذه المنطقة .

ولن يكون للميدان الغربى من الأهمية ما كان له فى الحربين الماضيتين فإن انهيار مبدأ توازن القوى فى أوربا قد قضى على تكافؤ القوى فيه فضلا عن بعده عن مراكز الامدادات التى يمكن أن تتدفق إليه من أمريكا عبر البحار مما يجعل لسرعة الحشد والتقدم فضل المبادأة وسرعة كسب النصر الذى يعززه تفوق القوى فى جانب عنه فى الجانب الآخر ولذلك فإن من المرجح أن يتم احتياج غرب أوربا فى سرعة بالغة لا تترك مجالا للغرب لحشد قواه وتعزيز دفاعاته وهذا هو السبب فيما تنادى به أمريكا من ضرورة تعزيز الدفاع عن غرب أوربا تعزيزا يكفل الوقوف أمام أى زحف تقوم به روسيا أو تعطيله حتى يتاح الوقت الكافى للقوى الغربية للتجمع وحشد الإمدادات اللازمة للهجوم ولكن الهجوم على روسيا الغربية سيطيل أمد الحرب كما يطيلها الهجوم على الصين فإن هذه البقاع الشاسعة كفيلة بابتلاع أى عدد من القوات يمكن أن تنساب فيها فلا تلقى غير الدمار والموت المحقق كما أن الهجوم على هذه البقاع لا يقضى على منابع القوى الروسية التى تتركز فى الوسط وفى الغرب الروسى .

أما ميدان الشرق الأقصى فإن السياسة التى رسمها لنين منذ قيام الثورة الروسية ١٩١٧ والتى ترمى إلى نشر الشيوعية فى الصين قد نجحت بعد ربع قرن فى تحويل تلك الكتلة الأرضية الواسعة التى تضم مجموعة بشرية هائلة إلى صف الشيوعية ولا ريب أن عبء الحرب فى الشرق الأقصى سيقع على كاهل هذه الدولة مما يجعل روسيا تتفرغ لميدانى أوروبا والشرق الأوسط ولن يمكن القضاء على قوة الصين إلا بالقضاء على روسيا التى تمدها بعدد الحرب والقتال وتشرف على تعبئة مواردها وتنسقها لاحتمالات الحرب القادمة .

ولا يبقى بعد هذين الميدانين ميدانا حساسا غير ميدان الشرق الأوسط فهو أقرب ميدان للقواعد الاستراتيجية القوية التى تسيطر عليها الديمقراطيات الغربية كما أنه أقرب ميدان للامدادات القادمة من أفريقيا وجنوبى آسيا والامدادات الامريكية التى يمكن تنزل معداتها على شواطى أفريقيا الشمالية الغربية مضافا إلى ذلك أن الشرق الأوسط يضم أغنى منابع البترول فى أوروبا وآسيا والبترول هو عصب الحرب الحاضرة من يملك منابعة يملك أسباب النصر بيديه وثمة عامل آخر هو أن منابع البترول فى روسيا ومراكز الصناعة فيها تقع فى القوقاز قريباً من حدود الشرق الأوسط بل تتاخمها فى أغلب الأحيان .

فميدان الشرق الأوسط مسرح العمليات الحربية المنتظرة بين الكتلتين، ستطرقه قواتهما كرا وفرا وسيكون إصرار كل فريق على تثبيت أقدامه فى هذا الميدان وعدم التسليم فيه عاملا من عوامل شدة المعركة واحتدامها مما يجعل منطقة الشرق الأوسط التى نجت من أوضار حربين سابقتين مسرحاً للدماء والتخريب فى الحرب القادمة .

وستتبع خطوط الغزو فى تلك المنطقة الطرق المؤدية إلى منابع البترول سواء إلى روسيا أو إلى الشرق الأوسط كما تسلك أيضاً الطرق التى تؤدى إلى القواعد الاستراتيجية الهامة والغريب أن القواعد الاستراتيجية ومنابع البترول فى الشرق الأوسط تقع فى نطاق واحد من الأرض يمتد من الخليج الفارسى ويتجه شمالا إلى أرض الجزيرة فى العراق ثم ينحرف إلى الجنوب الغربى نحو ساحل اللفانت فجنوبا إلى قناة السويس .

وتقع منابع البترول فى إيران حول الخليج الفارسى وهى بذلك تتصل اتصالا وثيقاً بالقواعد البحرية فى الخليج والتى تشرف على خطوط المواصلات البحرية فى المحيط الهندى الى الشرق الأقصى وافريقيا الجنوبية والبحر الأحمر. وفى شمال الجزيرة فى العراق تقع منابع الزيت فى كركوك والموصل وهى أقرب منابع البترول فى الشرق الأوسط إلى الحدود الروسية وتمتد منها أنابيب يتدفق البترول فيها إلى حيفا [1] وطرابلس على البحر الابيض المتوسط أما منابع الزيت فى المملكة العربية السعودية والبحرين والكويت فتقع على الساحل الغربى للخليج الفارسى قريبا من القواعد البحرية للأساطيل.

وكذلك تقع منابع الزيت فى مصر قريباً من قناة السويس، ولهذا يمكننا أن نقول أن خطوط الغزو للقواعد الاستراتيجية تقود فى نفس الوقت الى منابع البترول وهو أهم مصدر من مصادر القوة والأهمية فى الشرق الأوسط وعلى ضوء هذه الاعتبارات يمكننا أن نتصور ميدان المعركة القادمة فى الشرق الأوسط كما يمكننا أن نخمن مناطق الحشد للقوات المحاربة وإلى أى حد يمكن أن تتعرض هذه المناطق للتدمير.

ولا ريب أن الحشد الروسى سيكون على مشارف طرق الغزو التى تصل إلى منابع البترول والقواعد الاستراتيجية وستقف أمامها حشود الغرب عند أقرب مواقع يمكن أن تحقق أغراض الدفاع وتكون صالحة للقيام بهجوم مضاد. وقد تتقهقر قوات الغرب أمام ضغط الزحف الروسى ولكنها لن تسلم بسهولة فى هذا الميدان فان التسليم فيه هو تسليم بالهزيمة ومن المنتظر أن يعد الغرب للدفاع والهجوم فى هذه المعركة أعظم عدته ولذلك فان هذه المنطقة ستكون مسارا

(١) أوقفت العراق دفع البترول إلى حيفا بعد احتلال اليهود فلسطين عام ١٩٤٨.

للجيوش فى عملياتها الحربية كراً وفراً فتتعرض بذلك لما تتعرض له ميادين القتال تخريب ودمار وستقوم طائرات المتحار بين بتدمير الأهداف البعيدة عن مرمى النيران المباشرة وذلك بالإضافة إلى أعمال الطابور الخامس الذى تعتمد عليه روسيا فى تحطيم الجبهة الداخلية وتعطيل المواصلات وتدمير المنشآت العسكرية والعمرانية وسيقابل هذا الطابور الخامس من جانب الغرب باعتقال أفراده ووضعهم تحت المراقبة خلال الحرب هذا إذا بقى للغرب نفوذ فى المنطقة وستضطلع قوات الكوماندس لدى الفريقين بضرب مؤخرة العدو وتدمير مواصلاته وتموينانه .

وثمة سؤال بعد ذلك يرد إلى أذهاننا وهو : إلى أى حد ينتظر استخدام القنابل الذرية فى تلك المنطقة ؟ والمرجح أن استخدام القنابل الذرية فى ميدان الشرق الأوسط أمر لا تدفع إليه ضرورات الحرب إلا فى بعض مناطق معينة يكون تأثيرها حيويا فى سير عمليات القتال ولا يمكن أن نخص منطقة يمكن أن تتعرض للضرب بالقنابل الذرية غير منطقة قناة السويس فان الحشود العسكرية الهائلة التى تقوم على ضفتى القناة وأهمية القناة الاستراتيجية ستغرى ولا ريب الروس بضربها وسيكون الهدف من الإغراء بما يحملهم على ضربها بالقنابل الذرية إن لم يكن بقصد تعطيل المواصلات فى القناة فلغرض تدمير المنشئات العسكرية والقضاء على القوات التى تحتلها كما ستكون منابع البترول الروسية فى باطوم وباكو هدفا للقنابل الذرية التى لن يتوانى الغرب فى استخدامها حينذاك .

وأخيراً يمكن أن نقول أن تلك المنطقة التى نجت من الحرب ودمارها مرتين ستكون أعنف مسرح للعمليات الحربية فى الحرب القادمة وعلى هذا المسرح سيتقرر مصير الحرب وتكون المعركة الحاسمة مالم تتجنب دولها الحرب وتقف حاجزا بين المتصارعين .

حياد الشرق الأوسط

والسلام العالمى

يتميز الشرق الأوسط بموقعه الفاصل بين كتلتين متصارعتين فى اخطر بقعة من بقاع الصراع العالمى الذى يمتد على طول حيوز القوى الكبرى من المحيط الهادى شرقا إلى المحيط الأطلنطى غربا و يعبر هذين المحيطين الكبيرين على هام من تلك الجزر المتناثرة عبر الماء بين العالمين القديم والجديد .

وحيز القوى كما يعرفه علماء الجيوبولتكس هو ذلك الموقع الحساس بين قوتين كبيرتين متصارعتين سواء كانتا دولتين متنافستين أوعدة دول متحالفة ضد دول أخرى تتحالف ضدها وهو غالبا ما يكون موطن الصدام بينهما فمنطقة الالزاس واللورين حيز من حيوز القوى يفصل بين فرنسا وألمانيا وكذا بولندا بموقعها بين روسيا وألمانيا أو بين مجموعة الشعوب السلافية وشعوب غرب أوروبا حيز من حيوز القوى أيضاً والشرق الأوسط بدروه هو الآخر حيز من حيوز القوى بين الدول الشيوعية والدول الرأسمالية أو بين النفوذ الشيوعى والنفوذ الرأسمالى.

و يمتد حيز القوى بين الكتلتين المتنافستين فى الوقت الحاضر على طول أرض الهامش أو النطاق الأرضى الذى يحيط بأوراسيا أوقلب الأرض كما يدعوها علماء الجيوبولتكس وهو تلك الكتلة الأرضيه الواسعة التى تسيطر عليها روسيا وتوابعها فى أوروبا وآسيا .

وتقوم الاستراتيجية الغربية على ضرورة السيطرة على حيز القوى بين

الفصول عدد إبريل ١٩٥٣ بعنوان «من صالح السلام أن يكفل للشرق الأوسط حياده» .

الكتلتين الشرقية والغربية ونشر القواعد العسكرية على طول الهامش الأرضى لتكون مراكز دفاعية أو قواعد للوثوب عندما تنقلب الحرب الباردة حرباً حامية يخوض المتنازعان غمارها بالحديد والنار . وفى سبيل ذلك عملت الاستراتيجية الغربية على تكتيل دول غرب أوربا فيما يعرف بحلف الأطلنطى وتسعى فى الوقت الحاضر إلى تشكيل القوة الضاربة لهذا الحلف فيما تدعو إليه من ضرورة تكوين الجيش الأوربى ويمتد حلف الأطلنطى بعد أن ضمت إليه إيطاليا واليونان وتركيا ليشمل الثنية الجنوبية الغربية من النطاق الأرضى الذى يحيط بالكتلة الشيوعية عبر جبال الألب والبلقان والأناضول فيحول بذلك بين الكتلة الشيوعية والوصول إلى البحر الأبيض المتوسط .

وفى الشرق الاقصى عقدت معاهدة الصلح مع اليابان وأقامت اتحاد دول الباسفيك وظلت حريصة على الإبقاء على فرموزا وحمايتها من اجتياح الصين الشيوعية لها والاحتفاظ بكوريا الجنوبية لتكون منطقة وثوب للغرب على منشوريا والصين وسيبريا . وهى تحاول أن تقيم فى الشرق الاوسط ما أقامته فى الشرق الاقصى وغرب أوربا من تكتل ضد الكتلة الشرقية ولكن يحول دون هذا الهدف ذلك الميراث الاستعمارى الضخم والجفوة العميقة التى خلقتها بريطانيا بين دوله وشعوبه فإن دول الشرق الاوسط التى عانت من أوضار الاستعمار ومساوئه لايعنيها غير مشاكلها الداخلية وكفاحها ضد الاستعمار ولذلك ظلت منطقة الشرق الاوسط وهى تمثل فى نظر الاستراتيجية الغربية فراغا هائلا فى أخطر موقع من مواقع الدفاع الغربى .

وتعمل الاستراتيجية الغربية على سد هذا الفراغ وهى راغبة فى الحرب

دفاعاً عن كيانها المهدد فإن الشيوعية تكسب كل يوم مواقع وأنصاراً دون أن تريق قطرة واحدة من الدماء ولذا فهى على خلاف الغرب راغبة عن الحرب ما دامت تحقق أغراضها سلماً ولن تحارب إلا إذا وجدت ما يهدد كيانها العام أو نفوذها الذى كسبته وإن كانت شديدة الرغبة فى نشر نفوذها ليضم مناطق النفوذ الغربى وهى تعتمد فى ذلك على الخلل الذى تلمسه فى النظام الرأسمالى من ناحية ، وسياسة الاستغلال الاستعمارى الغربى للشعوب الضعيفة أو المتأخرة أو المتخلفة عن ركب التقدم العام من ناحية أخرى . وترى الكتلة الرأسمالية أن كل يوم يمر هو فى صالح الكتلة الشيوعية ولكنها لا تستطيع أن تحارب قبلما تتهيأ للحرب وتنتهى من تنفيذ سياستها الاستراتيجية العامة القائمة على تكتيل العالم ضد الشيوعية والحرب قائمة لامحالة عند ما يقف العالم كتلتين متراصتين لا شذوذ فى أيهما ولا ثغرات فى كيان كل منهما وقد عرفت الشيوعية كتلتها وأمكنها أن تقضى على كل شذوذ فيها وهى حريصة على سد أية ثغرة تفتح فى جبهتها أما الرأسمالية فلم تستطع حتى هذا الوقت أن تمنع عوامل الشذوذ فى كيانها أو تلم الثغرات المفتوحة أو التى تفتح عليها يوما بعد الآخر ، وأوسعها ثغرة الاستعمار التى تغضب منها الشعوب المغلوبة أو التى تناضل فى سبيل حرياتها واستقلالها .

وهذه المحالفات العسكرية والتكتيل الجمعى للشعوب والموارد ليس فى صالح السلام العام وكلما كثر عدد الدول التى تقف على الحياد من الصراع بين الكتلتين كلما زاد الأمل فى استقرار السلام العالمى . وقد وقفت الهند موقفاً حاسماً من العراك الدائر بين الكتلتين فى كوريا وتزعمت دعوة الشعوب

الأسيوية لفض الحرب الكورية ولا ريب أن موقفها الحاسم و إعلان رغبتها في الحياد من أي حرب تنشب بين الكتلتين يؤخر حتما نشوب الحرب وانهيار السلام العام . وللهند في المعترك العالمي مكانتها المرموقة الواضحة تسندها فيها مواردها الضخمة وصناعاتها الناهضة التي أخذت تثب إلى مكان الصدارة فتحتل المكان الثامن بين دول العالم الصناعية مما يعزز موقفها الحيادي و يصون حيادها في أية حرب مقبلة .

ولكن ما ينطبق على الهند لا ينطبق على الدول الصغيرة فقد اجتيحت بلجيكا في حربين متتاليتين رغم حيادها واعتدت روسيا على حياد دول البلطيق في الحرب الثانية . و يرى الاستراتيجي الانجليزي ليدل هارت أن حياد الدول الصغيرة خرافة تتضاءل أمام جبروت الأقوياء ولكنه يرجع فيقول أن هذه الدول الصغيرة لا تستطيع أن تصون حيادها إلا إذا تكتلت سوياً أمام أي عدوان يأتيها من الخارج .

فإذا طبقنا هذا القول على دول الشرق الأوسط نرى أنها لا تستطيع أن تصون حيادها ما لم تتكتل سويا للدفاع عن هذا الحياد . ولكن يحول دون ذلك أن بعض دول الشرق الأوسط تخضع للنفوذ الغربي وترتبط بكثير من الالتزامات التعاهدية مع بريطانيا أو امريكا فتركيا قد أعلنت موقفها الصريح من الصراع القائم والعراق والأردن تربطهما ببريطانيا معاهدات دفاعية ومصر تحتلها قوات بريطانية [١] والنفوذ الأمريكي يغلب

---

(١) حققت مصر جلاء القوات البريطانية عنها في ١٨ يولية ١٩٥٦ حيث جلت آخر قوة بريطانية في عمليات الجلاء التي استمرت أقل من عامين .

فى المملكة العربية السعودية وتشارك بريطانيا أمريكا النفوذ فى ليبية وهذا الوضع الفعلى لدول الشرق الأوسط يحرمها من اعلان حيادها ولن تقبل روسيا هذا الحياد مادامت هناك قوات معادية ترابط فى أية دولة من دوله، ومادام هناك ظل لأى نفوذ غربى فى بلاده ولن تحترم روسيا هذا الحياد ما لم تعلنه هذه الدول وتؤكده وتدافع عنه ضد أى وضع يتعارض والحياد التام .

فاذا كانت الكتلتان المتنازعتان ترغبان فى السلام حقا فان مصلحة السلام العام أن تقوم كتلة حاجزة تمنع احتكاكهما وتحول دون خطر اقترابهما من بعضهما ولا توجد هذه الكتلة الحاجزة فى غير منطقة الشرق الأوسط التى تمتد من جبال هملايا فى الشرق إلى شبه جزيرة البلقان فى الغرب ومن مصلحة السلام العام أن تقوم هذه الكتلة الحيادية التى يشاء بعض المعقبين السياسيين أن يسميها الكتلة الثالثة ويمكن لهذه الكتلة أن تضم اليها بعض الدول الأسيوية التى ترغب فى الحياد كالهند وغيرها[١] .

ولكن قبل أن تقرر دول الشرق الأوسط حيادها المأمول فان عليها أولا أن تتخلص من كل ظل لأى نفوذ غربى بين دولها ، وأن تقوم علاقاتها بكل من الكتلتين المتنازعتين على قدم المساواة وبما يحقق أهداف السلام العالمى وثانياً أن تعمل على قيام تحالف واضح صريح بين دولها للدفاع عن هذا الحياد حتى يكون لها من القوة ما يصون سلامة حيادها ولن يكون هذا الحياد مأمونا ما ظلت دول هذه المنطقة متفرقة تفسح للنفوذ الغربى أو الشرقى بين ربوعها .

ومن مطالب الحياد أن تكون موارد الدولة وقدرتها الصناعية والحربية كفيلة بالمحافظة على سلامة هذا الحياد وهذا ما ينقص دول الشرق الأوسط ،

---

(١) ظهر هذا الاتجاه أخيراً فى مؤتمر باندونج ودعت مصر إلى هذه الفكرة فى سياستها الجديدة .

ومن أول واجبات هذه الدول أن تعمل على استكمال نواحى النقص فى قدرتها الصناعية والحربية وأن تمدها الدول الغربية والشرقية بكافة ألوان المعونة الفنية والاقتصادية التى تساعدها على النهوض ما دامت ترغب حقاً فى إقرار السلام العالمى والدفاع عنه كما نص على ذلك ميثاق الأمم المتحدة .

ونخرج من هذا كله بأن الشرق الأوسط هو الثقل الذى سيرجح كفة السلام العام فى ميزان القوى العالمية ومن مصلحة السلام العالمى أن تقف كل دولة على الحياد. ولن تنشب الحرب مالم تنحاز هذه الكتلة إلى أى جانب من جانبى الصراع العالمى ، فإذا نجح الغرب فى ضم هذه الكتلة إلى جانبه فهى الحرب لا محالة يتعجلها المتنازعون للخلاص من هذا التوتر الدولى الحاد وتلك الحرب الباردة التى تشتد يوماً بعد يوم .

ونستطيع أن نقول أخيراً أن أى ميثاق أو تعاهد يربط بين دول الشرق الأوسط والغرب هو تعجيل بالحرب لا محالة وأن حياد دول الشرق الأوسط بعد أن تحقق استقلالها هو فى صالح السلام العالمى ما تعاونت على حمايته بحماية حيادها .

الدفاع عن الشرق الأوسط

حقيقته ودوافعه

«بمناسبة توقف المحادثات المصرية الانجليزية الخاصة بالجلاء عن قناة السويس عقبت جريدة « تريبيون» الهندية على الموقف بقولها : « ان المعسكر الغربى يرى أنه ما لم تظل هذه القاعدة البحرية قوية وصالحة للعمل وللدفاع فى أى وقت فان أمن مصر والشرق الأوسط والمواصلات بينها وبين جنوب شرق آسـيا قد تتعرض الخطر ومهما يكن من أمر هذا النزاع فانالمسألة الجديرةبالاعتبار هى ، هلمن الحكمة انكارالحقوق الوطنية لشعب ما بسبب مشروعات للأمن يعدها المعسكر الغربى ؟؟ . ان الذين يتحدثون عن « العالم الحر » ويعنون به بلادا بعينها لا يمكن أن يستمروا فى انكار الحرية الوطنية والمطالب القومية المشروعة ... وحتى من وجهة النظر الحربية البحت . هناك مجال للتساؤل عما اذا كان من الممكن جنى أية فائدة من ابقاء قاعدة حربية فى وسط دولة معادية .. أن السياسة السلمية توجب على هـذا المعسكر أن يعمل على تشجيع الضمان الجماعى بين الدول العربية وتقوية وسائل الدفاع فيها ... »

* * *

لم يكثر حديث الدفاع عن الشرق الأوسط كما يكثر فى هذه الأيام . ولم يعرف العالم هذا المعنى إلا فى أعقاب الحرب الأخيرة وارتبط هذا الدفاع عن الشرق الأوسط بقضايا شعوبه ودوله كما لم يرتبط بها فى يوم من الأيام .

فقد كانت بريطانيا هى التى تضطلع بالدفاع عن هذه المنطقة وتبرم المعاهدات الثنائية بينها و بين دوله وهى المعاهدات التى تنظم احتلالها لهذه

---

(١) صوت الشرق العدد التاسع فى يونية ١٩٥٣ .

المنطقة وتتناول كافة التسهيلات العسكرية والقانونية لقواتها فى السلم والحرب على السواء وقد انتهت الحرب الأخيرة بخروج أمريكا من عزلتها فاحتلت المركز الممتاز فى التجارة والأسواق الاستهلاكية والاستثمارات المالية ، التى كانت تحتله بريطانيا فى الدول التابعة لها ، أو التى كانت تخضع لاحتلالها أو استعمارها من قبل كما احتلت أيضا الزعامة السياسية فى غرب أوربا حتى قيل أن أمريكا توشك أن ترث الامبراطورية البريطانية فى سيطرتها ونفوذها وزعامتها وهى الآن فى دور القوامة والوصاية عليها . وسلمت بريطانيا بهذا إبقاء على كيانها كدولة عظمى واستغلالا للمركز الممتاز الذى أصبحت تحتله أمريكا فى السياسة العالمية لتكون سندا لها فى حماية مصالحها واستعمارها حيال الشعوب الهضيمة التى اشتد كفاحها لنيل حريتها وتحقيق استقلالها .

وقد استطاعت بريطانيا أن تقنع أمريكا فى أعقاب الحرب الأخيرة مباشرة بأنها أقدر على سياسة دول الشرق الأوسط لسابق خبرتها بهاته الدول ولما يربطها بها من علاقات قديمة . حتى إذا فشلت فى تجديد معاهداتها الثنائية بما يتفق ومصالحها وأهدافها انقلبت تستجدى أمريكا وتطلب عونها فى الإبقاء على احتلال هذه المناطق ابقاء على سلامة العالم الحر وأمنه ضد الخطر الشيوعى المتاخم . وهو ادعاء يستهوى أمريكا ويهمها كما لم يستهو دولة أخرى غيرها أو يهمها فأمريكا ذات المصالح العديدة فى العالم أجمع والتى أصبحت تملك أعظم رؤوس الأموال العالمية بعد أن خرجت من الحربين الماضيتين وهى تدين كل الدول التى ارتبطت معها خلالها ، قد أصبح من صالحها أولا أن تبحث عن مناطق خارج القارة الأمريكية لاستثمار رأس

المال الفائض عن حد الكفاية الأمريكية . وثانيا لأن الديون الطائلة التى لها فى الخارج لا يمكن أن تستعيدها أو تستثمرها إلا إذا كان الكيان الاقتصادى لهذه الدول المدينة قويا بشرط ألا يطغى على قوة رأس المال الأمريكى . وثالثا لأن مصالحها البترولية فى الشرق الأوسط بالذات تنمو وتكبر بشكل لم تعهده من قبل .

وقد خرج العالم من الحرب العالمية الأخيرة وهو ينقسم إلى كتلتين كبيرتين : الكتلة الشيوعية التى تستمد وحيها من موسكو ، والكتلة الرأسمالية التى تستمد وحيها من واشنطون وترى فى الكتلة الشيوعية خطرا حقيقيا يهددها بالفناء ويحاول أن يقضى على الدعائم والأسس التى تقوم عليها فعملت على حصرها والإحاطة بها حتى لا تتسرب إلى العالم الذى تسيطر عليه وتهدد نفوذها فيه .

وتصر كل من الكتلتين على أنها مهد الحرية والديمقراطية . وقد ناقش البانديت نهرو فى كتابه « نظرات فى تاريخ العالم »[١] هذه الحقيقة وخرج منها بأن الديمقراطية الشيوعية هى ديمقراطية الأغلبية العمالية أو البلوريتاريا وتدين بمصلحة الجماعة وملكية الدولة لرأس المال أما الديمقراطية الرأسمالية فتدين بحرية الفرد وحرية رأس المال فى التجارة والتداول . فالنزاع فى حقيقته الكبرى نزاع اقتصادى قبل أن يكون نزاعا مذهبيا أو فكريا . وهو دفاع على المصالح الاقتصادية قبل أن يكون دفاعا عن الحريات والمبادىء .

والمصالح التى للكتلة الغربية أو الرأسمالية فى الشرق الأوسط عديدة

---

(١) Glimipses of the World History

وتبشر بالنمو والزيادة . وأهم هذه المصالح البترول عصب الحرب والصناعة ومنجم الذهب العظيم للاستثمارات المالية الكبرى . ثم التجارة والأسواق الاستهلاكية النامية وكذلك المواصلات العالمية التى تتركز وتتلاقى فى هذه المنطقة وتصل بين الكتلة الغربية ومناطق نفوذها الواسعة فى أفريقيا وآسيا وتعمل الكتلة الغربية على ضمان هذه المصالح وحمايتها بالإبقاء على نفوذها السياسى فيها . والنفوذ السياسى كما علمنا التاريخ فى مراحل تطوره وسيره يستند دائما إلى القوى العسكرية والاحتلال ، ولما كان الاحتلال العسكرى أمرا تبغضه الشعوب وتمقته ولا يتفق مع حقها فى تقرير مصيرها أو الحقوق التى خولتها الأمم المتحدة للدول الأعضاء فإن هذا الاحتلال يجب أن يقوم على سند من رغبة الشعوب وإقرار الدول ورغبتها ولا يحمل الشعوب ، والدول على قبوله إلا إثارة الخوف من حرب مقبلة وضرورة الاستعداد لمواجهتها فتكون الضرورات الدفاعية وسيلة جديدة لإبقاء الاحتلال القديم فى مظهر جديد وصورة أخرى وإن اتفقت النتائج والأهداف .

والدفاع عن الشرق الأوسط وسيلة تستند إليها بريطانيا فى الإبقاء على احتلالها للمناطق التى تحتلها فى بلدانه المختلفة فالدفاع عن المواصلات الامبراطورية وطريق الهند قد انقلب إلى الدفاع عن الشرق الأوسط وأمن العالم الحر !

ولا يستند الدفاع عن الشرق الأوسط إلى حقائق استراتيجية ولا إلا خوف حقيقى من خطر حرب وشيكة الوقوع . ونقولها مؤكدين أن الحرب ليست محتملة إلى عشر سنوات قادمة وليس أدل على ذلك من إجابة الجنرال

فوللر الاستراتيجى البريطانى الذائع الصيت على صحفى أمريكى إذا يسأله هل يتوقع حرباً فى القريب العاجل فيجيب « كلا » ثم يقول : إن فكرة لينين فى الحرب تقوم على تأخير الحرب حتى تنهار معنويات العدو ويقضى عليه فى الداخل فيسهل التغلب عليه ، ثم يبرر الاستعداد العسكرى الكبير لروسيا بأنها تخشى أن تنقلب الحرب الباردة التى تشنها الدول الغربية عليها إلى حرب حامية . ونضيف إلى قول فوللر هذا حقيقة استراتيجية أخرى وهى أن الاستعداد للحرب كثيراً ما يجعل العدو يفكر قبل أن يقدم عليها ، وإن كان ينتهى دائماً بإعلان الحرب حين تصل الشعوب إلى درجة التشبع بفكرة الحرب أو يصل الإعداد للحرب إلى ما فوق طاقة الدولة نفسها فلا تجد مناصاً من أن تخوض غمارها . ولا يجب أن نتخذ من إجابة فوللر دليلا على بعد أمد الحرب القادمة فحسب فإن العوامل الأخرى التى تؤخر قيام الحرب أقوى مما يراه فوللر . فهذا الجيل الذى شهد آلام الحرب الماضية وكوارثها لا بدو أن يفنى وينتهى قبل أن يقوم جيل آخر يتشبع بفكرة الحرب ويتشيع لها .

فليس هناك إذن خوف من حرب عاجلة وليس هناك داع لتعبئة شعوب الشرق الأوسط لفكرة الحرب قبل أن يحقق مطالبه وأمانيه . ثم ما هى الدوافع والمصالح الحقيقية التى يمكن أن تدفع شعوب هذه المنطقة إلى محالفة الغرب ضد عدو غير مباشر بينما الغرب يمثل فى نظرها العدو المباشر الأحرى بالجهاد والنضال والتأهب ؟ !

إن الدافع الحقيقى لفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط لا يرجع إلى خطر الحرب أو احتمال حرب وشيكة الوقوع بقدر ما يرجع إلى رغبة الدول الغربية

فى حماية مصالحها واكتساب حق شرعى فى احتلالها للمناطق التى تحتلها .
ولا أدل على ذلك من مجافاة الأسس الاستراتيجية للدفاع عن الشرق الأوسط لما تطالب به بريطانيا وتسندها فيه أمريكا . فالدفاع الحقيقى عن الشرق الأوسط ليس فى قناة السويس ولا فى ليبيا ولا فى الظهران وإنما يقع فى مواجهة فتحة القوقاز بين بحر قزوين والبحر الأسود حيث يمكن أن تتقدم القوات الروسية نحو الشرق الأوسط كما يقوم فى البلقان وهو منطقة الاقتراب الأخرى لأفريقيا الشمالية والشرق الأوسط . أما تركيا فليست طريقاً للاقتراب وسيتحاشى الروس اقتحامها وسيدورون حولها حتى يتجنبوا سلسلة الجبال المتاخمة لسواحل البحر الأسود شمال الأناضول والتى تعوق تقدم القوات الميكانيكية كما أن سواحل البحر الأسود التركية لا تصلح مطلقاً لعمليات إنزال القوات ولن تقتحم تركيا إلا من حدودها الشرقية وحدودها الغربية ، حيث تقع طرق الاقتراب الرئيسية إلى داخل الأناضول ولم يعد للبواغيز أهميتها الماضية . فإن السيطرة على سواحل بحر إيجه والتحكم فى مدخله لا تجعل لها أية قيمة دفاعية وسيكون شأنها شأن قلعة سنغافورة فى الحرب الماضية حين احتلتها قوات اليابان بمهاجمتها براً وتطويق مداخلها البحرية .

أما قناة السويس فقد برهنت الحربان الماضيتان على أنها ممر مائى فحسب يتعطل فى حالة الحرب ولا يمكن الدفاع عنها من شواطئها بل إلى الأمام منها بعمق كاف حتى لا تتعرض للنيران المباشرة . فليس أخطر عليها من وقوعها فى دائرة العمليات الحربية أو داخل نطاق النيران المباشرة ولم تعد القناة بعد تقدم الطيران الرائع آمنة من الخطر ثم أن وجود القاعدة وما فيها من حشود وقوات يغرى بضربها بالقنابل الذرية . فهى هدف عسكرى رائع للضرب الذرى لا يخشى معه تدمير مناطق الإنتاج المجاورة أو تعريض المدنيين لأخطارها مما

يجافى الروح الإنسانية إذا بقى لهـا أثر فى الحرب القادمة . وإذا انتظرت القوات الدفاعية فى القناة حتى تسيطر القوات المهاجمة على رءوس طرق التقدم فى القوقاز وشمال إيران والعراق وفى البلقان فلن يعوق هذا التقدم عائق بعد سيطرة القوات المهاجمة عليها .

ولا يفسر بقاء الإنجليز فى قناة السويس بعد كل هذا إلا أنها الشريان المـائى الذى يسيطر على تجارة العالم كما أنها المرقب الذى تقف فيه بريطانيا لتحرس نفوذها فى بلدان الشرق الأوسط وتحمى مصالحها وتصون تجارتها وأسواقها الاستهلاكية وبترولها الدافق خلال القناة وتستطيع بريطانيا من قاعدة القناة منه أن تتقدم لتقمع كل محاولة للخروج عليها فى بلدان الشرق الأوسط الأخرى فهى أوسط مكان للسيطرة على هذه المنطقة بأكلها ، فإذا استطاعت أن تضمن هذه المصالح بمعاهدة مع مصر لم يعد هناك ما يربطها بالبقاء فى منطقة القناة الخطرة التى أصبحت بتطور آلة الحرب أشبه بمصيدة للفئران ، فبقاؤها فى القناة ليس إلا وسيلة للمساومة على كسب امتيازات جديدة وحماية مصالحها التقليدية القديمة .

هذه هى الحقائق الخفية وراء فكرة الدفاع عن الشرق الأوسط وهى تتلخص فى رغبة بريطانيا — وتظاهرها أمريكا لاشتراك المصالح — فى احتلال قواعد معينة فى الشرق الأوسط لحماية مصالح الغرب التى تتمثل فى البترول والتجارة والأسواق الاستهلاكية والاستثمارات المالية احتلالا يكتسب صفة شرعية أما خطر الحرب أو توقع حرب وشيكة الوقوع فهذه أمور بعيدة الاحتمال فى الوقت الحاضر على الأقل .

تركيـــا
والدفاع عن الشرق الأوسط

تسير تركيا فى عجلة السياسة الأمريكية سيراً تاماً ، وتربط كيانها ومستقبلها بكيان أمريكا ومستقبلها . وتقوم السياسة الأمريكية فى الوقت الحاضر على قاعدة واحدة لا تشذ عنها وإن تعددت أصولها ومظاهرها ، إلا أن وحدة الهدف الذى تنشده وترمى إليه هو الذى يربطها بهذه القاعدة الوحيدة لسياستها العامة أما الهدف فهو محاربة الشيوعية فى كل بقعة من بقاع الأرض والحد منها وتقييدها إن لم يكن القضاء عليها ولهذا الهدف وضعت القاعده وهى حصر الشيوعية فى أرضها التى تعيش فيها ومنع تسربها المذهبى أو العسكرى خارج حدودها بإقامة نطاق حولها من الدول المتحالفة التى تؤمن بهذا الهدف وتعمل معها على تحقيقه والوصول إليــه . وفى هذا النطاق تنثر القواعد العسكرية العديدة لأغراض الدفاع والهجوم إذا ما نشبت الحرب بينها و بين الدول الشيوعية .

وفى سبيل هذا الغرض أقامت أمريكا حلف الأطلنطى فى غرب أوروبا ودعمته وربطته بحلف البلقان الذى يضم تركيا واليونان ويوغوسلافيا ، وتحاول أن تقيم نظاماً دفاعياً فى الشرق الأوسط على غرار حلف الأطلنطى أو حلف البلقان وتربطه بهما لتتصل هذا الحلف بدوره بحلف جنوب شرق آسيا وحلف الباسفيك ، وبذلك يمتد هذا الحزام الدفاعى حول الكتلة الشيوعية من الغرب إلى الشرق ويحصرها فى داخله تماماً ويمنع تسربها إلى خارجه .

الفصول عدد مايو ١٩٥٥

وقد نجحت أمريكا فى إقامة حلف الأطلنطى وحلف البلقان وارتبطت أخيراً بدول مؤتمر مانيلا فى حلف عسكرى للدفاع عن جنوب شرق آسيا ، كما نجحت فى إدماج بعض دول شرق آسيا فى حلف الباسفيك واستعصى عليها رغم محاولاتها العديدة إقامة حلف من دول الشرق الأوسط للدفاع عن هذه المنطقة الحساسه فى دفاعات القرب ، فهى المنفذ الوحيد لإفريقيا التى تكفل أعظم عمق استراتيجى للقوات الغربية ، وبقيت هذه المنطقة تمثل فراغا استراتيجيا هائلا فى نطاقها الدفاعى حول الشيوعية .

ولم يكن بين دول الشرق الأوسط ما هو أشد حماسا للتحالف ضد الكتلة الشيوعية وحربها من تركيا ، فإن الظروف التى تحيط بها تدعوها إلى هذا الموقف وتحملها عليه . فالعداء التقليدى القديم بينها و بين روسيا وخوفها من أطماع الروس فى البواغيز وهى ممر روسيا البحرى إلى البحر الأبيض المتوسط وتجدد المطالب الروسية بعد الحرب العالمية الثانية فى قارص واردهان وطلبها المشاركة فى حماية البواغيز ، كل هذا كان يدفعها إلى الحذر من روسيا وتوقيها والتحالف ضدها ومناصبتها العداء . فالعداء التركى الروسى ليس عداء مذهبياً يدور حول الشيوعية كما هو مع أمريكا ولكنه عداء تقليدى قديم يتصل بتلك العوامل التى ذكرناها ، وإن كان الشعب التركى أبعد الشعوب عن الإيمان بالشيوعية لعدة أسباب منها أن الشيوعية يقوم عليها شعب ظل يناصب الأتراك العداء ، وثانياً إيمان المسلم التركى بدينه إيماناً يحميه من خطر الإلحاد الشيوعى . وقد نحسب أيضاً هذا العداء العنصرى بين الجنس التركمانى الذى ينحدر منه الأتراك والجنس المغولى الذى ينحدر منه

الروس سبباً من هذه الأسباب . وقد اتصل هـذا العداء بين العنصرين في فجر تاريخهما منذ كانا يتنازعان المرعى وموارد الميـاه ومناطق الغزو في أواسط آسيا .

وقد جمع هذا الموقف بين تركيا وأمريكا . . فالدولتان تتفقان على معاداة روسيا فروسيا تمثل فى نظر الأتراك عدوا قديما كانت له أطماعه التقليدية فى أراضيها ومياهها كما تمثل فى نظر أمريكا وطن الشيوعية الأول واخطارها البادية ، الشيوعية التى تحاربها وتعمل للقضاء عليها قبل أن تغدو مارداً جباراً يغتال كيانها الرأسمالى الضخم . فالتحالف التركى الأمريكى تحالف طبيعى ، ولم تـكتف تركيا بأن تسير فى فلك أمريكا بل غدت أعظم الدول فى العالم تحمساً للسياسة الأمريكية ، فاشتركت فى حلف الاطلنطى وربطت بينه وبين حلف البلقان الذى تتزعمه أمريكا وتلعب الدور الأكبر فيه . وأفسحت من أراضيها لإقامة القواعد الامريكية الضخمة وأصبحت مخزناً هائلا للعتاد الأمريكى .

وتحمل تركيا فى الوقت الحاضر رسالة السياسة الامريكية فى الشرق الأوسط ، فتتزعم الدعوة لحلف الشرق الأوسط حتى تتم حلقة التطويق التى تقيمها أمريكا حول الشيوعية فعند تقديم المقترحات الرباعية لقيادة الشرق الأوسط المشتركة ، كانت تركيا إحدى الدول الاربع التى تقدمت بها أما الدول الأخرى فهى أمريكا وانجلترا وفرنسا ، وتدخل تركيا قاسماً مشتركا فى كل مشروع للدفاع عن المنطقة تتقدم به أمريكا .

وتؤمن أمريكا من ناحيتها إيماناً تاماً بحرارة وصدق الولاء التركى لمبادىء السياسة الامريكية ، فقد رفضت تركيا خلال حكم عصمت اينونو أن تدور فى فلك السياسة البريطانية حين قدر الانجليز أن تكون منطقة الشرق الأوسط لنفوذهم المطلق بعد الحرب العالمية الثانية . ورفض عصمت اينونو حتى مبدأ الاتصال مباشرة بالانجليز من غير وساطة أمريكا ، وحين أخذ خطر النازى يهدد تركيا عام ١٩٤١ أعلن الرئيس الأمريكى روزفلت ، أن سلامة تركيا تهم الولايات المتحدة الامريكية وأنه يعتبرها الخط الأمامى للدفاع عن أمريكا . وفى خلال عام ١٩٤٧ أصدر ترومان تصريحه المشهور الذى عرف بمبدأ ترومان وقال فيه أن الولايات المتحدة الامريكية تمد يد العون لكل دولة تتعرض للعدوان . وكان يعنى بتصريحه هذا تركيا واليونان ، وفى نفس العام وافق الكونجرس على منح تركيا معونة مالية قدرها مائة مليون دولار .

وتقوم تركيا بالدور الأول فى إبرام حلف شمال الشرق الأوسط ، وهو آخر ما وصلت إليه أفانين السياسة الأمريكية لإقامة حلف دفاعى عن المنطقة .

وتعود قصة هذا الحلف إلى عام ١٩٥٣ حين قام « فوستر دللز » وزير الخارجية الأمريكية برحلته حول العالم وعرج فيها على الشرق الأوسط لدراسة شئون المنطقة فاتصل بزعمائه وساسته . وقد خرج من رحلته تلك بعدة حقائق منها أن شعوب المنطقة والمسئولين فيها لا يختلفون حول خطر السيوعية ولكنهم يرون أن هناك قضايا خاصة تمسهم ، أولى باهتمامهم من خطر الشيوعية

وخص بالذكر الدول العربية فقال إن عدم تحقيق أمانيها القومية يحول

بينها و بين أى تعاون مع الغرب ثم مسألة إسرائيل وما تركته من آثار مريرة فى نفوس العرب فإن مساعدة الغرب لها يجعل العرب فى شك دائم من نواياه حيالهم . ثم تناول الدفاع عن المنطقة من الناحية الاستراتيجية فقال أن خط الدفاع الأول عن الشرق الأوسط يقع فى الشمال فى نطاق يمتد من الباكستان إلى تركيا ، و يضم أفغانستان و إيران والعراق عدا تركيا والباكستان وأن بعض هذه الدول تدرك تماماً الخطر الشيوعى الماثل وتعيه كما نعيه نحن الأمريكيين ، فإذا قام حلف يضم هذه الدول التى تؤمن بذلك فإن هذا يعتبر تمهيداً لدخول دول أخرى فيه . ولما كانت بعض هذه الدول تشعر بخيبة أمل مريرة من ناحية الغرب فالأولى ألا تدخل تلك الدول فى هذا الحلف مباشرة وتترك أمريكا أمره فى البداية لهذه الدول الداعية إليه وحدها ، حتى يأتى الوقت المناسب لاشتراك الدول الأخرى فيه وليس هناك مايمنع من ارتباط أمريكا بمقتضى اتفاقيات العون المتبادل مع هذه الدول المتحالفة فتصبح أمريكا وقد ارتبطت بالحلف ككل بطريق غير مباشر .

وتركت لتركيا مهمة القيام بتنفيذ خطة هذا الحلف ، و بدأت تركيا مهمتها فارتبطت مع الباكستان باتفاق ضم بنوداً للتعاون العسكرى بجانب بنود أخرى للتعاون الاقتصادى والثقافى فى الوقت الذى ارتبطت فيه الباكستان بأمريكا باتفاقية للعون المتبادل واتجهت تركيا بعد الباكستان إلى العراق . فالعراق تربطها بتركيا معاهدة صداقة وجوار منذ عام ١٩٤٦ ونجحت أخيراً فى جر العراق إلى توقيع الاتفاق العسكرى الأخير معها ، ولم يعد أمام تركيا أو أمريكا لتكملة النطاق الاستراتيجى لهذا الحلف إلا أن تضم إليه إيران وأفغانستان ، أما أفغانستان فقد رفضت منذ البداية الارتباط بغير روابط حسن الجوار والمودة

مع الفريقين ، و بقيت إيران ، وتشير الأنباء الخارجية إلى أن دخولها فى هذا الحلف أمر مفروغ منه[١] .

ولكن هل يتاح لهذا الحلف أن ينجح فى تحقيق أغراضه والهدف الأخير منه وهو إقامة منظمة دفاعية للشرق الأوسط تضم دول المنطقة جميعا ؟ .

لقد ظهرت المعارضة القوية له من جانب مصر والمملكة السعودية وسوريا ووقفت لبنان والأردن منه موقفا مائعا وما زالت إيران تزن ظروفها الحقيقية قبل أن تقدم ، فإذا عرفنا أن الشرط الأساسى لنجاح هذا الحلف هو أن يكون حلفا جماعيا وأن البدء به على هذه الصورة هو تمهيد لادماج دول المنطقة جميعا فيه ، إذا عرفنا ذلك كله استطعنا أن نقدر مدى الفشل أو النجاح الذى ينتظره وفى انتظار الأيام القليلة المقبلة فإنها قد تحمل ما ليس فى حسبان أى إنسان[٢]

---

(١) دخلت إيران الحلف بعد ذلك وأصبح يضم تركيا والعراق وإيران وباكستان والغريب أن بريطانيا هى التى تحمست له وتبنته بينما وقفت أمريكا فى حذر من الارتباط الصريح به .

(٢) لم يبد حتى الآن أن هذا الحلف قد حقق الغرض المنشود من إبرامه بل أن مقاومته قد أخذت تشتد وتعنف فى بقاع العالم العربى أجمع وعند الشعوب العربية جميعاً .

الباب الخامس

العـــروبة

١ ـــ مصر والعروبة .

٢ ـــ جامعة الدول العربية .

٣ ـــ العرب بين الحياد والتحالف .

٤ ـــ الضمان الجماعي العربي وسد الفراغ .

مصر والعروبة

لم يكن التفكير فى وحدة العرب وليد الظروف والاتجاهات التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية ولم يكن وليد الاتجاهات الانجليزية حيال السياسة الدولية وما يضطرم به الأتون العالمى من أحداث وأفكار ومخاوف تدفع الدول إلى التكتل والتآلف وجمع الحلفاء والأعوان وضمان النفوذ فى المواقع الاستراتيجية الهامة فى العالم فقد سبقت هذه الاتجاهات الجديدة رغبة العرب أنفسهم فى التكتل والتجمع وتوحيد الجهود بل امتدت هذه الرغبة فى يوم من الأيام فكانت تهدف إلى جمع الأمم الإسلامية فى نطاق واحد من الاتجاهات والتعاون والجهاد فى سبيل النهوض والتحرر من خطر الاستعمار ولم تكن الجامعة الإسلامية التى نادى بها بعض الأحرار المسلمين والتى شجعها السلطان عبد الحميد فى نهاية القرن التاسع عشر إلا لونا من ألوان هذا الاتجاه فى الشرق الإسلامى . وكانت جامعة عليكره أكبر الجامعات الإسلامية فى الهند موطن هذه الرغبة الإسلامية الكبرى ، وكان السيد جمال الدين الأفغانى رائد هذه الدعوة فى بلاد الشرق الإسلامى . ولا تزال هذه الرغبة تراود أذهان بعض الساسة والمصلحين من المسلمين وخاصة فى الباكستان وهى موطن الأحرار من مسلمى الهند الذين اتجهوا بقلوبهم وعواطفهم إلى الشرق الإسلامى علهم يجدون من هذه المجموعة الإسلامية الكبرى ما يحمى كيان المسلمين فى الهند رغم كثرتهم حيال الطغيان البشرى للهندوس .

البحث الفائز بجائزة جريدة المصرى فى هذا الموضوع (ابريل عام ١٩٥٠) .

وكانت سياسة محمد على فى مصر ترمى فى بعض اتجاهاتها إلى جمع البلاد التى تتكلم العربية فى نطاق واحد من الحكم والإدارة والاتجاهات الثقافية والاجتماعية والسياسية وخاصة بعدما وقفت جيوشه تطرق أبواب الأناضول وتهدد الآستانة غادة البسفور وعاصمة السلاطين من بنى عثمان .

وكانت البلاد فى العالم العربى والإسلامى تموج بهذه الأفكار والآراء ولا تجد فى غير مصر متنفسا لهذه الدعوات حتى كانت الحرب العالمية الأولى وانهيار الامبراطورية العثمانية وانقشاع نفوذها عن بلاد هذا العالم بعد ما ران عليها أربعة قرون من الزمان فوقعت هذه البلاد من الشرق العربى فى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين تحت نير الانتداب الإنجليزى والفرنسى وكانت بلاد العروبة فى شمال أفريقيا تخضع بدورها لألوان من النفوذ الإيطالى والفرنسى والأسبانى وهى بلاد تكون جزءا هاماً فى نطاق العروبة عاشت فيه وجرت فى تياره منذ امتد الفتح العربى إلى هذه البلاد حتى اقتطعها الاستعمار من جسم الإمبراطورية العثمانية وأقام حواجز ضخمة بينها و بين جاراتها وخاصة مصر التى ظلت تنظر إليها بعين الرجاء والأمل والحب .

وكان من آثار الحرب العالمية الأولى وانهيار الخلافة العثمانية ثم خضوع هذه البلاد العربية لألوان من النفوذ الأجنبى أن قوى فيها الروح القومى ووضح الطابع الشخصى لشعوبها وهو الطابع الذى كان يتوارى أمام القومية الإسلامية العامة التى ربطت بين شعوبها فى نطاق الحكم الإسلامى العام ونفوذ الخليفة السياسى والروحى . وكان من ألوان هذا الطابع الشخصى فى مصر اتجاه كثير من المصريين إلى المصرية فى الحياة والأدب والفن والثقافة وشجر الخلاف بين أنصار المصرية

الخالصة والعربية الخالصة عدا فريق جعل همه التوفيق بين الاتجاهين فليست مصر عربية خالصة كما أنها ليست مصرية خالصة بل هى نتاجهما وثمرة انصهارهما فى هذا الوطن الذى كيف التاريخ والقومية فى نطاقه . وتركيا بدورها فى غمار هذا الاتجاه قد أولت ظهرها للشرق ونفضت عنها الكثير عن عاداته وميوله وتقاليده واتجهت إلى الغرب فى طفرة عجيبة بل ظهر فيها من دعا إلى القومية العنصرية فقام أنصار الجامعة الطورانية يدعون إلى وحدة الجنس الطورانى كالوحدة الجرمانية التى نادت بها النازية فى ألمانيا ، وبقيت تركيا فى هذا الوقت لا تربطها ببلاد الشرق الإسلامى رابطة من سياسة أو وحدة أو اتجاه إلا ما طرأ من التفكير الأخير فى حلف للبحر الأبيض المتوسط يضم مصر وتركيا فى نطاقه مع الدول العربية الأخرى .

وقامت الحرب العالمية الثانية والشعوب العربية فى الشرق الأوسط قد وضح فيها طابع القومية الإقليمية ولكن بقى فى أعماق عواطفها الكمينة ألوان من الحب الذى يربط الشعوب العربية فى وحدة من الجهاد والكفاح للتخلص من براثن النفوذ الأجنبى وفى غمار هذا الكفاح كانت عواطف الأخوة والألم والمودة تدور فى نفوسها كلما ألم بإحداها داع من سوء لا تظهر آثاره إلا ألوانا من الألم الحبيس يطفح بالمجاملة والصراخ واللوعة .

واختلفت طرائق الحكم فى تلك البلاد فكان منها الحكم الجمهورى والملكى الاوتوقراطى والملكى الدستورى ولم تكن العلاقات السياسية بين حكوماتها على شىء من حسن الرابطة أو تبادل التعاون إن لم تكن مفقودة غير قائمة على ولاء أو حب فكانت العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية متوترة بعد حادث المحمل عام ١٩٢٧ ولم يكن هناك ود ما بين عاهل الجزيرة العربية

و بين اليمنيين أو بينه وبين الهاشميين فى العراق وشرق الأردن . ولم يبد أى اتجاه من هذه الدول يرمى إلى الارتباط والتحالف فقد كان أغلبها يخضع لتيارات السياسة الخارجية والنفوذ الأجنبى .

ثم كانت الاتجاهات التى تمخضت عنها الحرب الأخيرة فالانتصارات الروسية فى الميدان الشرقى وتخاذل الجيوش الألمانية أمام صمود الحلفاء ثم انكسارها بعد دخول أمريكا الحرب وتخلخل الإمبراطورية الإنجليزية وغلبة الروح التحريرية فى الشعوب المغلوبة على أمرها فضلا عن تكافؤ القوى التى كتب لها النصر وخروج أمريكا من عزلتها وانهيار نطاق العزلة الذى ضربته الدول حول روسيا بعد قيام الحكم البلشفى فيها نظراً لجهودها فى الحرب كل هذه العوامل جعلت انجلترا تتجه إلى مجموعة الدول العربية تخطب ودها فى عالم يؤذن بالقلق والاضطراب والتوتر الدولى، فكان هذا إيذاناً بميلاد جامعة الدول العربية.

ولم تكن الجامعة العربية رغم الظروف التى أحاطت بمولدها إلا صدى رغبات عميقة ثارت فى نفوس العرب رغم نضوج القومية الأقليمية ووضوحها فليست وحدة العرب فى حناياهم إلا تراثاً تاريخياً ضخماً من الزمن والجنس والثقافة والدين واللغة .

وقامت الجامعة العربية على أسس من التعاون السياسى والثقافى والاجتماعى تضم فى نطاقها الدول العربية التى كانت طوال تاريخها مسرحا للأحداث الإسلامية الكبرى من أيام الأمويين والعباسيين والعثمانيين و إن لم يشمل هذا النطاق بلاد العروبة فى شمال أفريقيا وهى فى مضمار هذه الوحدة الأقليمية امتداد استراتيجى وسياسى وثقافى لاتجاهات الجامعة العربية وأغراضها و إن لم يهمل الساهرون على خير العروبة بهذا الأقليم فكانت دعوتهم ترمى إلى تعزيز

العروبة بضمه إلى جامعة الدول العربية وكان موقفهم من أحداثه وأهدافه موقف الخير الحريص على خير أخيه .

وكان لمصر كما كان لها فى ظروف التاريخ المختلفة زعامة هذه المجموعة العربية فهى الأم التى يتجه إليها الأبناء فى طلب الرعاية والمعونة والخير وكانت مصر لآمالهم خير راع ولآلامهم أبر آسٍ ، وكانت معونتها الثقافية لهذه الأقاليم العربية لا تنكر فى مجال الخير والعمل .

وكان للتجمع العربى الجديد أثره القوى فى اتجاهات السياسة العالمية . فقد كان هذا التجمع جليا واضحا فى اجتماعات هيئة الأمم المتحدة فصارت الدول المختلفة تخطب ود هذه المجموعة العربية وترجو عونها حتى كانت مأساة فلسطين .

وامتحنت الجامعة العربية فى قوتها وتكتل بنيها فلم تنجح من الناحية العسكرية وقامت الدولة المزعومة تسندها معونة أمريكية ضخمة وتؤازرها قوة إنجليزية تسير فى تيار أمريكا ولا تحب أن تسىء إلى عواطف حلفائها العرب ولم تضن روسيا أو الدول التى تدور فى فلكها بالمعونة تبذلها فى الرجال والعتاد لهذه العصبة الباغية من اليهود فكانت دولة إسرائيل المزعومة وليدة الفشل العسكرى لجامعة الدول العربية واتجاه التيارات السياسية المختلفة فى العالم وتسخير اليهود لساسة الدول الكبرى فى خدمة أغراضهم .

وإن كانت الجامعة العربية قد فشلت فى القضاء على إسرائيل فإنها مذ وقفت من السياسة العالمية المتكالبة على معونة الصهيونيين موقفاً حازماً فقد جعلت الإعتراف بدولتهم لا جدوى منه إن لم تضمن الصهيونية عوامل الأمن السياسى والاستراتيجى والاقتصادى لدولتها الناشزة بين جاراتها العربية وجعل

قيام هذه الدولة بين المجموعة الكتلة العربية قياماً فاشلا ليس فيه بادرة من أمل أو خير لها .

وقد حملت مصر أعظم الجهد فى مأساة فلسطين فخاض جيشها أعظم المعارك أمام الصهيونيين ولم تبخل خزانتها بالإنفاق ولم يضن بنوها بتقديم المساعدات المادية والمعنوية ولم تتجهم أرضها للوافدين عليها من لاجئى فلسطين ومشرديها وكان موقفها فى هيئة الأمم المتحدة صلباً جعل مشكلة الدولة الناشئة مشكلة عسيرة على الحل .

ولم يجد الجيش المصرى فى عنفوان المعركة ما كان مناط رجائه من الجيوش الشقيقة وكان لبعضها من ضعفه عذرا ولكن ما عداها وقد درب على أحدث فنون القتال فإن عذره كان كفيلا أن يحطم كيان الوحدة العربية لولا حلم مصر وإناة المصريين وأملهم فى الإصلاح .

وبدا من جانب بعض الدول الشقيقة اتجاهات لم تكن فى صالح العروبة ولا تتفق وميثاق الجامعة العربية ، فقد أخذت ترنو إلى تحقيق أطماع إقليمية قامت على تراث قديم من الوعود والآمال كان حريا بها أن ترعى الزمن والتاريخ وتطور هذه الشعوب فى حياتها التى عاشت فيها ثلاثين عاماً طوالا تخضع فيها لألوان من الحكم والنظم الإدارية والاقتصادية والتقدم الثقافى والاجتماعى ووضوح الطابع الشخصى وغلبة القومية الأقليمية كمشروع سوريا الكبرى والهلال الخصيب وخروج هذه المشروعات من نطاق الآمال والأهداف إلى حيز الدعوة والعمل الإيجابى .

وقد تبدو هذه المشروعات خطوة عملية نحو تحقيق الوحدة العربية وربط

دعائمها ولكنها فى حقيقتها مشروعات لا تقيم لا عتبارات الزمن والتاريخ والطابع الشخصى للشعوب ووضوح القومية الأقليمية ما يجعلها قوية الدعائم متينة البناء إن لم تتسع فيها هوة الخلافات الشخصية والمذهبية هذا فضلا عن جفوة شعوب الجامعة العربية وحكوماتها لهذه المشروعات فإن مصر والمملكة العربية السعودية ولبنان لا تتحمس لها ولا تنظر إليها بعين الارتياح وقد يكون من أسباب ذلك خضوع هذه المشروعات لاتجاهات سياسية أجنبية .

وموقف مصر من هذه الاتجاهات التى تضطرب فيها الأفكار فى جامعة الدول العربية موقف يدعو إلى كثير من التأمل والتفكير وسعة الأفق واجتلاء ما يخبئه الغيب لهذا الوطن العربى على ضوء الأحداث العالمية واتجاهات السياسة الدولية فى عالم يتجه إلى التكتل وجمع الحلفاء والأنصار .

فموقع بلاد العروبة فى قلب العالم وفى ملتقى الحضارات والأفكار والاتجاهات المذهبية والسياسية تجعله موطن الآمال والأهداف للتيارات العالمية المختلفة . فإن اختلال قواعد التوازن الدولى فى أوربا بعد انهيار المانيا قد جعل مركز الثقل الدولى ينحرف إلى منطقة الشرق الأوسط حيث تقوم بلاد العروبة . وانتقال مركز الثقل الدولى إلى هذه البلاد يجعلها خطاً أمامياً للنطاق السياسى والاستراتيجى فى العالم مما يدعم اتجاهات التكتل والتجمع فى بلاد العروبة ليكون فى هذا التجمع سياجا لها من أطماع النفوذ الأجنبى وفى هذا التكتل قوة تدعم كيانها فى المحافل الدولية .

وثمة عامل آخر هو قيام إسرائيل قياماً حقيقيا وسط مجموعة الدول العربية ومؤازرة أمريكا لها مؤازرة تعززها عواطف الصهيونيين الروحية وعونهم المادى وما للصهيونيين من قوة وسلطان فى عالم المال والاقتصاد

فى العالم ، فإن من أهداف الصهيونية إعادة ملك سليمان القديم ولن يقوم مجد سليمان إلا على دعائم من سيطرة المال والاقتصاد اليهودى على منطقة الشرق الأوسط فخطر إسرائيل لا يتجسم فى قوتها العسكرية قدر ما هو كامن فى تعصب شعبها و براعته فى عالم المال والاقتصاد .

كل هذه العوامل تعزز الدعوة إلى الاتحاد والتكتل بين الدول العربية فإن هذا التكتل كفيل بالقضاء على أهداف إسرائيل وأطماعها الاقتصادية والسياسية فى البلاد العربية فضلا عن الخطر العسكرى المباشر الذى يهددها جميعا .

ومصر فى كيان العروبة قلبها النابض وأملها الفياض بالقوة والحياة وأقوى دولها وأغناها وزعامتها لهذه المجموعة تقوم على دعائم قوية من التاريخ والتفوق الاجتماعى والاقتصادى والرقى العالمى .

وقد قامت مصر بواجبها الثقافى نحو شقيقاتها العربية خير قيام فأرسلت خيرة معلميها إلى العراق وسوريا ولبنان والجزيرة العربية السعودية والبحرين والكويت واليمن وليبيا والأردن فى الوقت الذى تشكو فيه شدة الحاجة إلى المعلمين لمواجهة التوسع فى سياستها التعليمية الجديدة .

وقد جرت الأحداث فى بعض الأقطار الشقيقة بما يشيع الفرقة والانقسام فى وحدتها ووقفت مصر من هذه الأحداث موقف العاتب الغاضب ما جعل بعض المصريين يرون أن تقف مصر موقفاً سلبياً من أحداث العروبة وتياراتها وأن تتجه بآمالها وأهدافها نحو الكتلة الأفريقية أو أن تتجه اتجاها استقلالياً يرمى إلى تقدير المصلحة الخاصة ورعايتها فلا تبذل من جهودها وأموالها ما يرى الكثيرون أن مصر أولى به وفى مسيس الحاجة إليه . ولكن ما قدمناه من

اتجاهات السياسة الدولية والمشاكل الجديدة التى ولدتها الاتجاهات العامة بعد الحرب العالمية الثانية ووجود إسرائيل تدعونا إلى التكتل والتجمع والحرص على كيان الجامعة العربية .

ولقد بدت الجامعة العربية عند قيامها كتلة قوية لها خطرها فى المحافل الدولية واعتزت بهذا التجمع فى أروقة هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأفادت مصر من هذه الوحدة فى قضيتها الخاصة فكان صوت الزعيم السورى فارس الخورى يدوى فى أروقة مجلس الأمن وفى جلساته ما لفت إليه وإلى منطقه السليم ساسة العالم ، ولا ننسى نداء الدكتور محمد حسين هيكل وهو يرأس وفد مصر عام ١٩٤٧ فى جلسات هيئة الأمم المتحدة بحق الشعوب فى الحرية والسيادة والمساواة فى الحقوق والواجبات الدولية فجعل بذلك من القضية المصرية وقضايا العرب قضايا دولية عامة.

وموقفنا من جامعة الدول العربية هو موقفنا من العروبة عامة موقف يرمى إلى التجمع والتكتل ويدعو إلى وحدة العرب وحدة عامة شاملة تضم فى نطاقها الشعوب العربية فى شمال أفريقيا فإن فى هذا الموقف أحياء لأمجاد التاريخ المصرى التى وقفت مصر فيه طوال عصوره تنافح عن العروبة وتقودها إلى الخير والكمال وفى هذا الموقف قوة لنا وتعزيز لقوتنا حيال التكتل العالمى . فلو نفضت مصر يدها من العروبة لقضى على آمال العرب فى الوحدة والائتلاف ولرجعنا القهقرى عشرات السنين إلى وقت كان فيه صوت الدعاة فى العالم العربى يدعو إلى الوحدة فلا تسمع لأصواتهم غير رجع الصدى .

جامعة الدول العربية

فى الثانى والعشرين من شهر مارس القادم تنقضى عشر سنوات على عقد ميثاق جامعة الدول العربية . فقد وضع الميثاق فى مثل هذا التاريخ من عام ١٩٤٥ ، وصدقت عليه الدول الأعضاء فى الحادى عشر من مايو من نفس العام فدخل بذلك فى حيز التنفيذ ، وأصبحت الجامعة العربية حقيقة واقعة تضطلع برسالتها التى قامت لأجلها من جمع كلمة العرب ، وتوحيد صفوف الأمة العربية والعمل على استكمال وحدة الوطن العربى وتوحيد دوله العديدة ، وتحقيق القومية العربية فى صورتها المرجاة .

فالجامعة العربية ، كما نراها فى حاضرها ، ليست إلا ختام مرحلة من الكفاح العربى كلله الظفر بقيامها لجمع كلمة الدول العربية . وتوحيد جهودها وتنسيقها فى ميادين النشاط المحلى والدولى ، وبداية مرحلة جديدة من الجهاد لتحقيق وحدة الوطن العربى وقيام الدولة العربية المتحدة .

وتسير الجامعة العربية نحو هذا الأمل المرتقب بخطى ثابتة تحدوها أحلام العرب وأمانيهم وأهدافهم التاريخية ، ولا تعدو رسالة جامعة الدول العربية تحقيق هذا الحلم الذى يراود ضمائر العرب منذ عرفت العروبة ، ومنذ بعثت القومية العربية فى منتصف القرن التاسع عشر .

ولقد كانت أبرز ظاهرة عملية بعد الحرب العالمية الأخيرة ، اتجاه العالم

من محاضرة ألقيت بدعوة من جمعية الشبان المسيحية فى ١٠ فبراير ١٩٥٥ وكان ضيف الشرف السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية .

إلى الاتحاد ولا نحب أن ندعوه بالتكتل . فقد ارتبطت هذه الكلمة فى أذهان الجماهير بالكتل والأحلاف العسكرية أما الاتحاد فهو رغبة صادرة من أعماق الشعوب يزكى ضرامها الإحساس المشترك بالصالح العام ، وتنميها وحدة الإحساس الإنسانى الجديد بخير البشرية وفضائلها ومثلها العليا ، ويقومها ويدفع إليها تقدم سبل المواصلات واتصال العالم بعضه ببعض اتصالا يحطم تلك الحواجز التى أقامتها الطبيعة ، أو دفع إليها التعصب العنصرى والقومى .

فالعالم يسير نحو الاتحاد بخطى ثابتة رتيبة متسقة ، ويمضى قدماً لتحقيق التضامن والتكافل الإنسانى فى أكمل صوره وأرقاها . وكانت هيئة الأمم المتحدة وعصبة الأمم من قبلها والمحاولات العديدة التى قام بها المشرعون والدعاة لحسم الحروب والقضاء على المنازعات الدولية ، والأخذ بوسائل التحكيم فيما يشجر بين الدول من خلافات ، كانت كلها محاولات إن واجهت كثيراً من الصعاب فإنها عنوان على الرغبة الصادقة فى التضامن والتكافل الإنسانى وخلق عالم أفضل يسوده السلام وترعاه المحبة والخير والتعاون .

وبدت هذه الظاهرة فى دول عديدة ، تجمعها روابط تاريخية وثقافية وعنصرية واحدة ، كمجموعة الدول اللاتينية . أو تجمعها الوحدة الجغرافية أو السياسية أو وحدة الأهداف والمشاكل ، كمجموعة الدول الأسيوية الأفريقية ، أو دول مؤتمر كولومبو . أو تجمعها وحدة ثقافية ويربطها نظام سياسى معين ، كمجموعة الشعوب البريطانية التى تعرف بالكومنولث .

وكانت جامعة الدول العربية أبرز هذه الوحدات جميعاً . فقد اجتمع لها

مالم يجتمع لغيرها من المقومات . فالدول العربية تكون وحدة جغرافية متماسكة ، هى التى تعرف بالوطن العربى ، يمتد فى نطاق واحد من العراق فى الشرق إلى مراكش فى الغرب أو من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلنطى ، كما تكون وحدة تاريخية وثقافية أصيلة وتجمع بينها وحدة الأهداف والمشاكل . فهى إما تجاهد للتخلص من آخر مظاهر الاستعمار الأوروبى ، أو مازالت فى أوج كفاحها لاستكمال كيانها السياسى والدولى .

ويجتمع للدول العربية مالا يجتمع لغيرها من مبررات الوحدة فإن لها من ميراث التاريخ ما ليس لغيرها . ويسندها كفاح طويل تستمده من أصول قومية عريقة ، ويتوفر لها من مقومات المصلحة المشتركة مالا يتوفر لغيرها فإن خفق قلب فى العراق خفقت له فى مصر ومراكش قلوب . وإن ألمت محنة بإحدى بلدانه جزعت له كل بلاد العرب ، وهى بلاد ذات موارد يكمل بعضها البعض ويكفل غنيها فقيرها .

وكان قيام جامعة الدول العربية استجابة طبيعية لهذه المقومات جميعاً ، دفع إليه تطور التاريخ فى هذه المنطقة ، وعاق تطوره ونموه ما ألم وما يزال يلم بالعالم العربى من تدخل قوى طارئة عليه حالت وما فتئت تحول دون قيام وحدة العرب الشاملة . فما زالت بعض الشعوب العربية خارج نطاق الجامعة العربية ، كشعوب المغرب الإسلامى ، وشياخات الخليج الفارسى وسلطناته وعدن والمحميات فى جنوب الجزيرة العربية .

فقدقامت جامعة الدول العربية من دول القطاع العربى الشمال : سوريا وشرق الأردن ولبنان والعراق ثم المملكة العربية السعودية واليمن من القطاع

العربى الجنوبى ومصر وليبيا فى الشمال الشرقى من أفريقيا ، ولا يسمح الميثاق باشتراك أو تمثيل الشعوب العربية الأخرى مالم تستكمل استقلالها ، وإن كانت هذه الشعوب موضع رعاية الجامعة العربية وعنايتها .

ومن أهم ما تضطلع به جامعة الدول العربية فى الوقت الحاضر الدفاع عن استقلال هذه الشعوب أمام الهيئات الدولية ، وترحب الجامعة العربية بضمها اليها بعدأن تحقق استقلالها وكيانها الدولى كما تم بالنسبة للمملكة الليبية المتحدة[١] ، التى حملت الجامعة العربية قضيتها وتبنتها منذ البداية حتى تحقق لها كيانها واستقلالها واعترفت لها به هيئة الأمم المتحدة بعد جهاد شاق ومناورات عديدة ، استغرقت بضع سنين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اعلان استقلالها فى يناير عام ١٩٥١ .

وسبق قيام الجامعة العربية ما مهد لقيامها . فقد قلنا أن الجامعة العربية ختام مرحلة من مراحل الكفاح القومى للعرب ، وبداية مرحلة جديدة لاستكمال وحدة العرب القومية .

ولا تتضح هذه الحقيقة مالم نلم بهذه المرحلة التى انتهت بقيام الجامعة العربية . فعلى ضوئها نستطيع أن نحدد سير المرحلة القادمة ونفند حقيقة الرسالة التى تضطلع بها الجامعة العربية فى كفاحها الذى حملته عن العرب والذى يتمثل فيه مستقبل البلاد العربية وأملها المنشود .

فقد كانت هذه البلاد العربية جميعا ، ولايات عثمانية ، تطورت فيها الحركة القومية قبل الحركة العالمية الأولى ، شأنها فى ذلك شأن قوميات الشعوب المسيحية فى الدولة العثمانية ، ولكنها لم تنشد الانفصال عن الخلافة

(١) أصبح السودان عضوا بالجامعة العربية فى ١٩ يناير ١٩٥٦ ومن المنتظر قبول مراكش وتونس فى عضويتها كذلك .

العثمانية ، كما كان اتجاه القوميات المسيحية فى البلقان. فقد ظلت الرابطة الاسلامية التى جمعت العالم الاسلامى فى نطاق متين من الوحدة قوية مؤثرة ، وكل ما كانت تتطلع اليه هذه الولايات الاسلامية أن تظفر بالحكم الذاتى ، وظهرت آمال القوميين العرب فى تأييد ما عرف فى ذلك الوقت بنظام اللامركزية العثمانية . وكان الروح القومى فى تلك البلدان متفاوتا فى قوته ، وإن كانت مؤثراته واحدة إلا أنها لم تكن فى درجة متساوية من القوة فى كل البلدان . فقد كانت أقوى ما تكون فى دولتى اللفانت وكانت أضعف ما كانت فى اليمن وشبه جزيرة العرب أما فى مصر ، فقد تأثرت حركتها القومية بوجود الاحتلال البريطانى ، فاتجهت إلى مقاومته مع ميل واضح الى الابقاء على الروابط التاريخية والقانونية التى تربطها بالدولة العثمانية وعطف شديد على الرابطة الإسلامية .

حتى إذا انتهت الحرب العالمية الأولى بالقضاء على الدولة العثمانية ، اتجهت القومية العربية متأثرة بعاملين خطيرين ، أحدهما قديم ، والآخر جديد ، ويستمد القديم أصوله من أفكار القوميين العرب ومن اتجاهات الثورة العربية التى قادها الشريف حسين فى جانب الحلفاء ، مستغلة إلى حد كبير آمال العرب القومية . وكان هذا الاتجاه يرمى إلى قيام الدولة العربية المتحدة التى ظل الشريف حسين يحلم بتحقيقها طوال سنى الحرب .

أما العامل الجديد ، وهو الذى قدرت له الغلبة ، فقد تأثر تماما باتجاهات الحلفاء السياسية ، و بنواياهم المرسومة لتقسيم البلاد العربية وتأثر فيما بعد بقيام أنظمة مختلفة للحكم فى البلاد العربية ، وحدود تفصل بينها واعتزاز هذه الدول الجديدة بشكل الدولة الإقليمية التى قامت فى كل منها ، كما تأثر بالنفوذ

الإستعمارى ووسائل مقاومته فى كل دولة منها ، فقامت فى العراق دولة ملكية تحت حكم فيصل الأول ، وفى شرق الأردن أنشئت إمارة جديدة يحكمها أخوه الأمير عبد الله ، وقامت فرنسا بفصل سوريا ولبنان ، وانتهى الأمر بها إلى إقامة نظام جمهورى فى كل منهما ، أما فى شبه جزيرة العرب ، فقد استطاع عبد العزيز آل سعود أن يضم إلى ملكه الحجاز و إمارة عسير ويكون المملكة العربية السعودية الحديثة واستقل الإمام يحيى حميد الدين باليمن ، ومنحت مصر إستقلالها على أساس تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ و بقيت فلسطين تحت الإنتداب البريطانى واعترف الحلفاء بقيام وطن قومى لليهود فيها ، أما المغرب العربى فقد ظل على حاله التى كان عليها قبل الحرب يكافح الاستعمار ويصارعه فى قوة وعنف بالغين .

وشغلت كل من هذه الدول بنفسها و باستكمال استقلالها عن الوحدة العربية المنشودة . كما كان للخلافات التى قامت بين السعوديين والهاشميين وما شجر من نزاع بين اليمن والمملكة العربية السعودية أثره فى تعثر التفاهم بينها جميعاً . وكان للخلافات القديمة التى قواها الفرنسيون بين المسلمين والموارنة فى اللفانت أثرها فى تباين الجهود الوطنية واضطرابها فى دولتى المشرق.

ونأت مصر فى غمار جهادها الوطنى عن هذا المعترك الجديد و برزت فيها نزعة قومية صميمة تزعمها بعض الشباب ممن تلقوا ثقافتهم وتعليمهم فى الغرب ترمى إلى إحياء القومية المصرية الأصيلة متأثرين فى هذا بما شاهدوه قبيل الحرب العالمية الأولى من قيام الدولة القومية وانتصارها فى أوربا . ثم وقع حادث المحمل بين السعوديين والمصريين أبان موسم الحج عام ١٩٢٧ فأدى إلى قطع العلاقات بين الدولتين .

ولكن هذه التيارات العديدة على اختلافها لم تستطع أن تقضى على الشعور الأصيل بالوحدة العربية بين تلك الشعوب جميعا فكلها تتكلم العربية وتدين بالإسلام وتجرى فى عروقها دماء عربية ويجمع بينها تقاليد متقاربة وتاريخ متوارث وأحداث متشابهة فى كفاحها للاستقلال والحرية . فأخذت تسوى خلافاتها و بدت محاولات عديدة فى هذا السبيل فتم اجتماع العاهلين السعودى والهاشمى — عبد العزيز آل سعود وفيصل الأول — على بارجة فى خليج البصرة فى فبراير عام ١٩٣٠ . وفى ١٧ أبريل ١٩٣١ أبرمت معاهدة صداقة بين المملكة العربية السعودية والعراق جاء فى ديباجتها ما يلى :

« و بناء على رغبة جلالتهما فى بذل ما يستطاع لجمع شمل الأمة العربية وتوحيد كلمتها » .

وفى ١١ مايو التالى عقدت فى صنعاء معاهدة صداقة بين العراق واليمن جاء فى مقدمتها : « تمهيدا لتوحيد كلمة الأمة العربية » .

وتلى هذا إبرام حلف عربى يضم المملكة العربية السعودية واليمن والعراق تنضم إليه الدول العربية المستقلة أو التى تستقل فيما بعد .

و بدأت شقة الخلاف بين الموارنة والمسلمين فى سوريا ولبنان تضيق وتتقارب ليجمع بينهما الكفاح المشترك ضد الفرنسيين .

وكان الشعور المتبادل بمأساة فلسطين الظاهرة البارزة لتقارب الشعوب العربية فعقدت مؤتمرات عربية عامة فى القدس والقاهرة و بلودان وانثال المتطوعون من كافة البلاد العربية لعون المناضلين العرب فى ثورتهم على الانتداب البريطانى والصهيونيين فى فلسطين عام ١٩٣٦ . وكان مؤتمر المائدة المستديرة

الذى دعت إليه الحكومة البريطانية فى لندن عام ١٩٣٩ لعلاج مشكلة فلسطين أول اجتماع رسمى يجتمع فيه ممثلوا الدول العربية . وقد لبى الدعوة إلى المؤتمر حكومات مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وشرق الأردن واليمن وحالت فرنسا دون اشتراك سوريا ولبنان فيه .

وجاءت الحرب العالمية الثانية فقوت أواصر هذا التقارب ونمته . فقد ألهبت الحرب عواطف العرب وجمعهم الأمل بقرب انهيار النفوذ الاستعمارى فى بلادهم بهزيمة بريطانيا وفرنسا . ولم يكن العطف على المحور إلا من باب النقمة على الدولتين الاستعماريتين ووجدت حركات المقاومة نوعا من العطف الشعبى عليها . وكانت الاعتداءات القليلة على الجنود البريطانيين فى مصر تجد لونا من ألوان هذا العطف الشعبى على كل من ينهض لمقاومة الاستعمار مهما كانت وسائل المقاومة . كما وجدت حركة رشيد عالى الكيلانى فى العراق بعض التأييد سواء فى العراق أو فى البلاد العربية الأخرى وكانت هى بدورها ظاهرة طبيعية للتعبير عن الكراهية الكامنة لاحتلال بريطانيا ونفوذها فى العراق . كما كانت استجابة عملية للتأييد الذى أعلنه الألمان فى أكتوبر عام ١٩٤٠ لكفاح العرب الاستقلالى .

ولقيت الحركة الاستقلالية التى قامت فى سوريا ولبنان ضد الفرنسيين كل أنواع العطف والتأييد الشعبى والحكومى فى مصر والعراق وفى كل البلاد العربية الأخرى . فقد أيقظ انهيار فرنسا أمام الغزو الألمانى عام ١٩٤٠ أمال السوريين واللبنانيين بقرب تحقيق استقلالهم .

وجرت الأحداث متلاحقة بعد ذلك حتى أدت فى النهاية إلى قيام جامعة

الدول العربية . فقد حرك الأمل فى انهيار الانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان أثر انهيار فرنسا وتسليمها للمحور فى صيف عام ١٩٤٠ آمال القوميين العرب ودعاة الدولة العربية المتحدة التى أينعت فى ظل الثورة العربية وفى رعاية الهاشميين بقيام دولة عربية متحدة فى القطاع العربى الشمالى . وكان نورى السعيد رائد هذا الأمل حتى أنه سافر بعد تسليم فرنسا مباشرة إلى أنقرة للبحث مع الحكومة التركية فى مستقبل دولتى اللفانت .

ودفعت الأحداث بريطانيا إلى تأييد الوحدة العربية ومساعدة أى اتجاه يبذله العرب فى هذا السبيل فإن الوعد الذى أعلنه الألمان فى أكتوبر عام ١٩٤٠ بتأييدهم ومساعدتهم لكفاح العرب الاستقلالى وما تلى ذلك من قيام ثورة الكيلانى فى العراق فى ربيع ١٩٤١ أيقظ الإنجليز على خطر العداء العربى فى الوقت الذى وصلت فيه انتصارات المحور ذروتها وأخذت قواتهم تتقدم فى روسيا وفى شمال أفريقيا فأعلن ايدن فى مايو سنة ١٩٤١ عقب ثورة الكيلانى مباشرة عطف الحكومة البريطانية وتأييدها لوحدة العرب .

ولكن هذا الوعد ما لبث أن غامته سحابة من الشك المقرون باليأس . فقد اجتاحت قوات فرنسا الحرة بمساعدة الإنجليز سوريا ولبنان وطردت منها نفوذ حكومة فيشى فى يولية سنة ١٩٤١ واتخذتها قاعدة لعملياتها الحربية وظهر أن النفوذ البريطانى يلتهم الدولتين الشقيقتين ويمد رواقه على أرجاء العالم العربى أجمع .

وكان لا بد من عمل لتهدئة ثائرة العرب والتغلب على مخاوفهم لجاء الغزو الفرنسى الإنجليزى المشترك مقروناً بإعلان استقلال الدولتين واستجابت فرنسا الحرة فى هذا لقرار حليفتها .

ولقيت فكرة نورى السعيد عن قيام دولة عربية متحدة فى هذا القطاع الشمالى من المشرق العربى صداها الطيب فى لندن فعملت على تأييدها و بعث آمال الهاشميين القديمة حتى تمد نفوذها فى العراق والأردن ليشمل المنطقة كلها وظنت أن السوريين سيقدرون لها موقفها فى نصرتهم والوقوف بجانبهم كما أن العرب سيسرهم أن تزول الحدود الصناعية التى قامت فى سبيل وحدتهم التاريخية.

ونشط نورى السعيد فى تنفيذ أمله الكبير . فقدم مشروع الاتحاد عام ١٩٤٣ ويقضى بإدماج سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن فى دولة واحدة تتحد بالعراق اتحاداً فيدراليا وضمنه كتابه الأزرق وقدمه إلى ريتشارد كايزى وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط ثم وزعه على ساسة العرب وما لبث ايدن أن جدد توكيده بتأييد حكومته للوحدة العربية رداً على سؤال فى مجلس العموم فى فبراير عام ١٩٤٣ . على أنه أضاف إلى ذلك رغبته فى أن تكون الوحدة من وحى الشعوب ذاتها ومن تفكيرها وصدى لحقيقة اتجاهاتها ومراميها ولعله أراد أن يزود الشك عن تفكير العرب فيما وراء تأييد حكومته لاتحاد دول الهلال الخصيب من مصلحة بريطانيا ويصرف أنظارهم عن حقيقة أطماع بريطانيا فى سوريا ولبنان ولعله أراد أيضاً أن يقطع سبيل الاتهام على فرنسا إذا ما أرادت أن تطعن بريطانيا من هذه الناحية ولم تكن فرنسا تملك فى محنتها القائمة غير الاحتجاج الصامت . ولعلها أملت بدورها هى الأخرى أن تساوم على الجلاء عندما يحين حينه بامتيازات سياسية أو اقتصادية أو تواتيها الفرصة المناسبة لسحب اعترافها كله . وهذا ما فعله ديجول حين تراجع فى الاعتراف باستقلال الدولتين وأراد أن يساوم عليه فقامت الاضطرابات وعمت المظاهرات كل نواحيهما ما بين عام ١٩٤٣ وعام ١٩٤٥ ولم تظفر فرنسا بأى امتياز سياسى أو عسكرى يعوضها عن الانتداب و إن بقى

الأثر العميق للروابط الثقافية والاجتماعية القديمة بين فرنسا ودولتي اللفانت قوياً بارزاً ولا سيما في لبنان وازداد قوة بزوال الآثار القديمة التي خلفها الانتداب .

والواقع أن ايدن كان يشعر بمعارضة بعض الدول العربية لمشروع نوري السعيد وكان مدفوعاً في تحفظة الأخير بهذا الشعور فمصر بما لها من مركز ممتاز بين الدول العربية لاتسلم بزعامة العراق ، والمملكة السعودية لا تؤيد قيام دولة كبرى للهاشميين تصبح خطراً عليها ، وسوريا ولبنان لاتبغيان بديلا بنظامهما الجمهوري ولا تحبان أن تدخلا في ظل نفوذ أجنبي جديد . وقد ظفرتا باستقلالهما أخيراً . وإن كان قد سبق لمندوب سوريا في مؤتمر الشعوب الإسلامية للدفاع عن فلسطين الذي عقد بالقاهرة في أكتوبر عام ١٩٣٨ أن قدم مشروعاً كهذا المشروع أيدته مصر ويقضي بقيام نوع من الاتحاد بين سوريا والعراق إلا أن العراق رفضته حينذاك . وكانت سوريا في ذلك الوقت تنشد وضعاً مع فرنسا باتحادها مع العراق كالوضع الذي وصلت إليه العراق مع بريطانيا .

ولما لم يجد مشروع نوري السعيد تأييداً عاماً من الدول العربية تقدمت الحكومة المصرية وأخذت على عاتقها تحقيق الوحدة العربية فتقدمت بمشروعاتها عقب تصريح إيدن بخمسة أسابيع وتوالت اجتماعات الساسة العرب في القاهرة وتعددت مقابلاتهم ومناقشاتهم حتى عقدت اللجنة التحضيرية بالإسكندرية في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤ أول اجتماعاتها التي توالت حتى صدور بروتوكول الإسكندرية في ٧ أكتوبر التالي فكان إيذاناً بميلاد جامعة الدول العربية التي أبرم ميثاقها في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ودخل في حيز التنفيذ منذ ١١ مايو من نفس العام .

العرب بين الحياد والتحالف

«ما هو الموقف الذى يقفه العرب فى الحرب القادمة التى تتأهب لها الـكتلتان المتنازعتان وتعدان لها كل وسائل التدمير والخراب وتحشدان لها الأنصار والأعوان من الشعوب والدول أهو الحياد المطلق أو الحياد المشرب بالعطف على أحد الفريقين أو التحالف مع فريق ضد الآخر؟»

لا ريب أن الدولة التى تود أن تنأى بنفسها عن الحرب لا بد وأن تلتزم الحياد المطلق بين المتحاربين وأن يرضى المتحاربون عن موقفها الحيادى فلا يرى أحدهم فى سلوكها أو فى اتصالاتها الدولية بالعدو خرقاً للحياد ، وقد تستطيع الدولة أن تحقق هذا لنفسها فتضمن سلامتها وسلامة شعبها ، وقد لا تستطيع أن تحققه ، أما لوقوعها تحت ضغط سياسى أو عسكرى من أحد المتحاربين يحملها على التسليم ، وإما لأنها تحتل نطاقاً استراتيجياً لا بد من اجتيازه لتحقيق هدف عسكرى أو سياسى .

فالضغط السياسى الذى تعرضت له إيران فى الحرب الأخيرة وانتهى باحتلالها قد أدى إلى تسليمها فى النهاية ولم تستطيع أن تلتزم جانب الحياد الذى أعلنته فى بداية الحرب واجتياح البلجيك فى الحربين الماضيتين كان لتحقيق أغراض عسكرية ولم يجد عليها شيئاً ضمان حيادها دولياً ولا قوة جيشها المجهز بأحدث وسائل القتال والمكون من أربعين فرقة .

وحتى تلتزم الدولة موقف الحياد الدقيق لا بد وأن تكون علاقاتها مع المتحاربين على حد سواء وأن يكون لديها من القوة العسكرية ما تستطيع بها أن تدافع عن بلادها وتصون حيادها وقد شهدت الحرب الأخيرة دولا وقفت

(١) مجلة صرخة العرب العدد الأول فى يناير ١٩٥٥ .

موقف الحياد من الناحية الشكلية أما فى الحقيقة فقد كانت أرضها وموانيها ومواصلاتها ومواردها البشرية والاقتصادية فى خدمة الحرب ومن هذه الدول كانت الدول العربية وكل ما كسبته هذه الدول من حيادها أنها استطاعت أن تمنع دفع جيوشها وقواتها المسلحة لخوض المعركة فأنقذتها من التعرض لويلاتها وخسائرها البشرية كما استطاعت أن تنجو بمدنها ومرافقها من التخريب الجوى ، وكان بوسع المحور أن يسلط عليها غاراته فتدكها دكا ، ولكن ليس هدف الحرب هو التخريب المطلق أو إثارة عداوات لدى شعوب ما أغناها عن عداوتها فلو ضرب المحور المدن فى البلاد العربية التى تحتلها قوات العدو لأثار الرأى العام العربى عليه وحمل الشعوب بعمله هذا على الاشتراك الفعلى فى المعركة ضده وإعلان الحرب عليه وما أغناه عن مضاعفة القوات التى يواجهها فى الميدان ثم أن المحور إذا كسب المعركة ضد الحلفاء فسينتهى أمر هذه الدول بالتسليم له إما عن رضا بالأمر الواقع أو عنوة وقهرا فإن هدف الحرب التى يخوضها ضد الحلفاء هى الوصول إلى هذه الأراضى واحتلالها فامتناع المحور عن ضرب المدن المصرية ضرباً شاملا مدمراً أو الغارة على البلاد العربية الأخرى التى أصبحت قواعد لحشود كبيرة من الحلفاء كان لتقديره الكبير لتلك العوامل الاستراتيجية كلها فضلا عن أن اهتمام هتلر لم يكن كله موجهاً إلى الميدان الأفريقى وكان يعتقد أن كسب الحرب ضد روسيا وإرغامها على الخروج من الحرب سيتيح له فرصاً عديدة لتسوية حسابه مع دول الغرب ولذلك كانت سلامة البلاد العربية التى تحتلها قوات الحلفاء وحشودها من الضرب الجوى وليدة هذه الاعتبارات مجتمعة .

فالحياد الشكلى الذى وقفته الدول العربية لم يكن حياداً مقبولا ولم يكن

ليجنبها التعرض لويلات الحرب إذا ما اقتضت الضرورات العسكرية والاعتبارات السياسية ذلك ، ولكن هذا الحياد الشكلى قد حقق فى النهاية أكثر مزايا الحياد الحقيقى الدقيق .

فهل تستطيع الدول العربية أن تكون فى الحرب القادمة على ما كانت عليه فى الحرب الأخيرة وهل تقبل روسيا أن تحشد القوات المعادية فى أرض هذه الدول العربية لحربها وأن تخرج الطائرات من مطاراتها المنثورة فى جهات عديدة منها لضربها وتدمير بلادها ؟ لا ريب أن تقدير ذلك يعود إلى روسيا وحدها فإذا قبل السوفييت هذا الحياد الشكلى من الدول العربية فقد لا يقبلون أن تكون هذه البلاد قاعدة حشد لغزو بلادهم . . هذا على اعتبار أن الحرب إذا نشبت بين الكتلتين فإن ميدانها الحقيقى قد لا يكون فى أراضى المتحار بين فحسب وألا تكون قواعد الحشد والهجوم ومنافذ الغزو والتقدم فيهما وحدهما ، ولكن فى أقرب منافذ الغزو للغرض المباشر وهو قلب روسيا ومراكزها الصناعية ومنابع بترولها وكل هذه المنافذ وقواعد الحشد لغزو روسيا تقع فى الشرق الأوسط : فى فتحة القوقاز إلى منابع البترول فى باكو و باطوم وصناعات الأورال الثقيلة ، وفى فتحة البلقان إلى بترول رومانيا وسهوب القمح الممتدة وسع أوكرانيا ، ولن تتجاهل روسيا هذا الاعتبار ولن تسمح بأن تشرف على هذه الفتحات وتطل عليها قوات معادية .

فإذا حاولت روسيا أن تسبق الهجوم عليها بهجوم مضاد فإن عليها أن تحقق غرضين استراتيجيين فى البداية أولهما أن تصل إلى شواطىء الأطلنطى والبحر المتوسط مجتازة كل غرب أوربا وجنوبها لتحقيق ذلك ثم تستولى على الجزر البريطانية أو تدمرها تدميرا تاماً إن لم تستطع الوثوب اليها واحتلالها

وذلك للقضاء على القوى الأساسية الموجهة للحرب ضدها، وثانيهما اجتياح الشرق الأوسط والبلاد العربية لحماية طرق الاقتراب إليها وللاستيلاء على البترول لحرمان الغرب من أقرب موارده إليه وشل القواعد العسكرية المنثورة فى بقاعه فإذا حققت هذين الغرضين لم يبق أمامها للسيطرة على العالم القديم غير معركة أفريقيا وتبقى الحرب بعد ذلك بينها و بين العالم الجديد عبر البحار والمحيطات الواسعة .

فإذا أرادت الدول العربية أن تقف موقف الحياد فإن عليها أن تضع عددا من الاعتبارات أمام ناظريها ، أولها أنها تحتل أهم نطاق استراتيجى بين بين الكتلتين المتنازعتين وأن الحرب إذا قامت فإن هذا النطاق هو أول ميادينها المنتظرة ، وثانيها أن روسيا لا يمكن أن تقبل من الدول العربية حيادا شكليا كالذى كانت عليه فى الحرب الأخيرة فإن الاعتبارات الاستراتيجية والسياسية والمذهبية التى تدفعها وتسيرها غير ما كانت تدفع المحور وتسيره فهى مثلا لا يعنيها من ولاء هذه الشعوب أو رضائها وغضبها شيئاً إلا أن تكون على مذهبها وعقيدتها وهى تعلم أن من هم على مذهبها وعقيدتها لن يغير قلوبهم حيالها عدوانها على بلادهم أو تدميرها لمدنهم فالدافع القومى والحوافز الإقليمية المحدودة لا تجد لها صدى فى إيمان الشيوعيين . وثالث هذا الاعتبارات هو أن روسيا ترى فى كسب كل شبر من الأرض كسبا للعالم الشيوعى وأنها تستطيع أن تقيم نظاما شيوعيا للحكم فى اللحظة التى تحتل فيها إقليما من الأقاليم ، فاهتمامها بالحيز أكثر منه بالناس والبشر ولا يتعدى اهتمامها بهم الدور التمهيدى الذى يسبق معركة الاستيلاء والسيطرة بقصد أقامة كيان شيوعى بينهم يصلح لأن يكون دعامة لإقامة نظام شيوعى فيما بعد . وثمة اعتبار

آخر له وجاهته الاستراتيجية وهو ما نعرفه عن الاستراتيجية الروسية من الوثوب فى الزمان والمكان المناسبين وتقديرها للمواقع الاستراتيجية خير تقدير وأنها تميل إلى تحصين نفسها تماما ضد الأفكار المضادة والتسلل العدائى إلى مناطقها فإذا استولت على منطقة فقد أدخلتها فى نطاق الستار الحديدى الذى تغلقه عليها ، والاعتبار الأخير هو أن الاستراتيجية الروسية تضع خطتها على أساس التوسع الانبعاجى بمعنى أنها لا تحاول الوثوب إلى مناطق بعيدة عنها ، وقد خرجت بهذا الدرس من التجربة التى واجهتها فى أسبانيا فهى إذ تتوسع فإنما بالتهام الأقاليم المتاخمة لها لا البعيدة عنها وإذ تنشر عقيدتها ففى أقرب الأماكن إليها أو أدناها إلى تحقيق غرضها .

وخلاصة هذه الاعتبارات جميعا أن العالم العربى يتعرض لخطر شيوعى قريب ، أول أسبابه هذا النفوذ الغربى الجاثم فى بلاده والقواعد العسكرية العديدة المنثورة فى بقاعه والامتيازات العديدة التى له فيه والاحتلال العسكرى لبعض بلاده من جانب الغرب وسببه الثانى رغبة الشيوعيين الأكيدة فى النفوذ والسيطرة على العالم وبين هذين السببين يمكن تقدير موقف البلاد العربية وحيادها .

فالدول العربية لن تستطيع أن تقف موقف الحياد ما دامت بلادها تضم قواعد عسكرية تعد للهجوم فى حالة الحرب وقد يستطيع العدو أن يتغاضى عن الامتيازات الاقتصادية وإمدادات البترول التى تخضع لشركات تجارية ولكنه لن يتغاضى عن العمليات الحربية التى تدار ضده فى شتى صورها ولو كانت خارج النطاق المباشر للمعركة ، أما إذا كان الطمع الروسى يتناول

تلك البلاد فلن ينجيها من عدوانه حياد أو تحالف ، ولكن تقدير هذا الاعتبار لا يأتى من جانب الغرب المعادى لروسيا فعلا بل يترك للدول العربية وحدها تقديره وقد لا تتطور العلاقات بينها و بين روسيا إلى عداء سافر .

والدول العربية بارتباطاتها العديدة بالغرب والدول الغربية لا تستطيع أن تعتبر نفسها دولا محايدة حتى ولو التزمت الحياد الشكلى وأكدته وأعلنته .

ويبقى لدينا أن نناقش الموقف الذى يجدر بالدول العربية أن تتبعه وتأخذ به فإما حياد سافر و إما تحالف سافر يقوم على التعاون المطلق فى السلم والحرب ولا ريب أن الحياد فى حرب لا تعنى الدولة ولا تهمها ولا تتصل بمصالحها أدعى لسلامتها ونجاتها وصيانة مرافقها ومنشئاتها والمعروف أن النزاع القائم بين كتلتى الشرق والغرب وأن لبس لبوس الدفاع عن العالم الحر إلا أنه نزاع يتصل بكيانهما ومصالحهما وحدهما ليس للعرب أو من هم فى مثل موقفهم مصلحة فيه .

فإذا اختارت الدول العربية موقف الحياد فإن عليها أن تعد للأمر عدته من القوى المادية والمعنوية وأن تصارح الحكومات شعوبها بالموقف وخطورته والتزاماته تماما فإن كتلة الغرب إذا قبلت الحديث فى حياد العرب فى الوقت الحاضر فلن تقبله عندما تبدأ الحرب حيث تطغى الاعتبارات العسكرية على أى اعتبار آخر وكل ما يرمى إليه الغرب أن تكون هذه الدول وشعوبها معها قلبا وقالبا وهى لا تؤمن بالحياد فى هذه المعركة فإما معها و إما عليها فإذا أخذت الدول العربية بمبدأ الحياد فإن عليها أن تستند إلى عون دول أخرى تنادى بالحياد وتعتنقه كالهند مثلا وأن تلتزم هذه الدول كلها عربية أو غير

عربية مبدأ الحياد وتعمل جميعا على دعمه والدفاع عنه والإعداد لمواجهة أى عدوان يخل به وأن تواجه بسياستها الخارجية الموحدة دول الكتلتين معا سافرة واضحة جلية . وقيام هذه المجموعة من الدول المحايدة هو وحده الذى يستطيع أن يضمن التوازن بين الكتلتين ويمنع قيام الحرب ويمد فى أجل السلام .

وإذا اختارت الدول العربية مبدأ التحالف والتعاون فيجب أن يكون ذلك سافرا واضحا جليا يقوم على تبادل المصلحة والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات ولهذا يجب أن تتجه الدول العربية قبل أن تدرس موقفها من الحرب القادمة ومن التحالف والحياد إلى تصفية المشكلات العديدة التى بينها وبين الغرب وأول هذه المشكلات تصفية الاستعمار فى العالم العربى بكل صوره وألوانه ، وثانيها حل مسألة فلسطين حلا يتفق مع الحق التاريخى والسياسى والإقليمى للعرب فإن قيام إسرائيل قد أقام ظلالا قاتمة أمام هذا التعاون ، وثالثها أن تبذل الدول الغربية كل معاونة ممكنة للنهوض بالبلاد العربية ودعم إمكانياتها العسكرية والاقتصادية دون مطمح أو فائدة مادية أو اقتصادية فإن المعركة التى يخوضها العرب بجانب الغرب هى فى سبيل الغرب وفى سبيل مصلحته ويجب أن يقدر الغرب ذلك ويقدر الثمن تقديرا تاما .

ولن نستطيع أن نجزم بما يجب على العرب حيال الحياد والتحالف قبل أن توضع هذه الاعتبارات كلها على بساط البحث ولا يختلف مسئول أو زعيم فى البلاد العربية فى ذلك وقد جاءت تصريحات المسئولين فى مصر والعراق وسوريا وبقية البلاد العربية مؤكدة لهذا تماما .

ولا ريب أن مستقبل الشرق الأوسط يتوقف على تقدير هذه الاعتبارات تقديرا تاما وتأثيرها فى السياسة الدولية وفى اتجاهاتها الخفية وفى الصراح القائم بين الكتلتين الكبيرتين .

أقوال فى الحياد

إن كلمة الحياد خطأ سطلق فى غير أوقات الحرب فليس ثمة حياد ما لم تكن هناك حرب . فإن كنتم تعتقدون أن هناك اليوم حربا فنحن محاربون .

« نهرو »

إن المشاكل التى كانت قائمة قبل الحربين العالميتين لم تحل بالحرب بل أضيفت إليها مشاكل أخرى جديدة أشد خطرا من المشاكل السابقة التى أريد لها أن تحل بالحرب ولن يؤدى انضمامنا إلى إحدى الكتلتين إلى حل هذه المشاكل ومن ثم فقد رأينا أن نبقى على الحياد .

« الرئيس سوكارنو »

إنى أصادق الجمهوريات السوفيتية كحكومات مع عدم إقرارى للمبادىء الشيوعية .

« كمال أتاتورك »

الضمان الجماعي العربي
وسد الفراغ

من العبارات التى تواترت خاصة بالشرق الأوسط وجرت على ألسن ساسة الغرب عبارة « الفراغ وسد الفراغ » وما يعنيه الغرب وساسته بهذا الفراغ هو أن دول هذه المنطقة لا تستطيع فرادى أو مجتمعة أن تحمل عبء الدفاع عن نفسها إذا ما وقع عليها عدوان من جانب السوفيت وعليها إذن أن ترتبط بالغرب ليعدها الإعداد الكافى عسكريا واقتصاديا ومعنويا لمواجهة الحرب القادمة التى يمكن أن تنشب بينه وبين العالم الشيوعى فى ساعة أو أخرى. وجعل ساسة الغرب يؤكدون هذه الحقيقة ويبرزونها تارة بالحديث عن التخلف العام الذى تعانيه المنطقة وهبوط المستوى الاجتماعى هبوطاً يثير الذعر ويبعث القلق ويؤدى إلى انتشار الشيوعية ويمهد لها وتارة بالحديث عن التهديد المباشر الجاثم فوقها من جانب الغزو السوفيتى.

ولكن أحداً من هؤلاء الساسة لم يشر إلى أهداف الغرب الاستراتيجية من حصر الكتلة الشيوعية وتطويقها بسلسلة من القواعد العسكرية والمحالفات الجماعية التى تخضع للغرب وتأتمر بأمره وتكتل العالم كله خارج نطاق الستار الحديدى ضد الكتلة الشيوعية.

وقد نجح الغرب فى إقامة حلف الأطلنطى ودعمه ومده إلى تركيا واستطاع إلى حد كبير أن ينجح فى إقامة نظام دفاعى يضم دول الباسفيك ويمتد إلى

مجلة صرخة العرب العدد الثانى فى فبراير ١٩٥٥

الباكستان و بقيت منطقه الشرق الأوسط — إذا استثنينا تركيا — خالية من أى نظام دفاعى يربط بين حلفى الأطلنطى والباسفيكى وينسق خطط الغرب العسكرية واستراتيجيته التى تقوم على احتواء الكتلة الشرقية وتطويقها .

وبهذا أصبحت منطقة الشرق الأوسط من وجهة النظر الغربية تمثل فراغا استراتيجيا هائلا .

فالفراغ كما يعنيه الغرب حقيقة ليس هو عدم قدرة دول الشرق الأوسط أو بعضها على الدفاع عن نفسها وليس هو تخلفها العسكرى أو الاقتصادى أو الاجتماعى وإنما هو عدم ارتباطها بمحالفات الغرب العسكرية أو سياسته الاستراتيجية مما جعل منها حلقة مفقودة فى سلسلة الدفاعات والقواعد العسكرية الغربية .

ولهذا كان غضب الغرب عنيفاً حين شرعت الدول العربية فى إبرام معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى المعروفة بالضمان الجماعى فإن إبرام هذه المعاهدة جاء وليد الإحساس المشترك بالمرارة التى خلفتها حرب فلسطين ، وظن الغرب أن هذه المعاهدة لم تبرم إلا لتنظيم القصاص من إسرائيل فأصدر التصريح الثلاثى المشهور بضمان الوضع القائم فى البلاد العربية وضمان السلم والاستقرار فيها ومقاومة أى اتجاه للعدوان على إسرائيل أو اجتياز خطوط الهدنة لهذا الغرض ، وطلبت منها ضماناً كافياً بعدم استخدام السلاح المشترى منها فى عمل عدوانى ضد بعضها البعض والبعض هنا إسرائيل بالطبع .

وصدر هذا التصريح الثلاثى فى مايو سنة ١٩٥٠ من جانب الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وتمثل ثلاثتها الدول الغربية ذات العضوية الدائمة فى مجلس

الأمن إذ أن الدولتين الباقيتين هما الاتحاد السوفيتى والصين الوطنية التى لم يعد لها وجود حقيقى فى السياسة الدولية .

وكان من أسباب غضب هذه الدول على معاهدة الضمان الجماعى أنها بحثت خارج نطاق السياسة الغربية واتجاهاتها ، فليس فيها ما يربط الدول التى أبرمتها بالغرب أو بأى تكتل إقليمى آخر خارج نطاق البلاد العربية .

فلو كانت هذه الدول الغربية تعنى بما أسمته الفراغ ، عدم وجود تنظيم دفاعى يكفل سلامة المنطقة حقاً لوجدت فى معاهدة الضمان الجماعى هذا التنظيم الدفاعى الذى يكفل سد هذا الفراغ ولكنها فى الحقيقة تعنى بالفراغ فشلها فى ربط دول هذه المنطقة بعضها أو كلها إلى عجلتها الاستراتيجية وتنظيمها الدفاعى العام الذى يقوم أولا على إقامة سلسلة من المحالفات العسكرية على حدود الكتلة الشرقية وثانياً على ربط هذه المحالفات بعضها ببعض ربطاً محكما يجعل منها سداً منيعاً أمام العدوان الروسى وينسق عملياتها الحربية على امتداد المواجهة الروسية .

ولم تقم الدول الغربية وزناً لمعاهدة الضمان الجماعى فقيدت تصدير الأسلحة إلى الدول العربية وربطت مساعدتها الفنية والعسكرية بالتحالف معها أو الارتباط بها بشكل من الأشكال أو صورة من الصور تكفل التعاون العسكرى معها إذا ما نشبت الحرب بينها وبين الاتحاد السوفيتى .

وتقدمت هذه الدول الغربية الثلاث ومعها تركيا عقب إلغاء معاهدة التحالف المصرية البريطانية إلى مصر وإلى الدول العربية الأخرى بما دعته المقترحات الرباعية لإنشاء قيادة مشتركة للدفاع عن الشرق الأوسط ولتنسيق

هذا الدفاع مع الدفاع عن المناطق المجاورة ، بأن تشترك فيها الدول العربية مع غيرها من دول الشرق الأوسط الأخرى .

ومما جاء فى البند الأول من المقترحات الرباعية توجيه المقترحات إلى هذه الدول بصفتها من دول العالم الحر ، ويختلف مدلول الحرية هنا كما يختلف مدلول الفراغ لدى الدول الغربية عنه لدى الدول العربية أو الدول الأخرى التى لا ترتبط بكلا الكتلتين كالهند مثلا ، فتعبير العالم الحر فى نظر الغربيين معناه الدول التى لا تخضع لروسيا . أما الحرية فى مدلولها العام فليس لها معنى فى فهم الغربيين ، ويجب على هذه الدول أن تضحى بحرياتها القومية فى سبيل سلامة العالم الحر ، وما أشبه ما تعنيه هذه العبارة بما كانت تعنيه عبارة «ولسن» المشهورة عن حق تقرير المصير فقد اختلف حق تقرير المصير فى تطبيقه بين الدول الأوربية والدول الأفريقية والأسيوية التى تخضع للاستعمار الأوربى وما أشبه هذه العبارة أيضاً بما تداولته الألسنة خلال الحرب الثانية من عبارات الحرية والديمقراطية ، فلم تكن الحرية والديمقراطية إلا للدول الغربية فحسب أما الدول التى عانت الاستعمار كمراكش وتونس والجزائر وغيرها من الدول المغلوبة على أمرها فليس لها حق فى الحرية أو الديمقراطية .

وبعد فشل مشروع القيادة المشتركة للشرق الأوسط الذى حملته المقترحات الرباعية أخذت الولايات المتحدة تبحث فى إقامة منظمة دفاعية للشرق الأوسط ولم يلق هذا الاتجاه نجاحاً فوئدت الفكرة فى المهد وقام دلس بزيارته لبلدان الشرق الأوسط فى بحر عام ١٩٥٣ وخرج منها بعدة نتائج وضع على أساسها مقترحاته التى أخذت السياسة الأمريكية تطبقها فيما بعد وتقوم هذه المقترحات

على اعتبار أن الدفاع عن الشرق الأوسط يجب أن يمتد على طول خط دفاعى يسير متاخماً للحدود الروسية من الباكستان إلى تركيا و يضم الدول التى تقع على هذا الامتداد وهى باكستان وأفغانستان و إيران والعراق وتركيا ثم تضم إليه الدول الأخرى خلف هذا النطاق ولتنفيذ ذلك ترتبط كل من هذه الدول أو بعضها باتفاقيات العون المتبادل مع الولايات المتحدة ، وتقوم الولايات المتحدة بمقتضى هذه الإتفاقيات بتزويدها بالمعونة العسكرية والاقتصادية والفنية مقابل أن تلتزم هذه الدول بالدفاع عن نفسها فى حدود ميثاق الأمم المتحدة ثم ترتبط كلها فى حلف واحد لا تشترك فيه الولايات المتحدة ما دامت تركيا ، وهى أحد الأطراف فى هذا الحلف ، عضواً فى حلف الأطلنطى وفى حلف البلقان وترتبط فى سياستها الخارجية والداخلية ارتباطاً وثيقاً بالسياسة الأمريكية .

وكان عقد الميثاق التركى الباكستانى ومشروع الميثاق التركى العراقى أول مظهر لتطبيق هذه السياسة ومن المنتظر أن يعقب ذلك عقد ميثاق بين العراق و إيران ثم تحالف جماعى بين دول هذا النطاق .

ومن هذا كله نتبين أن الغرب لا يؤمن مطلقاً بجدوى الضمان الجماعى العربى للدفاع عن المنطقة أو تأليفها لا لسبب إلا أن الضمان الجماعى العربى لا يربط دوله بالتعاون العسكرى خارج حدود المنطقة كما لا يكفل التعاون بين دوله والكتلة الغربية فى أية صورة من الصور يمكن أن يرضى الغرب عنها .

أما أن الضمان الجماعى العربى قادر على سد الفراغ فإن الدول العربية إذا استكملت أسباب نهضتها الصناعية بحيث أمكنها إنتاج السلاح الثقيل داخل أراضيها وفى مصانعها . فلا ريب أنها قوة لا يستهان بها أمام من تسول له نفسه العدوان عليها وأنها قادرة على سد ما يعرف بالفراغ بنفسها دون حاجة إلى عون خارجى ولسنا

فى حاجة إلى دليل على ذلك أكثر من أن الاعتماد فى الحالين — فى الضمان الجماعى العربى أو أى تنظيم دفاعى آخر يرتبط بالغرب — هو على دول هذه المنطقة ومواردها الاقتصادية والبشرية وقواتها المحاربة، والفارق الوحيد هو أنه فى حالة الضمان الجماعى سيكون الدفاع دفاعا عن البلاد العربية ، أما فى غير ذلك فسيكون الدفاع دفاعاً عن مصالح الغرب وأهدافه أو دفاعاً عما يسميه الغرب «العالم الحر»، ثم أن الضمان العربى الجماعى يكفل للدول العربية أن تلتزم موقف الحياد إذا أرادت وأن مصيرها وموقفها وقف على إرادتها وحدها .

ولن يكون للضمان الجماعى العربى قيمة تذكر مالم تعمل دوله على تقويته ودعمه ، وقد تعترضها مصاعب جمة من نقص السلاح الثقيل أو مقاطعة الغرب لها إلا أن دول هذا الضمان الجماعى العربى مجتمعة متحدة متكتلة ليست قوة يستهان بها ولا يمكن لأحد الفريقين المتنازعين تجاهلها ويكفى أنها تملك أعظم مصدر للقوى المحركة فى العالم وهو البترول كما تحتل بموقعها أعظم حيز للصراع بين القوى الكبرى فى الوقت الحاضر .

فالضمان الجماعى العربى كحلف يكفل الدفاع عن العالم العربى ويسد مايسميه الغرب بالفراغ فى الشرق الأوسط إذا ماتعاونت الدول العربية مع دول الشرق الأوسط الأخرى على ذلك خالصة من أى ظل للنفوذ الأجنبى ملتزمة حدود مصالحها الإقليمية مؤيدة للسلام العالمى فى ظل ميثاق الأمم المتحدة .

الباب السادس

المسألة المصرية

١ — قناة السويس بين حماية المواصلات الامبراطورية والدفاع عن الشرق الأسط

٢ — المسألة المصرية من خلال المفاوضات

٣ — سياسة مصر الخارجية بعد الجلاء

قنـــاة السويس

بين حماية المواصلات الامبراطورية
والدفاع عن الشرق الأوسط

التزمت الاستراتيجية البريطانية للدفاع عن الامبراطورية مبدأين هامين : أولهما السيطرة على مسالك البحار والقواعد البحرية المختلفة فى شبكة المواصلات البحرية الامبراطورية ، وثانيهما الإحتفاظ بسيادة البحار والتفوق البحرى الساحق فى إنشاء الأساطيل وتسليحها وتدريب أفرادها وكفاءتها الممتازة ، وقد اغتصبت بريطانيا سيادة البحار من إسبانيا بعد تحطيم الأرمادا عام ١٥٨٨ وظلت تحتفظ بها إلى وقت قريب حين سبقتها الولايات المتحدة الأمريكية إليها أخيراً . وقد عبرت بريطانيا على أشلاء الأرمادا طريقها المفتوح للتوسع والاستعمار ، وأدركت أن البحرية القوية هى الدرع الذى يحمى المستعمرات ويصون الاستعمار . وكانت مستعمراتها قد تركزت فى آسيا وهى القارة التى وسعت إمبراطوريتها الثانية بعد أن قضى على إمبراطوريتها الأولى التى أقامتها فى أمريكا . وكان الملاحون الانجليز قد يمموا وجوههم نحوها قبل أن يتجهوا إلى البحار الموسمية الدافئة فى آسيا والهند . وعلى طريق الهند وضعت بريطانيا يدها على كل ميناء هام وكل قلعة بحرية مسيطرة وكل جزيرة تعترض طريق البحار وكل بوغاز يتحكم فى مداخلها أو مخارجها وكل خليج يطل على

صوت الشرق عدد ١٠ فى يولية ١٩٥٣ .

معابرها أو مسالك سفنها ، وصارت تنشىء القواعد والموانىء لحماية الأسطول وتموينه بالماء والطعام والوقود ، وتمت لها السيطرة على طريق رأس الرجاء الصالح وأمنت إلى سلامته وسلامة مستعمراتها فى البحار الموسمية حتى شقت قناة السويس وقصرت المسافة بين الشرق والغرب فأصبحت طريق العبور ولم يعد طريق رأس الرجاء الصالح طريق الهند الأول .

واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ احتلالا غير شرعى ونزل جنودها إلى القناة يحتلون شواطئها ولما يمض على إفتتاح القناة للملاحة ثلاثة عشر عاما كما لم يمض على إبتياعها حصة مصر فى أسهم شركة القناة سبعة أعوام ، وبقيت تحتل القناة حتى الوقت الحاضر ، وأيدت باحتلالها قواعد استراتيجيتها ، الامبراطورية التقليدية ولم يعد يهمها بعد إحتلال القناة إلا الإبقاء على هذا الاحتلال و إكتساب حق شرعى فى بقائه وفى هذه الدائرة أخذت تراوغ فى علاج المسألة المصرية لا تروم من وراء إثارتها إلا إكتساب حق شرعى فى إحتلالها لتظل هى الدولة المسيطرة على الممر الرئيسى فى مواصلاتها الامبراطورية فكان شرط حماية المواصلات الامبراطورية أحد التحفظات الأربعة فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ثم كانت معاهدة ١٩٣٦ فاكتسبت بريطانيا هذا الحق الشرعى وأصبحت تتمسك أولا بأبدية التحالف بينها وبين مصر ، وثانياً بسريان مفعول معاهدة الصداقة والتحالف حتى عام ٩٩٥٦ بالرغم من إلغاء الجانب المصرى لها و إنتهاك الجانب البريطانى لكثير من بنودها وإن كانت حجتهم فى الإبقاء عليها الآن هى أن قاعدة قناة السويس هى القاعدة الأولى للدفاع عن الشرق الأوسط لا لحماية المواصلات الإمبراطورية . فلم تعد حماية هذا الشريان المائى كما كانت من قبل هى حجة البريطانيين

فى إحتلالهم شاطئه بل أصبحت حماية القاعدة هى حجتهم فى البقاء . وعلى هذا لم تعد أهمية هذه المنطقة فى أنها تضم أهم شريان مائى يصل بين الشرق والغرب ، بل أصبحت أهميتها فى أنها تضم أهم قاعدة عسكرية للدفاع عن الشرق الأوسط . وهناك فرق كبير بين الناحيتين تختلف معه نظرتنا اليهما فالقناة كقاعدة للدفاع عن الشرق الأوسط غيرها كشريان مائى للعبور ، و بين هذين الاعتبارين تختلف نظرتنا إلى المسألة المصرية و إلى وضع القوات البريطانية فى القناة .

فالقناة كشريان مائى للعبور تخضع لاتفاقية الاستانة عام ١٨٨٨ وتقوم مصر على حمايتها بمعونة الدولة العثمانية كنص هذه الاتفاقية وقد أرادت بريطانيا فى أعقاب الحرب الأولى أن تنال اعترافا دوليا بوراثة حقوق الدولة العثمانية فى مصر كما أرادت أن تحمل تركيا على ذلك فى معاهدة سيفر ، وأحرزت بعض الفوز فى معاهدة فرساى جبته معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ كما قضى عليه موقف المصريين وثورتهم عام ١٩١٩ حتى نالت بعض ما تمنت فى معاهدة ١٩٣٦ فأصبح من حقها الدفاع عن القناة حتى يبلغ الجيش المصرى مستوى الكفاءة اللازم للاضطلاع بعبء الدفاع عنها . وجاء ميثاق الأمم المتحدة فجب قوة المعاهدات غير المتكافئة وحرم احتلال أية رقعة من أراضى الدول الأعضاء بدون رضائها ورغبتها وقضى بذلك على حق بريطانيا فى احتلال منطقة القناة وأبدت مصر رغبتها فى جلاء القوات البريطانية عنها بالقول وأيدته بالفعل ولم يعد الاحتلال البريطانى يستند على أى حق شرعى فى البقاء .

هذا من ناحية الوضع القانونى والدولى للاحتلال البريطانى للقناة ، أما من الناحية الاستراتيجية فقد برهنت عمليات الحربين العالميتين الأولى

والثانية على خطأ نظرية الدفاع عن القناة من شواطىء القناة ذاتها ، بل يجب أن يكون هذا الدفاع على عمق كاف منها يجنبها خطر النيران المباشرة ولا يعرضها للتدمير الذى يقوم به المهاجم للقضاء على القوات المعادية المعسكرة فى أرضها وكان كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر أول من رأى ذلك عندما طلب إلى الحكومة البريطانية قبل قيام الحرب الأولى ، احتلال فلسطين أو جزئها الجنوبى لضمان حماية قناة السويس حتى إذ قامت الحرب ونجحت القوات التركية فى اختراق برية سيناء ومفاجأة القوات البريطانية فى القناة ظهرت صحة رأى كتشنر وخطأ النظرية البريطانية القائلة بالدفاع عن القناة من شواطىء القناة . فوضع أرشيبالد مورى خطته الدفاعية عن القناة بالتقدم شمالا واحتلال القطاع الأرضى بين غزة وبئر السبع وهى الخطة التى وضع اللنبى على هداها عمليات فلسطين الهجومية والتقدم شمالا إلى سوريا فى مطاردة القوات التركية .

وفى الحرب الثانية نيطت عمليات الدفاع السلبى عن القناة بالقوات المصرية على حين قامت القوات البريطانية بالدفاع عن القناة فى الصحراء الغربية حتى إذا ظن الإنجليز انهيار قواتهم أمام تقدم روميل الكاسح فى الصحراء الغربية ، عملوا على الانسحاب من مصر و إخلاء منطقة القناة ولم يفكروا مطلقاً فى اتخاذها خطا دفاعيا يمكن أن يصمدوا عنده بعد انهيار قواتهم المنتظر فى العلمين .

وأما من الناحية الملاحية فقد تعطلت الملاحة فى القناة خلال الحربين بسبب الخطر الذى تعرضت له القوافل البحرية فى البحر الأبيض المتوسط من سيطرة العدو على امتداد كبير من سواحله وجزره ، وتحولت الملاحة إلى الطريق البحرى الطويل حول رأس الرجاء الصالح وبدت ضروره الاعتماد

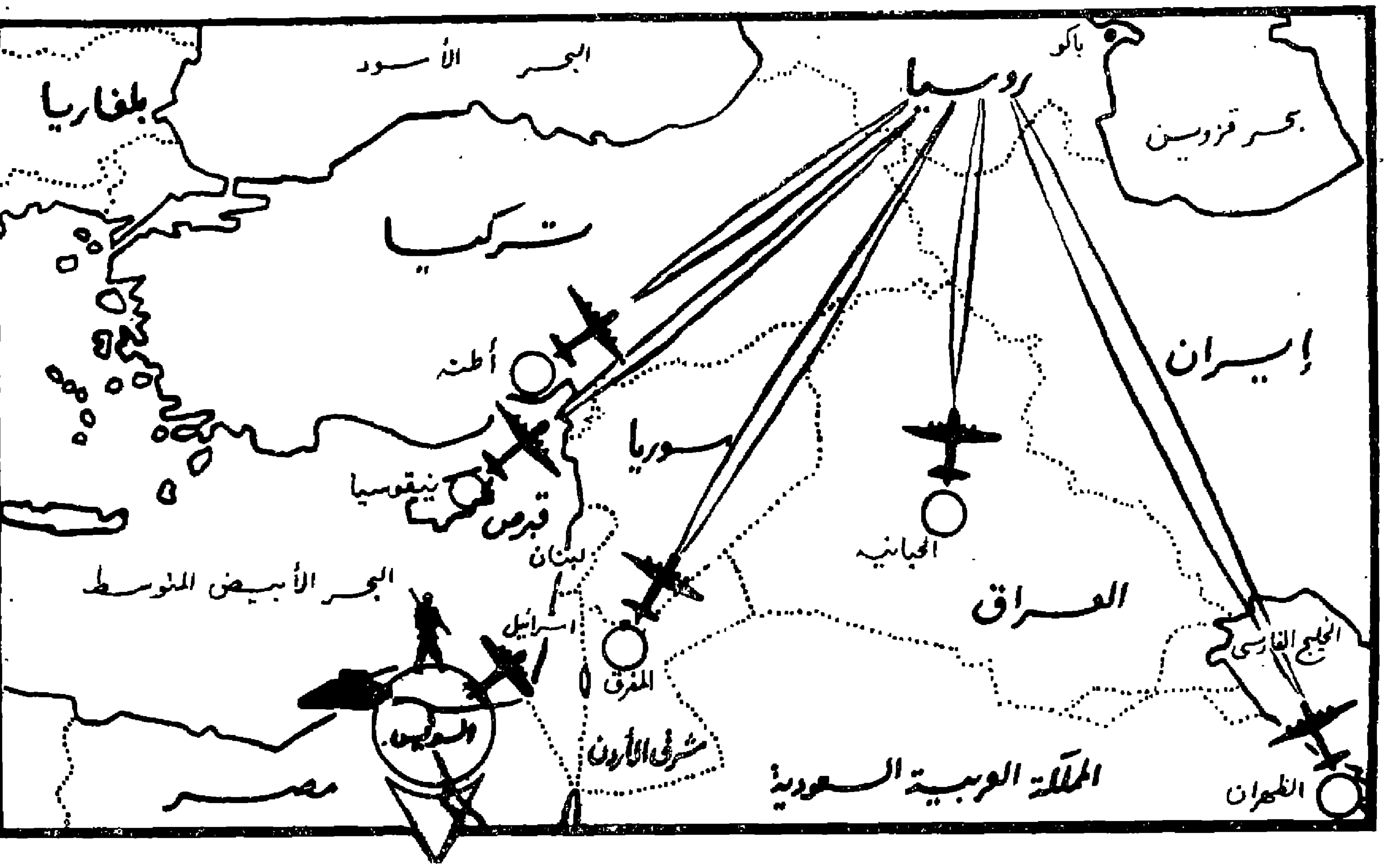
على قاعدة خلفية فى أفريقيا فكانت قاعدة كينيا وظهرت أهمة مينائى دكار وجيبوتى .

وبهذا وضح للجميع فشل الاعتماد على قناة السويس فى الحرب سواء فى شكل قاعدة للحشد أو فى شكل معبر ملاحى أمين، وضاعف من فشل نظرية الارتكاز عليها تقدم الطيران الرائع كما وضح مدى ما تتعرض له هذه المنطقة من الضرب بالقنابل الذرية فمن رأى العسكريين أن منطقة القناة هى أكثر مناطق الشرق الأوسط تعرضا للضرب بالقنابل الذرية لأن حشود القاعدة من الجند والعتاد والتموين تغرى بالإصرار على ضربها بالقنابل الذرية فى الوقت الذى لا تعوق الإشاعات الذرية تقدم عمليات الهجوم نحو الدلتا أو الانتفاع بالموارد التموينية فيها .

وكان من نتائج الحرب العالمية الثانية أن ضعفت الارتباطات الثنائية بين الدول بجانب الرغبة العامة فى التكتل الجمعى للوحدات الإقليمية والسياسية ولم تعد مناطق النفوذ وحدات قائمة بذاتها ترتبط بسياسة الدولة الغالبة أو استراتيجيتها الدفاعية أو الهجومية وبذلك لم تعد القناة ممرمائيا لايهم الامبراطورية البريطانية وحدها أن تسيطر عليه لضمان سلامة مواصلاتها بقدر ما يهم حلفاء الغرب جميعا فكان أن تلاشت من لغة السياسة البريطانية عبارة حماية المواصلات الامبراطورية لتحل محلها العبارة العامة السائدة الآن وهى الدفاع عن العالم الحر وتطور هدف الاحتلال البريطانى للقناة من حماية المواصلات الامبراطورية إلى الدفاع عن الشرق الأوسط ولم تعد منطقة القناة عقدة مواصلات فحسب بل أصبحت قاعدة عسكرية للحشد والتدريب والهجوم ولم يتغير بهذا المبدأ العام لاحتلالها بل جاء التغير فى المظهر وفى التفاصيل وفى الغرض .

وجاءت بريطانيا بهذا المسمى الجديد لمنطقة القناة إرضاء لحليفتها أمريكا التى ترى ضرورة الوصول إلى حل يرضى القوميات والأمانى الوطنية للشعوب العربية على ألا يتعارض ذلك مع سلامة الخطط الاستراتيجية للدفاع عن العالم الحر ، فالعبارة الجديدة استهواء وتملق للنزعة الأمريكية أكثر منها حقيقة تعنى أغراضها ومراميها اللفظية بقدر ما تعنى رغبتها فى الإبقاء على احتلالها لهذه المنطقة إبقاء على نفوذها وسيطرتها عليها لحراسة مصالحها الأفريقية وامتيازاتها البترولية فى العالم العربى ، تلك الامتيازات التى تخشى عليها جور رأس المال الأمريكى ونفوذه وغلبته أكثر مما تخشى عليها خطر العدوان الروسى .

وترى المقامات العسكرية والسياسية الإنجليزية ويشاطرها الأمريكيون هذا الرأى أن قاعدة قناة السويس هى أثمن القواعد العسكرية فى الشرق الأوسط فهى مركز الصيانة ومخزن العتاد الوافر الضخم الذى يكفى الأعداد الضخمة من القوات التى تحتاج إليها العمليات الحربية الواسعة . وقد استطاعت هذه القاعدة أن تسع حوالى ربع مليون جندى خلال الحرب الثانية مع كافة ما يحتاجون إليه من مهمات ومؤن كما يرون أنها الأساس الذى يمكن أن يضع عليه الغرب جميع خططه الدفاعية عن الشرق الأوسط فمنها يمكن تحريك القوات بالسرعة الكافية التى تكفل الدفاع عن مناطق البترول والمطارات المنثورة فى أمكنة متفرقة من تركيا والعراق والأردن وليبيا والمملكة العربية السعودية والخليج الفارسى . وهى مركز التوسع فى سلسلة هذه القواعد الجوية . كما أنها تكفل حماية الجنب الأيمن لتركيا من خطر التطويق وتحول دون أية محاولة للروس لاكتساب مناطق فى شرق البحر الأبيض المتوسط أو التسرب إليها أو النزول فيها .



الاستخدام الاستراتيجي لقاعدة (قناة السويس)

ويتخذ البريطانيون من هذه الحجج مبرراً لبقائهم فى منطقة القناة فهذه القاعدة تحتاج إلى الصيانة الفنية حتى تستطيع أن تؤدى مهمتها عند وقوع أى عدوان على الشرق الأوسط . وصيانة القاعدة لا يتأتى لغير الفنيين الإنجليز فى زعمهم وهى حجة مردودة على أصحابها فإذا كانت كتلة الغرب راغبة فى معاونة المصريين فلا أقل من أن تضطلع القوات المصرية بهذا العمل . ولن يعوزهم التدريب على ذلك فالثقافة العسكرية المصرية ظلت تعتمد طويلا على المناهج والتدريب والتسليح الإنجليزى كما أنه من اليسير إذا توافرت النية الطيبة تدريب أكبر عدد من الضباط والفنيين المصريين فى بعثات محلية أو خارجية على استخدام أجهزتها المختلفة والإلمام بأسرارها فى أقصر مدة ممكنة ثم إن هذه القاعدة التى استطاعت أن تسع ربع مليون جندى فى الحرب الماضية لا يمكنها أن تسع هذا العدد فى ظروف مغايرة كالظروف التى تمر بها الآن من عداء المصريين السافر للاحتلال القائم ومحاولة شن حرب عصابات فى الوقت المناسب ضد القاعدة ومحتليها. فالأمن الذى تمتعت به القوات البريطانية فى الحرب الماضية لن يكون لها مستقبلا ومن ناحية أخرى لا يمكن أن نوافق الإنجليز على رأيهم فى أن قاعدة القناة هى القاعدة المثلى فى الشرق الأوسط فإن قاعدة تقوم على رأس الخليج الفارسى تفضلها كثيراً كما تفضلها قاعدة المفرق « فى الأردن » لتوسطها وسيطرتها على الطريق بين رأس الخليج الفارسى وقناة السويس ، ولوجودها فى أرض حليفة . ولا تستطيع قاعدة القناة أن تفضل هذه القواعد الأخرى من حيث استنادها إلى شبكة جيدة من المواصلات أو وضع مستقر مأمون ومن حيث حماية الجنب الأيمن لتركيا ومنع الروس من النزول فى شرق البحر المتوسط . فإن قاعدتى أطنه والإسكندرونة تكفلان ذلك كما تساعد قاعدة قبرص فى حماية شرق البحر الأبيض المتوسط أكثر مما تستطيع قاعدة

القناة التى بوجودها تكون سبباً فى تعرض القناة لخطر التدمير من جراء النيران المباشرة .

وتبقى بعد ذلك حجتهم الأخيرة فى معدات القاعدة التى لا تعوض وما أنفقوه عليها من أموال طائلة ولا أقول رداً على ذلك إلا أن ما أنفقته أمريكا على تركيا واليونان فى سبيل كسب ودهما أكثر بكثير مما أنفقته بريطانيا على قاعدة القناة . كما أن رغبة الغرب فى كسب ود المصريين وتعاونهم لا يكفيه هذا الثمن الضئيل وهو نزول الإنجليز عن القاعدة ومنشئاتها للقوات المصرية وجلاؤهم عن القناة .

وكل ما يبغيه الإنجليز فى حقيقة الأمر هو الإبقاء على احتلالهم للبلاد العربية للمحافظة على مصالحهم الاستعمارية العديدة فى الشرق العربى . ولا تختلف حجتهم فى حماية المواصلات الأمبراطورية عن حجتهم فى الدفاع عن الشرق الأوسط و إنما هى المرونة السياسية للاستعمار البريطانى الذى يتكيف مع الظروف فيقيم الانتداب بدل الاستعمار أو الحماية و يسلم بضرورة المعاهدات الثنائية إذا لم تسعفه الفائدة المرجوة من الانتداب و يمنح الحكم الذاتى إذا ماخشى فورة الوعى القومى وثورته .

وعلينا أن ندرك تماماً أننا لسنا فى حاجة إلى مفاوضة البريطانيين فى حقوقنا الشرعية ولن يضيرنا عدم التعاون معهم قبل تحقيق أمانينا بل الضر كله عليهم بما ينفقون على القاعدة وحشودها الضخمة و بما يشعرون به من خوف وهلع من وجودهم بين قوم معادين ولن نمكنهم كما مكنتهم معاهدة سنة ١٩٣٦ من اكتساب حقوق تبقى لهم علينا وتمكنهم من تخفيف نفقات القاعدة أواستباحة مواردنا لصالحهم وإنا لمنتصرون فى معركة الحرية إن شاء الله.

المسألة المصرية من خلال المفاوضات

دخلت المسأله المصرية باحتلال إنجلترا لمصر عام ١٨٨٢ فى دور جديد يتميز بعنف الصراع بين إنجلترا وفرنسا حول شرعية الاحتلال وحق إنجلترا فى البقاء فى وادى النيل ومعارضة فرنسا لسياسة انجلترا فى البلاد ومحاولتها الإبقاء على نفوذها الثقافى والسياسى وتفوقها الحضارى فى الشرق الأدنى كما يتميز بالجفاء الذى أخذ يشتد ويسيطر على علاقات إنجلترا بالدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على مصر وأخيراً بذلك الكفاح الوطنى المرير بين الوطنيين والدولة المحتلة .

أما الصراع بين إنجلترا وفرنسا فقد إنتهى بعقد الاتفاق الودى بين الدولتين عام ١٩٠٤ وتسوية مشاكلهما السياسية والاستعمارية داخل القارة وفى خارجها وأما الجفاء بين إنجلترا والدولة العثمانية فقد إنتهت أسبابه بهزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى والقضاء على الامبراطورية العثمانية وزوال السيادة التركية عن مصر والبلاد العربية .

ولم يبق غير كفاح الوطنيين المصريين فى مقاومة الاحتلال يزداد ويخصب على مدى الزمن حتى إنتهى أمره بانفجار الثورة المصرية عام ١٩١٩ وإصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وبداية سلسلة طويلة من المفاوضات الثنائية

الفصول عدد أغسطس ١٩٥٤ .

بين الدولتين للوصول إلى تسوية للمسائل المعلقة فى تصريح ٢٨ فبراير إنتهت بإبرام معاهدة ١٩٣٦ ثم إستئناف المفاوضات بعد الحرب الأخيرة للوصول إلى تصفية الاحتلال وجلاء القوات البريطانية عن قناة السويس ، وكانت قد جلت عن المدن التى تحتلها داخل البلاد فى أعقاب الحرب تنفيذا لنصوص معاهدة ١٩٣٦ .

وقد سبق هاته السلسلة من المفاوضات الثنائية مفاوضات أخرى فى سنى الاحتلال الأولى ، دفع اليها تزعزع مركز الاحتلال ومقاومة فرنسا له وشعور بريطانيا بعدوانها على السيادة الشرعية لتركيا على مصر ومعارضة كثير من الانجليز لاحتلال القوات البريطانية لوادى النيل .

ولكن بريطانيا ما كانت تهمل مصالحها فى وادى النيل وما كانت تترك السيطرة على ذلك الموقع الاستراتيجى الممتاز الذى يطل على بحرين عظيمين وتتجمع فيه أهم مواصلات العالم البرية والبحرية ويشرف على أمم وشعوب تتطور فيها الأحداث إلى مستقبل حافل بالاحتمالات ويتوسط أقصر الطرق البرية والبحرية إلى الهند جوهرة التاج البريطانى فى ذلك الوقت .

وهى لا تستطيع التوفيق بين مصالحها وبين الضغط الخارجى والداخلى عليها لتسوية المسألة المصرية والجلاء عن البلاد إلا إذا ضمنت سلامة مواصلاتها ومصالحها فى البلاد فتفاوض حكومة شريف فى أغسطس ١٨٨٣ حول تخفيض قوات الاحتلال والجلاء عن القاهرة إلى الاسكندرية واستراحت الحكومة المصرية لهذا الرأى ولكن حال دون تحقيقه فشل حملة هكس فى السودان وخوف الانجليز من زحف المهدى على مصر من الجنوب كما ادعت .

وقامت بالمفاوضات الثانية فرنسا فقد دعت الحكومة الإنجليزية عام ١٨٨٤ الدول التى وافقت على قانون التصفية عام ١٨٨١ إلى مؤتمر يعقد فى لندن للنظر فى أمور المالية المصرية واشترطت فرنسا لقبول الدعوة بحث مسألة الجلاء . وبعد مكاتبات دارت بين الحكومتين فى هذا الشأن وعدت الحكومة الإنجليزية يسحب قواتها من مصر فى أوائل عام ١٨٨٨ فإذا تم الجلاء فإن بريطانيا تقترح على الدول وعلى الباب العالى حياد مصر ، ومن ثم أعلن جول فرى رئيس الحكومة الفرنسية فى مجلس النواب الفرنسى « أن مصر بلد ذو صفة دولية أوربية واضحة فأوروبا هى التى احتضنت المسألة المصرية وستبقى دائما كما كانت مسألة أوربية أولا وأخيراً » .

وحال دون نجاح هذه المفاوضات تعنت فرنسا فى مؤتمر لندن حول بحث المالية المصرية فقد رفضت الاقتراح البريطانى الذى يقضى بتخفيض فائدة الدين العام بما قيمته نصف فى المائة وانفض المؤتمر دون نتيجه ولما عقد فى العام التالى أقرت الدول عقد قرض جديد وتخفيض فائدة الدين العام تفريجا لأزمة مصر المالية وخسرت فرنسا المعركة أمام تشبثها المادى الذى كان من نتيجته أن سحبت الحكومة الإنجليزية وعدها السابق للحكومة الفرنسية بتحديد موعد الجلاء عن مصر .

وأما المرة الثالثة التى جرت فيها مفاوضات بشأن الجلاء فجاءت من جانب الحكومة الانجليزية عندما عرضت على الباب العالى عام ١٨٨٧ الدخول فى مفاوضات لتحديد تاريخ الجلاء عن مصر وشروطه وكانت حكومة المحافظين برئاسة سالسبرى التى خلفت حكومة الأحرار فى الحكم راغبة فى

إزالة ما تركه الاحتلال البريطانى من توتر فى علاقات انجلترا بالدولة العثمانية و بفرنسا وأخذت تفاوض الباب العالى واتفق الطرفان بعد محادثات جرت فى القاهرة والاستانة فى مايو ١٨٨٧ على جلاء القوات البريطانية عن مصر بعد ثلاث سنوات من تاريخ توقيع الاتفاق على أن يؤجل هذا الجلاء إذا ما ظهر خطر داخلى أو خارجى يهدد أمن البلاد وسلامتها ونص الاتفاق على حق كل من الدولتين فى احتلال البلاد إذا ما دهمها أى خطر على أن تجلو بعد زواله كما نص على أن يطلب إلى الدول بعد إقرار الحكومتين للاتفاق أن تنضم إليه مع ضمان حيدة الأرض المصرية وسلامتها .

ولكن السلطان رفض الاتفاق تحت ضغط فرنسا وروسيا اللتان أوهمتاه أن فى إبرامه إقرارا بمشاركة انجلترا لتركيا فى مصر .

وكانت هذه المفاوضات آخر ما جرى منها حتى قيام الثورة المصرية الكبرى عام ١٩١٩ وكانت بريطانيا ترمى بعد الحرب إلى ضم مصر إلى أمبراطوريتها وفرض حمايتها عليها ولكنها تحت ضغط الثوار تراجعت عن عزمها و بعثت بلجنة ملنر لدراسة الحالة فى مصر فقاطعتها كل الطوائف ولم تر بريطانيا بداً من التسليم ببعض الحقوق المصرية فأصدرت من جانب واحد تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ بانهاء الحماية البريطانية على مصر والاعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة و إلى أن يحين الوقت لقيام مفاوضات ودية بين الحكومتين المصرية والإنجليزية للاتفاق على التحفظات البريطانية فإنها ترى الاحتفاظ لنفسها بصورة مطلقة بتوليها وهى :

١ — تأمين مواصلات الأمبراطورية البريطانية فى مصر .

٢ — الدفاع عن مصر من كل اعتـداء أو تدخل أجنبي بالذات أو بالوساطة .

٣ — حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات .

٤ — السودان .

وأبلغ التصريح إلى كافة الدول معلنا استقلال مصر وسيادتها مع تمسك بريطانيا بهذه التحفظات .

ودخلت المسألة المصرية بإعلان تصريح ٢٨ فبراير فى دور من المفاوضات الثنائية لحل المسائل المعلقة بين الدولتين وهى التى تضمنتها تحفظات بريطانيا الأربعة ولم يكن يهم بريطانيا من هذه المفاوضات إلا أن تـكسب من ورائها اعترافاً شرعياً بحقيقة مصالحها فى مصر .

وتعثرت المفاوضات بين تمسك بريطانيا بمصالحها و إصرار مصر على الفوز بحقوق سيادتها كاملة ولم تنجح إلا فى عام ١٩٣٦ وانتهت بإبرام معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر و بريطانيا فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ وتم ذلك بعد أن حشدت لها بريطانيا كل ساسة مصر وزعمائها لتوقيعها حتى لا تترك ثغرة لمعارضتها فيما بعد .

وكانت المفاوضات الأولى بين سعد ومكدونالد فى لندن سنة ١٩٢٤ وكانت الثانية بين ثروت وتشمبرلن وزير الخارجية البريطانية عام ١٩٢٧ أما المفاوضات الثالثة فـكانت بين محمد محمود وآرثر هندرسون فى صيف عام ١٩٢٩ وعلق الوفد النظر فيها على عودة الحياة النيابية فاستقالت وزارة محمد محمود وجرت الانتخابات وفاز الوفد بالأغلبية واستأنف النحاس المفاوضات مع هندرسون إلا أنها قطعت فى ٨ مايو سنة ١٩٣٠ لعدم الوصول إلى اتفاق بشأن السودان .

ثم كان الدور الأخير للمفاوضات التى جرت بين الجبهة الوطنية برئاسة النحاس و بين المندوب السامى البريطانى فى مصر مايلز لامبسون وانتهت بإبرام معاهدة عام ١٩٣٦ ووقعت أصولها فى قاعة لوكارنو التاريخية بوزارة الخارجية البريطانية فى ٢٦ أغسطس .

وانتهت بذلك مرحلة هامة من مراحل تطور المسألة المصرية وانتظمت العلاقات المصرية البريطانية وفق نصوص المعاهدة المذكورة حتى قامت الحرب العالمية الثانية ووفت مصر بالتزاماتها لبريطانيا وكان من حقها أن تتقاضى ثمن ما بذلت من جهود وتضحيات فطالبت بالجلاء عن البلاد جلاء تاماً ناجزاً واستؤنفت المفاوضات من جديد للوصول إلى ذلك وتعثرت بين رغبة بريطانيا فى الاحتفاظ بمركزها فى مصر ومصالحها فيها وهيبتها فى الشرق الأوسط ورغبتها فى ربط مصر بعجلة الدفاع المشترك وإصرار مصر على ألا ترتبط بأى التزام قبل أن تحقق الجلاء عن البلاد .

وما من وزارة قامت فى الحكم بعد الحرب الأخيرة إلا واستأنفت المفاوضات دون أن تصل إلى نتيجة وكانت العقدة التى تتحطم عليها المفاوضات هى الدفاع المشترك ثم مشكلة السودان .

وقد حلت مشكلة السودان فى اتفاقية فبراير عام ١٩٥٣ و بقى أن تجرى المفاوضات بين الجانبين المصرى والبريطانى للوصول إلى اتفاق بخصوص الجلاء .

سياسة مصر الخارجية
بعد الجـــلاء

لعل أكبر مزية لاتفاق الجلاء أنه قد انتهى إلى تسوية معينة بشأن المسألة المصرية ، وأنه وضع العلاقات المصرية البريطانية على أسس واضحة يلتزم بها كل طرف من الطرفين المتعاقدين . فقد ظلت المسألة المصرية طوال الأعوام الماضية وهى عقبة كؤود أمام الاستقرار السياسى فى الداخل ، وفى وفى الخارج . ففى الداخل كانت على الدوام موضوع مساومات ومزايدات استغلتها الأحزاب السياسية استغلالا لا يقوم على الحكمة ورعاية الصالح الوطنى قدر ما يقوم على الاستغلال الشعبي لعواطف الجماهير وأهوائها الجامحة المتحمسة .

وفى الخارج حالت دون وضع سياسة خارجية مستقرة تسير على قاعدة معينة نحو هدف واضح يحقق لمصر شخصيتها الدولية فى هذا المعترك العالمى بين كتلتى الشرق والغرب .

أما وقد أبرم اتفاق الجلاء واستقرت العلاقات المصرية البريطانية على وضع معين حددته بنود الاتفاقية فإنها بهذا تضع قواعد أساسية لسياسة مصر الخارجية .

فقد كانت مصر بين كتلتى الشرق والغرب تقف موقفا سلبياً يفقدها كثيراً من مقومات شخصيتها الدولية . فهى لا تستطيع أن تحالف الشرق لاختلاف فى النظم والعقائد والمذاهب السياسية والاقتصادية ، ولا تستطيع أن

صوت الشرق عدد ٢٦ فى نوفمبر ١٩٥٤

تحالف الغرب بسبب ما نالها من ضيم على يد إحدى دوله الكبرى . ولم يكن أمامها إلا أن تقف هذا الموقف السلبي فى كثير من المشكلات الدولية . وكان هذا الموقف يحمل عليها الغرب تارة ويحمل عليها الشرق تارة أخرى . . وكثيراً ما كانت تخرج بسخط الفريقين معاً فلا الكتلة الشرقية براضية عنها ولا الكتلة الغربية بمطمئنة إلى موقفها الملئ بالإحن والمرارة والعداء .

ونحن لا نقول أن مصر بهذا الاتفاق قد تحالفت مع الغرب أو ارتبطت معه برباط ملزم أو تعهدت له بالوقوف إلى جانبه فى أية معركة تنشب بينه وبين خصومه ، فهذه الحقيقة قد أوضحها جمال عبد الناصر حين قال إن الاتفاق لا يلزم مصر بأى ارتباط مع كتلة الغرب ، وأن مصر ستبقى على الحياد ولن تدخل فى محالفات عسكرية أو مواثيق دفاعية ، وأن الدفاع عن مصر وجاراتها من شأن مصر وجاراتها وحدهم ، وأنها لا تبغى إلا أن تعيش فى سلام وأن تؤيد قضية السلام وتنصرها على الدوام .

هذه هى الخطوط العريضة التى وضعها جمال عبد الناصر لسياسة مصر المستقبلة . فهو قد أوضح بشكل لا يقبل جدلا موقف مصر من النزاع العالمى القائم بين كتلتى الشيوعية والرأسمالية، وأن مصر ستقف بين الكتلتين فى أية حرب تنشب موقف الحياد ما لم تهاجم هجوماً مباشراً تضطر إلى دفعه مرغمة .

وهذه الأسس التى وضعها جمال عبد الناصر لسياسة مصر الخارجية ستجعل من مصر فى الشرق الأوسط داعية سلام كالهند فى ميدان الشرق الأقصى . وما دامت مصر قد سوت مشكلتها الأساسية التى كانت تعوقها

من أن تتخذ لها اتجاها معينا فى الميدان الدولى ، فلا ريب أنها ستكون منذ الآن من الدول التى ستقبض على ناصية التوازن الدولى لترجح كفة السلام بين الكتلتين ، وستقوم بدورها فى تقريب أوجه الخلاف بين الفريقين المتنازعين .

ومصر تضطلع بهذا الدور الخطير لأنها فى ميدان الشرق الأوسط لا تقل أهمية عن الهند فى ميدان الشرق الأقصى .

فموقعها الجغرافى الممتاز يعطيها هذه الميزة الدولية . . ميزة القدرة على إيجاد التوازن بين كتلتى الرأسمالية والشيوعية .

ومصر إذ تتزعم للدول العربية وتقودها فى الميدان الدولى ستكون مع شقيقاتها العربيات قوة خطيرة لها أثرها الكبير فى توجيه الأحداث الدولية وقيادتها قيادة حكيمة . وسيكون لمجموعة الدول العربية — وكانت المسألة المصرية هى التى تعوقها جميعاً كما تعوق مصر — المكانة الممتازة فى التأثير على السياسة الدولية وتوجيهها الوجهة التى ترضاها .

ولمصر مكانتها المرموقة فى العالم الإسلامى أيضاً ، فهى لا تستمد أهميتها من موقعها ومن قيادتها للدول العربية فحسب و إنما تستمدها أيضا من أهميتها البالغة ومكانتها الخطيرة فى نظر العالم الإسلامى ، فحيثما تتجه قلوب المصريين تتجه معهم قلوب أربعمائة مليون مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها . وتستطيع مصر أن تجمع العالم الإسلامى حولها وهى تقوم فعلا بهذا الدور الآن ، وبهذا تصبح أعظم قوة محايدة على وجه الأرض إذ لا مصلحة للبلاد الإسلامية فى الإنضواء تحت لواء الشرق أو تحت لواء الغرب وسيتركز ميزان القوى الدولية حيث تتجه كفة العالم الإسلامى .

ولم يكن للعالم الإسلامى هذه القوة الخطيرة من قبل ، فقد كانت شعوبه ودوله تخضع للاستعمار ولم تكن مصائرها بأيديها بل بيد المستعمر يسوسها كيفما شاء ويسوقها أينما يريد ، ولكنها استطاعت أن تحقق سيادتها وتنال استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، فاستقلت أندونيسيا وولدت دولة الباكستان التى تضم حوالى تسعين مليوناً من الأنفس وحققت الدول العربية سيادتها الدولية كاملة ، وأخذ العالم الإسلامى ينفض غبار خموله ويستيقظ على ضجيج الحياة فى هذا العالم الواسع وقد اكتمل وعيه السياسى والقومى .

والدول الإسلامية إذ تتحد وتتكتل فستكون أعظم قوة مؤثرة فى هذا العالم الواسع .

من هذه الخطوط العريضة نستطيع أن نرسم سياسة مصر الخارجية بعد اتفاق الجلاء . . فمصر بموقعها الجغرافى الممتاز ومصر بين الدول العربية ومصر بين الدول الإسلامية ومصر الدولة الأفريقية التى تربطها بالقارة المظلمة روابط قوية لا بد وأن تسير فى سياستها على هدى هذه العوامل جميعاً ، فهى لا تستطيع أن تتجاهل موقعها الممتاز الذى يضفى عليها أهمية استراتيجية وسياسية بالغة بين قارات العالم القديم ، وعلى قمة بحرين هما أعظم بحار العالم وفى التقاء مواصلات قارات ثلاث تتجمع فيها مشكلات العالم كله . . ولا تستطيع أن تتجاهل مركزها بين الدول العربية وقوتها المعنوية الهائلة التى تدفع الشعوب العربية إلى السير على نهجها وعلى غرارها ، كما لا تستطيع أن تتجاهل مكانتها فى العالم الإسلامى أو موقعها على قمة القارة الأفريقية .

وهذه العوامل جميعاً هى التى ستكيف سياسة مصر الخارجية فى المستقبل وقد وضع اتفاق الجلاء الأسس والقواعد التى يمكن أن تقيم عليها هذه السياسة كما أنار الطريق للمستقبل على هدى وبصيرة .

والدعوة للسلام هى النور الذى يضىء لمصر طريق المستقبل فمصر بلد يبنى و ينهض من كبوة طال مداها و يجب أن تقوم علاقاتها الدولية بجاراتها من عربية و إسلامية و بدول العالم أجمع على أساس وطيد من الوئام والتكافل السلمى وتبادل المنافع حتى تستطيع أن تبنى للمستقبل وتنهض من كبوة الماضى .

والسياسة لا تقوم على العواطف أو إثارة حماس الجماهير و إنما تقوم على تعرف مصلحة الدولة ورفاهية الشعب والخطط المتسقة المدروسة لرفع مستوى المعيشة . فمصر كغيرها من الدول العربية تعانى مشكلة هى العلة فى كل مشكلاتها . وهى مشكلة الفقر ، فالفقر هو علة التخلف الاجتماعى والصحى والثقافى بين الشعب .

فسياسة مصر الخارجية يجب ألا تنفصل عن سياستها الداخلية فإذا رامت من سياستها الداخلية أن ترفع مستوى المعيشة فإن سياستها الخارجية يجب أن تتوخى ذلك بمعنى ألا تضحى لصالح دولة أو دول أخرى قريبة أو بعيدة مالم يكن مرمى هذه التضحية رفاهية مصر وخيرها قبل كل شىء .

الباب السابع

استراتيجية الاستعمار

١ — الصراع الدولى فى ليبيا

٢ — فزان والاستعمار الفرنسى

٣ — السياسة البريطانية الجديدة فى عدن والمحميات

٤ — بريطانيا تطمع فى البريمى

الصراع الدولى فى ليبيا

لم تكن لليبيا إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية أية أهميــة اقتصادية أو استراتيجية تجذب إليها انتباه الدول الاستعمارية أو اهتمامها بالرغم من امتداد ساحلها فى البحر المتوسط ألفاً ومائتى ميل تضم عدة موانئ بحرية جيدة أهمها درنه و بنغازى وطرابلس مما يجعلها تتحكم فى الملاحة كما سبق أن تحكم فيها أمراء البحر الليبيين من قبل من أمثال طورغود و بيرى ريس وسيدى على ممن رفعوا أعلام دولة بنى عثمان فوق العباب حين والوها ودخلوا فى خدمتها فأوقعوا الرعب والفزع فى قلب كل باخرة لا تخضع لسطوتهم ، إذ أن اطمئنان بريطانيا إلى سيادتها البحرية جعلها لا تلقى بالا إلى هذا الساحل أو تهتم بموانئه وكان الامتداد الاستراتيجى للاستعمار الأوربى يتجه شرقا عبر القارات متنكباً البحار التى تسودها بريطانيا .

ورضيت فرنسا أن تلتهم إيطاليا ليبيا وإن كانت ترنوا إليها لنفسها حتى يكتمل بها امتداد أملاكها فى شمال أفريقيا إلى مصر إلا أن إيطاليا كانت ترنو إلى تونس فأرادت فرنسا أن تشغلها بليبيا عن تونس ، ولم يكن احتلال إيطاليا لهذه الصحراء الجرداء القليلة الموارد لتواجه فيها قوما أولى بأس وعزم أذاقوها الويل إلا لترضى مركب النقص الاستعمارى الذى انتابها بين الدول الأوربية التى سبقتها إلى الاستعمار ، فلم تدع لها غير فتات الموائد ،

مجلة المشاة م ٦ عدد ٢٤ فى أكتوبر سنة ١٩٥٣ .

وكانت بريطانيا تميل إلى مجاملة إيطاليا بدورها حتى تكسب إلى صفها حليفا ليس فى عدواته ضر ولا فى صداقته نفع إلا فى معترك المناورات السياسية فى أوربا ، وبقيت تجاملها حتى قيام الفاشية فى إيطاليا والكشف عن أطماعها التوسعية .

فما أن قام موسولينى يعلن عن إحياء الإمبراطورية الرومانية ، وأن البحر المتوسط بحيرة إيطالية حتى انتاب بريطانيا الفزع من هذا العملاق الصغير الذى أخذ يهدد العمالقة الكبار ويعكر صفو دعتهم وأمنهم وأخذت أهمية ليبيا الاستراتيجية تتضح كنقطة إرتكاز لتهديد المستعمرات البريطانية والفرنسية فى أفريقياوظهرت أهمية موانيها فى تهديد الملاحة فى البحر المتوسط لاسيما و إن إيطاليا تقوم على الشاطىء المواجه للمتوسط وتكاد تشرف على منطقته الوسطى وتحصرها مع ليبيا حصراً قوياً وتسيطر منها على الملاحة سيطرة تامة سواء من البحر أو من الجو .

وتمتد ليبيا إلى الداخل إمتداداً كبيراً فتصل حدودها فى أقصى الجنوب إلى إفريقيا الإستوائية والسودان وتهدد الحدود لمصرية من الغرب ولا سيما بعد أن امتلكت واحة جغبوب وأصبحت قاعدتها فى البردية تهدد السلوم تهديداً خطيراً . وتمتد غربا فتتاخم تونس وتهدد فرنسا فى شمال إفريقيا . كما تضم طرق القوافل القديمة بين غرب إفريقيا وحوض النيل ، وتعبرها المواصلات الجوية الإيطالية إلى ارتريا والحبشة .

وظهرت أهمية ليبيا الاستراتيجيه عند ما انسابت منها قوات المحور نحو وادى النيل شرقا وتونس وشمال إفريقيا غربا وإنطلقت الطائرات من قواعدها

تدك قواعد الحلفاء فى البحر المتوسط وفى مصر وتقطع الطرق على قوات الحلفاء البحرية فى المتوسط .

ولم تكن هذه الأهمية منكورة أو مجهولة ولكن الدول التى يعنيها أمرها ما كانت تفكر فى خطرها لضآلة شأن الدولة التى تسيطر عليها فقد ظلت إيطاليا بعد أن كملت لها وحدتها وحققت استقلالها تعيش على فتات الاستعمار الأوربى الذى احتكرته دول الغرب ، ولم تحقق شخصيتها الدولية فى محيط السياسة الأوربية إلا على أشلاء الصراع الدولى بين دول أوربا الكبرى ، فبدت كالقزم المشاغب يرتدى أثواب العمالقة ويعيش بينهم فيترضونه منعا لشغبه ويحشرونه فى زمرتهم ليكون الثقل المرجح فى كفتى الميزان المتعادلتين .

ولم تعرف ايطاليا إلى أى جانب تميل ، فهى تارة مع دول الوسط وتارة مع دول الغرب حتى إذا نفخ موسولينى فى أثواب العملاق الصغير ليبدو ضخما منتفخا وازداد شغبه حتى طغى على ضجيج العمالقة ، فخالوه قد تحول عملاقا كبيراً وخشوا بأسه وخافوا بطشه فترضته ألمانيا النازية وخشيه حليفا الغرب بريطانيا وفرنسا وأخذا يحسبان تهديده لمستعمراتهم فى القارة المظلمة حيث جثم على صدر الحبشة كما كان يجثم على صدر ليبيا وصار يعمل على ربط مستعمرتيه المنفصلتين ويتطلع إلى السيطرة على حوض البحر المتوسط البحيرة الرومانية القديمة ، وكان سحر الامبراطورية الرومانية يلهب خيال الديكتاتور الإيطالى ، فخال نفسه قيصراً يمد يمناه فيلتهم الغرب ويدفع بيسراه فيطوى الشرق ، وأخذ يدفع الشعب الإيطالى المسالم إلى اعتناق عقيدته ويشيد بأمجاد روما فى الخافقين عله يبعث المجد القديم ويحرك الوهم الإمبراطورى المقدس فى نفوس قومه وليرهب كل منافس خطير يتصدى لأطماعه .

حتى إذا قامت الحرب وعضت زبانية الجحيم على نواجذ الشر ، ظهر العملاق فى أثوابه الحقيقية قزما ضئيلا لم يختلف فى معركة الصحراء عنه فى معركة كابورتو التى حارب فيها وهو يولى الأدبار ضد النمسويين عام ١٩١٧ ، ولكن بقيت فيالق الألمان تسندها نخبة من خيرة المحار بين الإيطاليين الذين حاربوا كما حارب أجدادهم الرومان يذيقون الحلفاء كؤوس الهوان فى شمال أفريقيا .

وأصبحت ليبيا مسرح الحرب الثانى فى أتون المعركة العالمية وطوتها جيوش المتحاربين كراً وفراً وشهدت الصحراء ألواناً من البطولة الرائعة وطوت الرمال عدداً من الجثث والعتاد وغدت ليبيا مركز الثقل الاستراتيجى فى الحرب الدائرة فى شمال أفريقيا .

وانتهت الحرب ولكن الصراع الذى شهدته الصحراء فى ليبيا وواحاتها الظليلة ومدنها المنثورة قد انقلب إلى صراع سياسى بين المنتصرين الذين تطلعوا مرة أخرى إلى القزم المشاغب علهم يستفيدون من شغبه وإن حرموه ثمرته الفجة التى سهر على سقياها ورعايتها طوال سنى إستعماره فرأينا من هؤلاء المنتصرين من لا يمانع فى أن تكون الوصاية على ليبيا لإيطاليا لغرض فى نفسه أو لحرمان منافسيه من إغتيالها فقد كانت فرنسا بالرغم من أطماعها فى فزان تطالب بأن تكون الوصاية على ليبيا لإيطاليا وترى أن جيرتها خير من جيرة حلفائها الاقوياء ، وأيدت الروسيا اقتراح فرنسا عند ما رأت أن أملها فى التسرب إلى هاته البقاع يضيع أمام إصرار دول الغرب على إبعادها عن هذا المجال الإفريقى وكانت معاهدة الصلح الإيطالية التى أبرمت بين إيطاليا

و بين الدول الاحدى والعشرين التى حاربت ضدها قد نصت على تجريدها من مستعمراتها فتستقل الحبشة وتقرر حكومات الاتحاد السوفييتى والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا مصير المستعمرات الأخرى وفقاً لما نص عليه التصريح المشترك الذى أصبح جزءاً من المعاهدة والذى ترك أمر البت فى شأن هذه المستعمرات إلى حكومات الدول المذكورة على أن تراعى فيه رغبات الشعوب ورفاهية السكان وتكون رغبات الدول التى يهمها الأمر موضع الاعتبار ، فاذا تعسر على هذه الدول الإتفاق بشأن هذه المستعمرات أو إحداها خلال السنة رجعت فى ذلك إلى الجمعية العمومية للامم المتحدة كى تتقدم بما تراه من توصيات بشأنها .

واختلفت الدول الأربع فيما بينها ، و بدا كأن الخلاف كله يدور حول ليبيا وأخذت المناورات السياسية تدور وتلف حولها بالذات فلكل منها أطماعها فيها تحدوها إليها دوافع استعمارية وأخرى استراتيجية ولكنها تتصل بالاستراتيجية الاستعمارية لكل دولة أكثر مما تتصل باستراتيجية الحرب القادمة أو الصراع الدائر بين الكتلتين .

و يرينا هذا إلى حد بعيد كيف تساس الأمور على هوى عمالقة السياسة وكيف تتضارب السياسة العامة للمتحالفين مع سياستهم الخاصة ومصالحهم الذاتية و يرينا هذا إلى حد بعيد أيضاً أن التحالف الجمعى لكل من دول الكتلتين يقوم على رعايه المصلحة المشتركة ولا يهمل المصلحة الذاتية إن لم تتقدم هذه المصلحة الذاتية فى كثير من الأحيان على المصلحة المشتركة كما جرى بين روسيا و يوغسلافيا حين رأى الديكتاتور اليوغسلافى أن يحرر سياسة

يوغسلافيا من سيطرة الكرملين ، وكما يحدث كثيراً بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية .

وكتبت هذه المصالح الذاتية سطور الصراع الدولى والمناورات السياسية التى حيكت حول ليبيا وفى أرضها أو بعيداً عنها ، فقد طالبت روسيا فى مؤتمر وزراء الخارجية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ بالوصاية على طرابلس ورأت أن تترضى بريطانيا بمنحها الوصاية على برقة ؛ وهذا ما كشف عنه وزير الدولة البريطانى مكنيل فى رده على فيشنسكى خلال انعقاد مؤتمر المستعمرات الإيطالية فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ ، ولما لم تجد روسيا تأييداً لطلبها هذا اقترحت أن تضطلع كل دولة من الدول الأربع بالوصاية على مستعمرة من المستعمرات الإيطالية ، وما كانت روسيا ترمى من وراء ذلك إلا لكسب قاعدة استراتيجية تستخدمها مركزا لتوسعها وبث دعوتها ونفوذها طالما بقى السلام و بعد شبح الحرب ، وتكون قاعدة عسكرية لها عند ما تقوم الحرب وإن كانت لا تستند على مواصلات برية أو بحرية مباشرة تربطها بها إلا أنها يمكن أن تقاوم حتى يتم اجتياح المناطق الحاجزة التى تفصلها عنها كما تعمل فى الوقت نفسه على اجناب العدو وعلى خطوط مواصلاته طالما تأتيها الإمدادات بطريق الجو ، وتكون فى الوقت ذاته ثغرة فى حلقة التطويق التى يقيمها الغرب حول كتلتها فالمعروف أن استراتيجية السوفيت المضادة تقوم على تحطيم الحزام الحديدى الذى تقيمه الولايات المتحدة حولها ومن هذا القبيل ما أنذرت به الدول العربية عند ما عرضت عليها المقترحات الرباعية للدفاع عن الشرق الأوسط من أن قبولها يسىء إلى علاقاتها بها وتعتبره عملا عدائياً موجهاً ضدها ، وما أشار إليه مالنكوف فى خطابه الأخير من محاسن الحياد للدول العربية .

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإن سياستها فى ليبيا ومصالحها فيها ترتبطان تماماً باستراتيجيتها العامة التى تقوم على تطويق الكتلة الشيوعية وحصرها فنراها تنثر القواعد العسكرية على طول الهامش الأرضى الذى يحيط بها فى المراكز الاستراتيجية الممتازة، وهى غالباً لاتعدو أن تكون قواعد جوية مهمتها مهاجمة مراكز الصناعة وقواعد الإمداد والتموين ومراكز الحشد فى روسيا كما تضطلع بتعطيل الزحف الروسى حتى توافيها النجدة من الخارج، وتقوم هذه القواعد العسكرية أيضاً بدورها فى حراسة المصالح الأمريكية التى تتمثل فى الاستثمارات البترولية وفى غيرها من الاستثمارات المالية الأخرى التى تطرد فى الزيادة والنمو، وكأن كل همها من ليبيا أن تبعد روسيا عنها ثم تختار لها منطقة ممتازة لإقامة قاعدة عسكرية فاختارت منطقة الملاحة فى طرابلس وأنشأت فيها مطاراً ضخماً هو مطار «هويلس» يصلح لاستقبال القاذفات الذرية وحشدت به كثيراً من الطائرات والطيارين وما تحتاجه القاعدة من جنود وفنيين يقال أن عددهم يربو على عشرة آلاف أمريكى وذلك مقابل ربع مليون دولار تدفعها الحكومة الأمريكية لحكومة ليبيا كإيجار سنوى للقاعدة.

وقد أشار السيد عبد الرحمن عزام فى حديث له إلى مجلة آخر ساعة كيف نجح فى إقناع المسئولين فى الحكومة الأمريكية بدفع مائة مليون دولار إيجارا لقاعدة الملاحة الجوية ولكن ما لبثت الحكومة الإنجليزية أن لعبت دورها التقليدى من وراء ستار فتم الاتفاق بين الحكومتين الأمريكية والليبية على هذا الإيجار التافه، ولا ريب أن مسعى السيد عبد الرحمن عزام لو نجح كما يقول لأنقذ ليبيا من أزمتها المالية وزاد فى دخلها. وتكشف المعاهدة البريطانية الليبية التى وقعت فى لندن فى ٢٩ يوليه من هذا العام

« ١٩٥٣ » السر الكامن وراء الدور الذى لعبه الإنجليز فى بخس إيجار قاعدة الملاحة .

وتعتبر قاعدة الملاحة الجوية القاعدة الخلفية لحلف الأطلنطى وهى قاعدة استراتيجية ممتازة من حيث سيطرتها الجوية على الملاحة البحرية فى القطاع الأوسط للبحر المتوسط وحماية القطاع الدفاعى للغرب الذى يمتد من جبال الألب الإيطالية و يرتكز عليها إلى جبال بنطس فى الأناضول و يستر خلفه شبه جزيرة البلقان ، كما يمكن للطائرات التى تقوم من قاعدة الملاحة أن تضرب الأهداف الروسية فى رومانيا و بلغاريا والمناطق الصناعية فى الأورال وتعود إلى القاعدة فى بضع ساعات وفى الوقت نفسه تستطيع أن تشد أزر القواعد الجوية فى تركيا واليونان وتكون قاعدة خلفية لها تنسحب إليها إذا ما نجح الروس فى اجتياحها .

وتفوز بريطانيا فى هذا الصراع الدولى بنصيب الأسد كنصيبها فى كل حلبة دولية تنزل إليها تحدوها أطماعها الاستعمارية وأهدافها الاستراتيجية لا تلقى بالاً إلى مصالح حلفائها المشتركة ، وإن كانت لا تهملها إلا بقدر ما يتعلق بسياستها العامة وأهدافها ومراميها الخاصة فقد وضعت نصب عينيها منذ البداية أن تكون برقة على أقل تقدير من نصيبها إن لم تمد نفوذها كله على جميع أنحاء ليبيا فقد عرفت ما لهذه المنطقة من خطر على مصالحها فى قناة السويس وفى أفريقيا بعد أن دهمها الخطر منها ما لم تؤمنها فى المستقبل ، وأدركت فى نفس الوقت أن بقاءها فى قناة السويس غير مضمون العواقب ، وأن تطور الوعى القومى والسياسى فى مصر قد يدفعها إلى الجلاء عنها ، وهى لا تنسى مصالحها فى القناة ، فلابد أن تبقى على مقربة منها حتى يتاح لها سرعة التدخل

عند ما يدهم مصالحها فيها خطر مفاجىء ، ثم أن مصالحها الأفريقية تنمو وتطرد فى الزيادة بل أن مركز الثقل فى الامبراطورية يتحرك من آسيا إلى أفريقيا مما دعى كثيراً من المعقبين إلى القول بأن الإمبراطورية البريطانية الثالثة تقع فى أفريقيا . وليبيا بموقعها الممتاز تسيطر منذ قديم الزمن على طرق القوافل البرية من البحر المتوسط إلى أواسط أفريقياومن غرب القارة إلى شرقها ثم أن تقدم الطيران قد جعل لها أهمية خاصة فى النقل الجوى فضلا عن أن طرق القوافل القديمة ستكون مسار قوافل السيارات التى أخذت تغزو الطرق البرية وتعيد إليها أسباب أهميتها القديمة التى فقدتها بتطور وسائل النقل البحرى تطوراً فاق فى تقدمه تطور وسائل النقل البرى القديمة .

ولليبيا أهميتها الاستراتيجية لبريطانيا فهى الخط الأمامى للدفاع عن امبراطوريتها الإفريقية التى يتهددها الخطر فى زحف يقع عليها من البلقان وقد ازدادت أهمية موانئها البحرية بعد أن فقدت بريطانيا مينائى حيفا وعكا بجلائها عن فلسطين وميناء الاسكندرية بجلاء قواتها إلى قاعدة القناة بل إن بقاءها فى القناة لم يعد مأموناً ولا مضموناً لإصرار المصريين على جلاء قواتها ووقوفهم منها موقفاً عدائياً لا يبشر باستقرار قواتها أو أمنها أو سلامة وجودها بين قوم معادين كما أن وجودها فى ليبيا يدعم نفوذها فى البحر المتوسط و يؤمن خطوطها الملاحية فيه و يتيح لها قواعد بحرية جيدة إذا ما اجتيح ساحله الأوربى يمكن أن تكون مركزاً لعملياتها البحرية المضادة .

ولا يحملنا هذا على الظن بأن وجود قواعد عسكرية لبريطانيا فى ليبيا سيغنيها عن قاعدتها فى قناة السويس أو سيدفعها إلى نقل قوات القناة إليها

فإن ليبيا لا تحتمل مزيداً من القوات فإن ما فيها ويقدر بستين ألفاً من الجنود هم فوق حاجة الضرورات العسكرية التى تحمل على بقائهم فيها وقت السلم .

ومع كره بريطانيا لفكرة الجلاء عن قاعدة القناة إلا أنها فى حالة جلائها سيتيح لها وجودها فى ليبيا سيطرة تامة على خطوط الاقتراب الرئيسية إلى وادى النيل بامتلاكها جغبوب التى تهدد طريق الواحات إلى الصعيد والبردية التى تهدد مدخل القطر المصرى عند السلوم فإن سقوط السلوم سيحمل القوات المدافعة على الانسحاب إلى خط العلمين — منخفض القطارة ، وهو الخط الذى يمكن للقوات المدافعة أن تصمد فيه بعد السلوم .

ويهم بريطانيا أن تسكن إلى مرقب تطمئن فيه وإليه ترقب منه تطور الحركات القومية فى الشرق العربى الذى يثور عليها ويتبرم بوجودها وهى لا تطمئن إلى بقائها فيه فإذا قدر لها أن تنزح عنه وجدت فى ليبيا خير مكان لرعاية مصالحها فى تلك المنطقة الحساسة من مناطق العالم .

وكان اهتمام بريطانيا ببرقة دون مناطق ليبيا الأخرى فهى التى تستطيع أن تحقق نوازعها الاستعمارية ومصالحها الاستراتيجية من احتلالها حتى مالت فى وقت ما إلى منح إيطاليا الوصاية على طرابلس ولكنها تأبى تماماً أن تكون برقة فى نطاق هذه الوصاية ، وكان ذلك عند ما أيدت فكرة وصاية ايطاليا على ليبيا وشايعها فى ذلك الاتحاد السوفييتى ووقفت الولايات المتحدة تدافع عن الإدارة البريطانية لبرقة وتندد بحكم ايطاليا لها وتأبى عودتهم إليها .

ولفرنسا كالبريطانيا والولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى نوازعها هى الأخرى

فى ليبيا فقد احتلت فزان فى أوائل عام ١٩٤٣ أثناء عمليات الصحراء ، ومنها زحفت إلى الشمال الغربى فاحتلت غدامس على الحدود الغربية لطرابلس وترينا عملية الزحف التى قامت بها قوات فرنسا الحرة إلى فزان فغدامس أهداف السياسة الفرنسية فهى ترمى إلى ربط مستعمراتها فى السودان الفرنسى بمستعمراتها فى شمال أفريقيا وقد جاءت إحدى الصحف أخيراً بنبأ مر سريعاً دون تعليق عن رغبة فرنسا فى اقتطاع جزء من غرب طرابلس يصل فزان بتونس فتظفر بالحلقة الاستعمارية التى تنشدها لربط مستعمراتها الأفريقية . وجاء بلاغ ديجول بعد احتلال فزان مؤيداً لهذه الحقيقة وهى تطلع فرنسا إلى البقاء فى فزان بل ووضعها تحت الحماية الفرنسية فقد جاء فيه : « إلى أهلى فزان الشجعان الكرماء . أحييكم باسم فرنسا التى حررت بأسلحتها أراضيكم وستأخذ من الآن فصاعداً على عاتقها حمايتكم » .

وتعتبر فزان ملتقى القوافل الضارية فى الصحراء الكبرى من الشمال والغرب إلى أواسط وشرق أفريقيا وستكون طرق القوافل فى مستقبل الأيام طرق السيارات المعبدة التى ستحيي غابر الطرق البرية وأهميتها التليدة ، كما تقع فزان على الطريق الجوى إلى جزيرة مدغشقر مستعمرة فرنسا فى المحيط الهندى قريباً من الشاطىء الشرقى لأفريقيا والتى تقع على طريقها إلى مستعمراتها فى الهند الصينية و بعض المحطات التى ما زالت تملكها على سواحل الهند وهى : ينام و بند تشرى .وكريكال وماهى . وتجهر فرنسا بأطماعها فى فزان فتدعى بأنها أقرب إلى الجزائر وتونس منها إلى ليبيا و برقة وأنها المحط الجوى بينها و بين مدغشقر ، وكانت بذلك أكثر صراحة فى تبيان أهدافها الاستعمارية من حليفتيها بريطانيا والولايات المتحدة .

ولم يكن عسيراً على الدول الثلاث المتحالفة أن تتفق على اقتسام ليبيا لولا ما نصت عليه معاهدة الصلح الإيطالية من اشتراك هاته الدول ومعها روسيا فى تقرير مصير المستعمرات الإيطاليه بله الرجوع فى ذلك أيضاً إلى الدول التى يهمها الأمر ، ومن هذا الباب دخلت جامعة الدول العربية وأدلت بدلوها وطالبت باستقلال ليبيا ، وإذا كان لا بد من وضعها تحت الوصاية فإنها تطالب بها لنفسها أو لمصر كما نصت على ضرورة عرض المسألة على الجمعية العمومية للأمم المتحدة إذا تعذر على هذه الدول الاتفاق على رأى .

وقد حال موقف الإتحاد السوفيتى وتدخل جامعة الدول العربية وحذر فرنسا من أطماع حليفتيها دون الاتفاق على المسألة الليبية حين عرضت على الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى دورتها التى عقدت بباريس فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ ، ولم تبت الجمعية العمومية فى مسألتها إلا فى الدورة التالية ، ففى نوفمبر سنة ١٩٤٩ قررت إعلان استقلال ليبيا فى وقت لا يتجاوز يناير سنة ١٩٥٢ على أن تقوم جمعية وطنية من المناطق الثلاث — برقة وطرابلس وفزان — بسن دستور يقرر شكل الحكم الذى ترضاه ولمساعدة ليبيا فى الوصول إلى أهدافها تشكل لجنة دولية من مصر وباكستان وفرنسا وإيطاليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ومندوب عن كل ولاية من ولايات ليبيا الثلاث ويرأسها مندوب من الأمم المتحدة . وكان أول مظهر لقرار الأمم المتحدة هو إبعاد روسيا عن المسألة الليبية وحصر المسألة الليبية بين الدول الثلاث الحليفة .

وأعلن استقلال ليبيا وتوج السيد إدريس السنوسى ملكا عليها فى الموعد الذى حددته الأمم المتحدة ، ولم يمر الحول التالى على استقلال ليبيا حتى وقعت

بلندن فى يوليه سنة ١٩٥٣ معاهدة تحالف بين المملكة الليبية والمملكة المتحدة وحققت بريطانيا أطماعها فى ليبيا ، ويبدو أن الدولتين الأخرتين فرنسا والولايات المتحدة قد حققتا ما تبغيانه كذلك فقد بقيت فرنسا فى فزان تحتلها وتضرب حولها ستاراً حديدياً لا تبيح لأهل برقة وطرابلس أن يتخطوه إلا بإذن منها مع أنها جزء من المملكة الليبيه المستقلة . وأقامت الولايات المتحدة مطار هويلس قريباً من سواحل طرابلس ولها من نشاطها الثقافى والاقتصادى فى البلاد مثل مالها فى بلدان الشرق الأوسط جمعاء .

وتربط المعاهدة الليبية البريطانية البلاد بحلقة الدفاع المشترك كما تواترت نصوصها التى نشرتها الصحف أخيراً . وذلك فى مقابل قيام بريطانيا بسد العجز فى ميزانية ليبيا وهو لا يتعدى مليوناً من الجنيهات .

وأغلب الظن أن الدول الثلاث ستبقى فى ليبيا كل فى المنطقة التى تحتلها والتى كانت موضع أطماعها بعد زوال الاحتلال الإيطالى ، وما قرارات الأمم المتحدة وما دعاوى الاستقلال والحرية إلا أبرع كذبة خطرت على أذهان دهاقنة الاستعمار فى القرن العشرين .

فـــــزان
والاســـتعمار الفرنسى

على الرغم من إعلان استقلال ليبيا مملـكة متحدة تتكون من برقة وطرابلس وفزان ، إلا أن هذا الاستقلال لم يغير من وضع قوات الاحتلال الإنجليزية والفرنسية فبقيت قوات انجلترا تحتل مراكزها فى برقة وطرابلس ، كما بقيت قوات فرنسا فى مراكزها بفزان .

وتقع فزان إلى الجنوب من ولاية طرابلس و إلى الغرب من ولاية برقة ، ويفصلها عن تونس والجزائر حدود سياسية تمتد فى خط منحن إلى الغرب من « غدامس » شمالا حتى « تمو » جنوبا تاركة غدامس وغات داخل حدود ليبيا وقد جرى تخطيط هذه الحدود بين فرنسا وإيطاليا فى ١٢ سبتمبر عام ١٩١٩ كنتيجة لما تعهدت به فرنسا وبريطانيا لإيطاليا فى معاهدة لندن السريه عام ١٩١٥ من تسوية الحدود بين ليبيا والممتلـكات الفرنسية فى أفريقيا وبين ليبيا ومصر . ولم يتم احتلال إيطاليا لهذه الولاية الجنوبية إلا فى عام ١٩٣١ فتأخر تخطيط الحدود الجنوبية حتى يناير عام ١٩٣٥ عند ما اتفقت فرنسا وإيطاليا على أن تمتد هذه الحدود بين ليبيا وإفريقيا الفرنسية الغربية من « تمو » فى الغرب إلى نقطة تقاطع خطى طول ٢٤ غربا وعرض ١٨٫٨٥ شمالا وأن تكون تلال بتستى هى الحدود الفاصلة بينها وبين أفريقيا الفرنسية الاستوائية.

وعند ما دخلت القوات الفرنسية القاتلة فزان ، اتفق الجنرال لـكلرك

صوت العرب عدد ١٥ فى ديسمبر ١٩٥٣ بعنوان « فزان الولاية التى يفتالها الاستعمار »

ومونتجمرى على أن يقوم الفرنسيون بإدارة صحراء طرابلس بما فيها فزان على أن تمتد حدودها الشمالية عند خط عرض ٢٨ شمالا وحدودها الشرقية عند خط طول ١٨٫٤٥ غربا وبذلك تركت حدود الولاية الشرقية كما كانت وهى تحت حكم إيطاليا ولم يمر يومان على ذلك حتى احتلت قوة فرنسية غدامس جنوب غرب تونس وأعلن لكلارك للجنرال الكسندر ضمها إلى الإدارة الفرنسية الجديدة فى فزان . واحتلت غات فى نفس الوقت وأعلن ضمها إلى الإدارة الفرنسية فى الجزائر لتوحيد المنطقة التى تسكنها قبائل الطوارق كما جاء فى تبريرها لذلك الإجراء .

وقد تم احتلال فرنسا مناطق فزان الثلاث — فزان ، وغات ، وغدامس — فى يناير عام ١٩٤٣ حين دخلت قوات الجيش الثامن بقيادة مونتجمرى طرابلس وأخذت تطرق أبواب تونس فى مطاردة قوات المحور . ولم تكن هذه المحاولة أول محاولة للفرنسيين لاحتلالها فقد سبقتها فى يناير عام ١٩٤١ محاولة أولى قام بها ضابط فرنسى من ضباط قوات البادية برفقة ضابطين بريطانيين تقدموا من تشاد وأغاروا على مرزوق والسودة ودمروا مطاراتهما واحتلوا الكفرة . وخشى الإنجليز أن يكون احتلال الفرنسيين وحدهم للكفرة مبرراً للمطالبة بحقوق فيها بعد الحرب فصمموا على أن يكون احتلالها مشتركا ورفع العلمان الإنجليزى والفرنسى معا على مدينة التاج . واستمر الفرنسيون مقيمين فى التاج حتى جلوا عنها عام ١٩٥٢ بعد إعلان استقلال ليبيا .

والكفرة واحة تقع داخل حدود برقة ، ويفسر هذا حرص الإنجليز على

إبعاد الفرنسيين عنها ، فقد كانت مطامع الإنجليز فى برقة واضحه جلية كشف عنها تصريح إيدن فى مجلس العموم البريطانى فى ٨ يناير سنة ١٩٤٢ عند ما أشار إلى اتصال السيد إدريس السنوسى بالمسئولين البريطانيين فى مصر وإلى تكوين القوات السنوسية والإشادة بجهودها فى الحرب وختمه بقوله : «إن بريطانيا لن تسمح بوقوع السنوسيين فى برقة تحت النير الإيطالى مرة أخرى» وكذلك خطاب السيد إدريس فى برقة مساء يوم ٣٠ يوليه عام ١٩٤٤ حيث قال « إن مأربه فى الحياة أن يرى بلاده مرتبطة بحلف دفاعى وتعاون وثيق مع بريطانيا » .

ولم يكن اهتمام الفرنسيين بفزان أقل من اهتمام البريطانيين ببرقه إن لم يفقه فقد كان اهتمام الفرنسيين مشوباً بالحرص والحذر من أن يغتالهم الإنجليز وينكروا عليهم مطالبهم ، وكان تحرك القوة الفرنسية الصغيرة التى احتلت فزان عام ١٩٤٣ من « فورت لامى » « وفايا » فى مقاطعة تشاد ، سباقا مع الطبيعة للوصول إلى فزان فى الوقت المناسب ، قبل أن تحتلها القوات الإنجليزية ، ولم تصل هذه القوة الصغيرة إلى قوة كتيبة مشاه ، فقد بلغ عدد أفرادها ٧٣٨ من الجنود والضباط ، ولكن التجهيزات الإدارية التى أعدت لها كانت فى غاية الدقة حتى لا تتعطل فى الصحراء فيفلت منها عامل الزمن والسرعة الضروريين للوصول إلى الهدف فقد أعدت لها السيارات والذخائر فى برازافيل وتم الحشد فى فورت لامى نقطة الابتداء ويشير كاترو فى كتابه « معركة البحر الأبيض المتوسط » إلى اتفاق تم بين الجنرال فيجان والإنجليز

فى فبراير عام ١٩٤١ عندما كانت القوات البريطانية فى حاجة إلى معونة القوات الفرنسية فى شمال أفريقيا وعد فيه الإنجليز بضم طرابلس إلى فرنسا بعد الحرب ، ولكن جورج كيرك فى كتابه « الشرق الأوسط خلال الحرب » يذكر أن فيجان لم يؤيد حقيقة هذا الاتفاق .

ويؤكد هذا ماأشرنا إليه قبل ذلك من اهتمام الفرنسيين بطرابلس وفزان، ولكن تطلع الإنجليز إلى طرابلس جعل الفرنسيين يحصرون همهم فى فزان ، وإن ظلوا يتطلعون إلى بعض الغنيمة فى طرابلس ، ففى مجلس وزراء خارجية الدول العظمى فى لندن عام ١٩٤٥ وفى باريس عام ١٩٤٦ تقدمت فرنسا بعدة مطالب كان آخرها « السيطرة على الساحل الغربى لطرابلس حتى مدينة خمس ، ليكون منفذاً للمستعمرات الفرنسية فى أفريقيا الوسطى على البحر المتوسط » .

وتبدو بوادر الطمع الفرنسى فى رسالة « دى جول » إلى أهل فزان فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٣ فقد جاء فيها : « إلى أبطال فزان الكرام أبعث إليكم بتحايا فرنسا التى أخذت على عاتقها منذ اليوم أمر حمايتكم وستبقى فرنسا فى فزان كما فى غيرها فى كل مكان آخر الصديق الصدوق لرعاياها المسلمين ، فشكراً لله على هزيمة أعدائنا وعلى أن النظام والسلام سيسودان أرض فزان على يدى فرنسا » ، ففى هذه الرسالة نرى تصميم فرنسا على اقتطاع فزان لنفسها .

ويرجع اهتمام الفرنسيين بفزان كما قلنا إلى أنها حلقة الاتصال بين مستعمرات فرنسا فى وسط أفريقيا ومستعمراتها فى شمالها وغربها ، وأنها تصل ما بين

الجزائر وتونس وأفريقيا الفرنسية الاستوائية كما أن مطارات فزان تقرب ما بين شمال أفريقيا وهذه الممتلكات الفرنسية الواسعة فى أفريقيا الاستوائية والغربية ومدغشقر ، و إلى جانب هذه المطارات فى سبها ومرزوق والسوده نرى الطرق البرية وقد أخذت السيارات تقتحمها عاملا آخر فى ازدياد أهمية فزان وليس لفزان أهمية اقتصادية تجذب اهتمام الدول إليها وجل اهتمام فرنسا بها يرجع إلى طبيعة موقعها هذا وسط الممتلكات الفرنسية فى القارة الافريقية .

وتبلغ مساحة فزان حوالى ٨٠٠٠٠ر كم ، وتتراوح المسافة بينها و بين البحر ما بين خمسمائة وستمائة كيلو متر ولا يقطن هذه المساحة الواسعة غير أربعين ألف نسمه . وفزان منخفض رملى وسط هضاب تحيط بها من كافة الجهات وفى هذا المنخفض تقع واحات فزان الثلاث سبها وبراك ، ومرزوق . والتمر أهم موارد المنطقة وأعظم منتجاتها و يوجد فى فزان ما يقرب من ١٢ مليون نخله ولكن المثمر منها لا يزيد على المليون ، وفى هذا أبلغ دلالة على التأخر الذى تعانية فزان . وهناك مادة النطرون أيضاً ، ولكنها لا تستغل استغلالا جيد فإن ما يصدر منها سنوياً أقل من مائة طن و يقال أن هناك بترولا ولكن الأبحاث لم تكشف عنه بعد ، وقد أشارت الصحف إلى طلب شركة أمريكية ، الإذن لها بالبحث عن البترول فى فزان على أن تتحمل ميزانية الولاية خلال الفترة التى تقوم فيها بأبحاثها .

وتسير الزراعة فى فزان على الطريقة البدائية ، و يزرع الشعير والقمح ، ولا يكفى الإنتاج المحلى لسد حاجة السكان و يمكن زيادة المساحة المزروعة باستغلال المياه الجوفية والآبار الارتوازية .

ولا يهمنا فى هذا المقام أن نتتبع التطورات التى مرت بها المسألة الليبية والتى انتهت بإعلان استقلال ليبيا مملكة متحدة تتكون من برقة وطرابلس وفزان ولكن الذى نحب أن نشير إليه هو أن هذا الاستقلال لم يغير من وضع قوات الاحتلال فبقيت القوات الإنجليزية تحتل مراكزها فى برقة وطرابلس كما بقيت القوات الفرنسية فى مراكزها بفزان .

والواضح من تطورات المسألة الليبية أن اقتسام ليبيا بين فرنسا وبريطانيا كان أمراً متفقاً عليه بين الدولتين ، وإن لم يقم دليل رسمى على ذلك فإن المعاهدة البريطانية الليبية لم تشمل منطقة فزان ولا تطبق بنودها عليها ، ومعنى هذا أن فزان تدخل تحت نفوذ فرنسا ، كما أن فرنسا قد اشترطت فى تقديم المعونة المالية إلى حكومة ليبيا ، ومقدارها ١٦٣ ألفاً من الجنيهات ، أن تصرف على فزان دون الولايتين الأخرتين .

وثمة مسلك آخر سلكته فرنسا فى فزان وهو ضم غات إلى الجزائر وغدامس إلى تونس ، وإن كانتا تبعدان عن سبها بما لا يقل عن ٨٠٠ كيلو متر ، إذ أن فرنسا قد سلمت بهما لليبيا فى اتفاقها مع ايطاليا عام ١٩١٩ .

والنفوذ الفرنسى قائم فى فزان ، وهناك مستشار فرنسى لكل ناظر من نظارها ، كما أن للولاية مستشاراً فرنسياً آخر يمثلها فى نظارة مالية الحكومة الاتحادية ووالى فزان من أسرة سيف النصر — ولاتها القدامى على زمن الأتراك — وقد ارتحلت إلى أفريقيا الفرنسية الاستوائية بعد الاحتلال الإيطالى لفزان حين كان السنوسى يعيش فى مصر .

وخلاصة القول أن اللعبة الاستعمارية الكبرى التى قامت بها فرنسا وبريطانيا فى بلاد الشام خلال الحرب الأولى وفى أعقابها وانتهت باقتسام المنطقة تحت انتدابهما قد تكررت فى صورة أخرى فى ليبيا ، وها هى بريطانيا قد سارت على أسلوبها التقليدى فأبرمت مع ليبيا ما أبرمته من المعاهدات الثنائية مع العراق والأردن ومصر بعد الحرب العالمية الأولى ولا أظن إلا أن فرنسا ستسير على خطتها التقليدية هى الأخرى فهى لاتبرم المعاهدات وإنما تفضل الحكم المباشر وأن تكون المستعمرات ولايات تابعة لفرنسا تحكمها كما تحكم مراكش وتونس وكما كانت تحكم سوريا ولبنان .

السياسة البريطانية الجديدة

فى عدن والمحميات

طفت المصادمات الأخيرة بين القوات البريطانية والقبائل الثائرة فى المكلا، بمشكلة المحميات مرة أخرى على سطح الخضم من أحداث العالم الجارية.

وليست ثورة قبائل المكلا أول ثورة تشهدها تلك الإمارات والمشيخات التى تمتد على طول ساحل الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب ففى البريمى التابعة للمملكة السعودية وفى عمان وفى حضرموت وفى غيرها من المحميات والمشيخات الأخرى يشتد التوتر وتقع حوادث الصدام بين الوطنيين والقوات الحكومية الإنجليزية بسبب السياسة الجديدة التى اختطتها بريطانيا فى تلك المناطق وأهدافها التى تنشدها من ورائها.

فقد أخذت بريطانيا تختط لها سياسة جديدة فى المحميات تتفق ومصالحها واتجاهها الاستعمارى الجديد وهو غير الاتجاه الذى فرضت لأجله حمايتها على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية فى مطالع القرن التاسع عشر، حين ظفرت من مأدبة الاستعمار الأسيوى بنصيب الأسد وأقامت امبراطوريتها فى الهند على أشلاء الاستعمارين الهولندى والفرنسى وأصبحت الهند درة التاج البريطانى، وعلى طريق الهند استولت على الموانىء وأقامت القواعد البحرية فى مستعمرة الكاب وفى جزر اسنشن وسنت هيلين وموريس وسيشل وسيلان وأقامت فيها ملاجىء لأسطولها وقواعد لحراسة طريقها البحرى.

---

(١) صرخة العرب عدد ٦ فى يونية سنة ١٩٥٥.

ولم تلق بالا إلى طريق البحر الأبيض المتوسط والطريق البرى عبر الشرق الأوسط حتى نزل نابليون بحملته إلى مصر . فاتجهت إلى تأمين الطريق البرى عبر الشرق الأدنى والبحرى عبر البحر المتوسط إلى الهند فأخذت تحيط بهما وتستولى على منافذهما وتنزل إلى المناطق الحساسة التى تهدد امبراطوريتها منهما ، فاستولت فى فترات متفاوتة على مالطة وقبرص وعدن وبريم وكوريا موريا وسقوطرة وأخيراً قناة السويس .

ودخلت عدن فى نطاق الاستراتيجية البريطانية منذ ذلك الوقت فقد أرادت بريطانيا أن تسد على نابليون منافذ الاقتراب الرئيسية إلى مستعمراتها العظيمة فى المناطق الموسمية عبر البحر الأحمر فنزلت إلى جزيرة بريم عام ١٧٩٩ ولكنها اضطرت بعد سنتين للجلاء عنها لنقص موارد المياه فيها ونزلت إلى عدن فى ضيافة صاحبها سلطان لحج فأحسن استقبال قواتها ونشأت على أثر ذلك علاقات بينه و بين بريطانيا انتهت بإبرام معاهدة تجارية بين الطرفين فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٠٢ . ثم أخذت بريطانيا تجد بحثاً وراء قاعدة لتموين أسطولها بالفحم فى تلك المنطقة وكانت السفن البخارية قد حلت محل السفن الشراعية فلم تجد أوفق من عدن واتخذت من اعتداء العرب على إحدى سفنها الغارقة فى ميناء عدن حجة لاحتلالها فى يناير سنة ١٨٣٩ بعد أن قصفتها بمدافع الأسطول .

واسترضت الحكومة الإنجليزية سلطان لحج بعد احتلال عدن بمنحة مالية تدفع إليه كل عام فعقد معها صلحاً اعترف لها فيه بامتلاكها عدن ، ولكنها تعرضت لكثير من هجمات العرب خلال السنوات الخمس التالية وتوترت العلاقات بينها و بين سلطان لحج ولم تستقر لها الأمور تماماً إلا فى عام ١٨٥٧ فجددت الاتفاق معه وعادت إلى دفع رواتب السلطان والأمراء واستولت منهم بعد ذلك على بلدة الشيخ عثمان سنة ١٨٨٢ .

وكانت عدن تتبع فى إدارتها حكومة الهنـد حتى عام ١٩٣٢ وإلى سنة ١٩٣٧ كانت تحت إشراف حاكم الهند مباشرة ثم أصبحت إحدى مستعمرات التاج منذ أول أبريل سنة ١٩٣٧ فعين لها حاكم مسئول أمام البرلمان ووزارة المستعمرات مباشرة يعاونه مجلس تنفيذى حل محله مجلس استشارى عام ١٩٤٧ .

وكما كانت عدن محطا لتموين الأسطول بالفحم فقد أصبحت محطا لتموين أفريقيا وأوروبا بالبترول ، فقد أقامت بريطانيا أخيراً معملا لتكرير البترول فى عدن بلغت تكاليفه ما يقرب من مائة مليون جنيه .

أما المحميات فهى السلطنات والمشيخات الواقعة على ساحل البحر إلى الشرق والغرب من عدن واطلق عليها اسم المحميات لارتباطها بمعاهدات حماية مع بريطانيا .

والمحميات قسمان ، المحميات الغربية وساحتها ٤٢٫٠٠٠ ميل مربع وتضم تسع عشرة سلطنة أهمها سلطنة لحج ، والمحميات الشرقية ومساحتها ٧٢٫٠٠٠ ميل مربع وتضم إحدى عشرة سطلنة أهمها حضرموت التى تضم سلطنة الشحر والمكلا ثم سلطنة مهرى فى قشن وسقوطرة وسلطنة آل عبد الواحد وبعض السلطنات والمشيخات الأخرى .

ويمثل الحكومة البريطانية فى المحميات قائمان بريطانيان أحدهما فى المحميات الشرقية والآخر فى المحميات الغربية ويخضعان مباشرة لحاكم عدن أما العلاقات الخارجية فإن بريطانيا تهيمن عليها هيمنة تامة وليس لأى سلطان من هؤلاء السلاطين أن يرتبط بدولة أخرى من غير مشورة بريطانيا أو دون وساطتها وهذا بموجب الاتفاقات والمعاهدات المبرمة بينها وبينهم .

ولا ريب أن اهتمام بريطانيا بعدن والمحميات اليوم يفوق اهتمامها بهما فيما مضى نظراً لعدة عوامل تسيطر على اتجاهات بريطانيا وسياستها واستراتيجيتها الجديدة .

وأول هذه العوامل وأهمها أن أعمال التنقيب والأبحاث الجيولوجية فى تلك المناطق الجنوبية قد دلت على وجود فيض من البترول يجعلها فى مقدمة البلاد التى تنتج البترول فى العالم ، بل أن البترول يكاد يطفح على سطح الأرض فى منطقة شبوه وقد قدرت بريطانيا أهمية هذا العامل الجديد فابتنت معملا لتكرير البترول فى عدن يعتبر من أكبر وأحدث معامل التكرير فى العالم وقد انتهت منه وبدأت بتشغيله صيف عام ١٩٥٤ ويقوم فى الوقت الحاضر بتكرير فائض البترول الإيرانى وبترول المملكة السعودية والكويت ، فإذا تمت أعمال التنقيب فى شبه الجزيرة فسيقتصر عمله على تكرير بترولها دون البترول الإيرانى .

وتقع أعمال البحث والتنقيب فى مناطق ما زال النزاع قائماً على تبعيتها بين بريطانيا واليمن ، وهذا هو ما دفع بريطانيا إلى محاولة التسلل عبر الحدود التى اتفق عليها فى معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤ وهى الحدود التى قبلها الطرفان وتم الاتفاق عليها على أساس الوضع القائم حينذاك ولم يكن هناك حد فاصل بين اليمن والمحميات فبقى وضعها معلقا إلى اتفاق بعقد فيما بعد . وتدفع أعمال التسلل التى تقوم بها بريطانيا إلى وقوع كثير من المصادمات بين قوات الحكومة الإنجليزية والقبائل العربية .

أما العامل الثانى الذى يحمل بريطانيا على الاهتمام بالمنطقة فهو تطور أهميتها الاستراتيجية بالنسبة إلى الاستراتيجية البريطانية من ناحية والاستراتيجية الغربية من ناحية أخرى فالمعروف أن مستعمرة عدن ومحمياتها

تكون قاعدة أمامية للدفاع عن الامبراطورية البريطانية فى أفريقيا وتستر قاعدة كينيا أكبر قواعد بريطانيا فى أفريقيا فقاعدة كينيا هى القاعدة الخلفية لقاعدة عدن الأمامية .

أما بالنسبة للاستراتيجية الغربية فإن عدن والمحميات تشرف تماماً على خطا الاقتراب البحرى عبر الخليج الفارسى إلى المحيط الهندى ووسط أفريقيا فإن أى هجوم يقع من الشمال سيكون الخليج الفارسى أحد أهدافه ومنه يمكن النزول إلى شواطىء شبه الجزيرة العربية وعزلها والالتفاف حولها واتخاذها قاعدة للهجوم على أفريقيا وتعتبر أفريقيا ميدان المعركة الثانى بعد الشرق الأوسط للقوات الزاحفة من الشمال .

وهذان العاملان الاقتصادى والاستراتيجى قد حملا بريطانيا على دعم نفوذها وسيطرتها على المنطقة فسعت إلى توحيد السلطة فى المحميات وذلك بإقامة حكومة اتحادية لكل من المحميات الشرقية والغربية ، ومعنى هذا تدعيم نفوذها فى المحميات بقسميها والسيطرة على سياستها الداخلية والخارجية معاً .

وتعارض اليمن فى قيام الحكومة الاتحادية فى المحميات وذلك لأن قيامها يضعف من حجة اليمن فى ولايتها المعنوية عليها بحكم التبعة الدينية وتغلغل المذهب الزيدى الذى يؤمه إمام اليمن فى المحميات هذا فضلا عن الخطر عليها من قيام دولة كبرى تجاورها تحت النفوذ البريطانى .

ويعارض السلاطين والأمراء بدورهم فى قيام الحكومة الاتحادية لأن قيامها من شأنه أن يضعف ولاية كل أمير وإشرافه على منطقة نفوذه .

ثم أن مشكلة تخطيط الحدود بين المحميات واليمن ما زالت قائمة لم تحل و إن كانت بريطانيا قد تسللت إلى منطقتى «شبوه» «ونجدمرقد» وهما من الأراضى اليمنية فى منطقة الحدود .

وقد أدت هذه المشكلة إلى قطع العلاقات الديبلوماسية بين الدولتين عام ١٩٤٩ ولم يسو النزاع بينهما إلا بعد مفاوضات استغرقت ستة أسابيع وانتهت بإصدار تصريح مشترك فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ باستئناف العلاقات الديبلوماسية وعرض الحلول المقترحة على الدولتين .

وتعمل الحكومة البريطانية على إثارة القبائل ضد اليمن وضد إمامها بالذات ، وتقابلها الحكومة اليمنية من ناحيتها بتأييد موقف الأمراء ومطالبهم من الحكومة الانجليزية .

والحوادث التى تقع والاضطرابات التى تقوم بين الإنجليز والقبائل هى وليدة هذا الاتجاه الجديد للسياسة البريطانية و إن لاحت أسبابها المباشرة غير ذلك .

البريمى

والنزاع السعودى البريطانى

لا يمر يوم دون أن يقع حادث مثير فى واحة البريمى ، يؤدى إلى توتر العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة البريطانية تلك العلاقات التى لم تشبها شائبة من ضغن مبعثه الأطماع ، أو عداوة يثيرها الاحتكاك المباشر منذ قام ملك السعوديين فى شبه الجزيرة . ففى الوقت الذى كانت قوات سعود الكبير تجتاح فيه شبه الجزيرة تنشر عقيدة الموحدين فى أرجائها وتمد سلطانها عليها فى ختام القرن التاسع عشر ، كان البريطانيون ينزلون إلى سواحل شبه الجزيرة ويبسطون حمايتهم عليها ، ويمدون نفوذهم على مشيخات الخليج الفارسى . ولم يقع حادث يثير مكامن الحذر بين الجانبين ما أثاره اقتراب قوات محمد على فى الجزيرة العربية من عدن وساحل الخليج الفارسى عند البريطانيين وكانت البريمى آخر مكان وصلت إليه القوات المصرية .

ولما قام الملك عبد العزيز آل سعود يستعيد ملك آبائه وأجداده ويجدد شباب الوهابية ، ويمد نفوذه وسلطانه على أنحاء الجزيرة العربية ، اتصلت العلاقات الودية بينه وبين البريطانيين فأبرم معهم معاهدة العقير عام ١٩١٥ تعهد لهم فيها بوقوفه على الحياد المشوب بالعطف فى الحرب الدائرة بينهم وبين الأتراك فى شبه الجزيرة . واعترفوا له فيها بأن نجد والحسا والقطيف

صوت الشرق عدد ١٤ فى نوفمبر ١٩٥٣ — بإضافات جديدة .

وجبيلا وتوابعها من بلاد عبد العزيز وآبائه من قبل ، كما اعترفوا به حا كماً عليها مستقلا ورئيساً مطلقاً على قبائلها و بأبنائه وخلفائه بالإرث من بعده . ثم عزز ارتباطه معهم عام ١٩١٧ .

وأتاح له توتر العلاقات بينهم و بين الملك الهاشمى حسين بن على فى الحجاز بعد أن تنكروا لوعودهم له بقيام دولة عربية متحدة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى أن يقوى علاقاته الودية بهم فقد وقفوا على الحياد فى الصراع الذى شجر بينه و بين الهاشميين مما مكنه من تحقيق أهدافه فى الحجاز فبسط سلطانه عليه وضمه إلى ملكه بينما حالوا بينه و بين اجتياح العراق وشرق الأردن ، حتى قامت الطائرات البريطانية بطاردة قواته المغيرة على العراق إلى نجد . ولم يتعنت معه البريطانيون أيضاً فى معاهدتى البحرا والحدا عام ١٩٢٥ الخاصتين بتسوية الحدود بين بلاده و بين العراق وشرق الأردن ، وتنظيم تحركات القبائل فيما بين بلاده و بينهما .

وما أن قر له ملك نجد والحجاز حتى أبرمت معه الحكومة البريطانية معاهدة جدة عام ١٩٢٧ . فلم تعد معاهدة العقير بذات معنى بعد أن تغير وضعه فى شبه الجزيرة العربية واعترفت به فيها ملكا مستقلا على الحجاز ونجد وملحقاتهما ولم يفتها أن تقر فيها علاقات المودة وحسن الجوار بينه و بين أمارات الخليج الفارسى والساحل العمانى التى تربطها بها معاهدات خاصة كما توسطت فى الصلح الذى تم بينه و بين إمام اليمن إثر الحرب التى دارت بينهما وعاونت على إبرام معاهدة الطائف عام ١٩٣٤ بين العاهلين السعودى واليمنى فأنهت حالة التوتر الذى ساد علاقات المملكتين المتجاورتين فى شبه الجزيرة .

ولم يكن حرص بريطانيا على إقرار علاقات المودة بينها و بين العاهل السعودى وأن يسود السلام شبه الجزيرة إلا حرصاً على محمياتها الساحلية

وقواعدها الاستراتيجية فى عدن و بريم ومسقط والكويت والبحرين من خطر صراع يشب فى شبه الجزيرة فيهدد أمن المحميات أو سلامة القواعد الاستراتيجية فى الخليج الفارسى وهو نفس العامل الذى يحدوها اليوم للاهتمام بواحة البريمى وتبعيتها ومستقبل السيادة عليها فضلا عن رائحة البترول التى تفوح من خلال تربتها .

و إذا لم تكن بريطانيا قد أثارت مسألة البريمى من قبل فلأنها كانت تطمئن إلى علاقات المودة التى تربطها بالمملكة العربية السعودية ولأنها لم تكن تخشى منافساً يزاحمها فى صداقتها للسعوديين وعلاقتها الودية بهم . ولم يكن هناك طمع أجنبى فى تلك البلاد الداخلية القفراء تخشى منه على نفوذها الممتد إلى أغلب سواحل شبه الجزيرة أما الآن فلم تعد بريطانيا صاحبة الحظوة الأولى لدى السعوديين بل احتلت مكانتها الولايات المتحدة كما لم تعد المملكة العربية السعودية تنتظر عونا من البريطانيين أو ترجو مجاملتهم فقد أصبحت تتمتع بمكانة مرموقة فى البلاد العربية ، وشد قيام جامعة الدول العربية من أزرها فأصبحت حليفها الطبيعة الذى تتجه إليه بدلا من أن تتجه إلى دولة أجنبية بعيدة كبريطانيا لا تستطيع المملكة العربية السعودية أن تنكر مراميها الحقيقية من مجاملتها أو من تحالفها معها . ولم يعد أمام بريطانيا إلا أن تؤمن نفوذها فى المحميات وسلامة قواعدها الاستراتيجية فى الخليج والسواحل الجنوبية عن طريق آخر غير الاطمئنان إلى محالفة المملكة العربية السعودية التى قد تندفع وراء عاطفة العروبة إلى مد يد العون إلى المحميات ومشيخات الخليج الفارسى إذا ما عن لها أن تنفصل عن بريطانيا وتتطلع إلى حماية جامعة الدول العربية . ولا سيما بعد أن أخذ دبيب اليقظة القومية والوعى الوطنى يتسرب اليها .

ومن قواعد السياسة البريطانية أن ترسم أهدافها لآمادطويلة فإذا أصبحت تخشى خطر الامتداد السعودى أو العربى أو أى امتداد آخر يجىء عن هذا الطريق إلى معاقل نفوذها فى المحميات أو سواحل الخليج الفارسى فإن أول ما يعنيها هو أن تؤمن هذه المعاقل من تلك الناحية. والسيطرة على واحة البريمى ذات الموقع الاستراتيجى المطل على الطرق البرية إلى عمان ومسقط والمحميات يتيح لها بعض الاطمئنان إلى سلامة تلك المعاقل وتأمينها. و يفسر هذا اهتمامها بواحة البريمى وحمل سلطان مسقط وشيخ أبو ظبى على المطالبة بها .

وتقع واحة البريمى على مبعدة تسعين ميلا من الجنوب الشرقى لمشيخة أبو ظبى إحدى مشيخات الساحل العمانى [1] السبع ، وتشرف بموقعها هذا على الطرق والممرات التى تعبر شرق الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج الفارسى فتتحكم فى طرق الاقتراب الرئيسية إلى عمان ومسقط والساحل العمانى وشبه جزيرة قطر من ناحية وتشرف على مداخل نجد من ناحية أخرى ، وكانت على الدوام مركز الحشد والتجمع لغزو السواحل الجنوبية للخليج الفارسى ، ففى أواخر القرن التاسع إتخذها الخليفة المعتضد بالله العباسى قاعدة لغزو عمان ، كما اتخاذها الفرس من بعده فى أوائل القرن الثامن عشر لنفس الغرض، وحين بدأت دعوة الموحدين [2] تعم أرجاء الجزيرة العربية كانت البريمى قاعدة التوسع ونشر الدعوة فى جنوب شرق الجزيرة العربية .

وتضم واحة البريمى ثمان قرى أكبرها قرية البريمى التى تسمى الواحة

---

(١) يسمى أيضاً ساحل الصلح « Trucial Oman » .

(٢) يفضل السعوديون هذا المسمى على الوهابية والوهابيين .

باسمها ، وتتجمع هذه القرى على شكل مثلث قاعدته ستة كيلو مترات وطوله تسعة كيلو مترات ، تتوسطها قريتا البريمى وحماسا فى حين تقع قرية صعرا قريباً منهما إلى الشرق ، وتقع قرية هيلى فى أقصى الشمال من الواحة أما القيمى والقطارة فتقعان إلى الشمال الغربى من البريمى وحماسا وتأتى قرية العين إلى إلى الجنوب من البريمى بحوالى كيلو مترين و إلى الغرب من العين تقع قرية المعترض ، وتدعى مسقط ملكية قريتين من هاته القرى بينما تدعى أبو ظبى ملكية القرى الباقية .

وتعتمد الحياة أصلا فى واحة البريمى على المرعى وأهم حاصلاتها التمر و يقال أن بساتينها تضم ستين ألف نخلة .

وليس هناك تعداد رسمى لسكان الواحة ولكن هناك من يقدرهم بحوالى عشرة آلاف نسمة والقبيلة الغالبة هى قبيلة « نعيم » ببطونها وأفخادها وتدين بالولاء للعاهل السعودى .

وليست البريمى محور النزاع القائم بين المملكه السعودية والمملكة المتحدة فالنزاع أصلا يدور حول مسألتين أشارت إليهما إتفاقية التحكيم فى مادتها الثانية هما :

١ — موقع الحدود المشتركة بين البلاد السعودية وأبوظبى فيما بين الخط الذى طالبت به الحكومة السعودية فى سنة ١٩٤٩ والخط الذى طالبت به مشيخة أبو ظبى فى مؤتمر الدمام سنة ١٩٥٢ .

٢ — السيادة على المنطقة الداخلية فى دائرة مركزها قرية البريمى و يمر

محيطها عبر نقطة تلاقي خط العرض ٢٤ درجة و٢٥ دقيقة شمالا مع خط الطول ٥٥ درجة و٣٦ دقيقة شرقا ، وتقدر مساحة المنطقة التى يدور حولها النزاع بحوالى ٧٣٫٥٠٠ كيلو متر مربع .

والغريب أن الحكومتين المتنازعتين لم توليا مسألة تخطيط الحدود فى تلك المنطقة أية عناية من قبل ، حتى نزلت شركات البترول تنقب عن الذهب الأسود فى أرجائها فبدأ النزاع حولها مشوبا بالحرص على ملكيتها والاستئثار بها .

فالنزاع على منطقة البريمى ليس إلا لونا من ألوان الصراع الدائر فى الشرق الأوسط حول البترول ومناطق إنتاجه إذ دلت البحوث الأولية على وفرة البترول فى منطقة البريمى هذا فضلا عن أهميتها الإستراتيجية التى بدأت تعنى بريطانيا أكثر مما عنتها من قبل ؛ فبريطانيا إذ تعمل على تقوية نفوذها ودعمه فى المحميات ومشيخات الخليج الفارسى فلأن بترول هذه المناطق هو الدعامة الكبرى للاقتصاد البريطانى وتموين آلة الحرب والصناعة البريطانية ولأن قواعدها العسكرية فى هذه المناطق هى مراكز حراسة هذا البترول ولأن هذه المنطقة تمثل فى مجموعها خط الدفاع الأمامى لإفريقيا الشرقية ، ولهذا تعمل بريطانيا جاهدة لإقامة إتحاد فيدرالى فى المحميات من ناحية وتقوية سلطنة مسقط وعمان من ناحية أخرى .

وقد بدأ الصراع حول البريمى عندما تسلل إليها أحد الضباط الانجليز من مسقط فاعتقلته القوات السعودية ، ونقل إلى الرياض حيث بقى معتقلا أكثر من أسبوعين وبدأ الاحتكاك بين الطرفين فحشدت بريطانيا بعض

قواتها وحشد السعوديون بعض قواتهم بدورهم واحتل كل من الجانبين بعض المراكز في الواحة أو حواليها وفرضت القوات البريطانية حصارها عليها ولم يفض النزاع إلا بعد أن تدخل السفير الأمريكي في المملكة العربية السعودية وحمل الطرفين على توقيع «اتفاقية التوقف» في أكتوبر سنة ١٩٥٢ التي نصت على أن يبقى كل من الطرفين في البريمي محتفظا بمراكزه التي يحتلها . وأن توقف أعمال العدوان والأعمال الاستفزازية حتى يتم الاتفاق بينهما ووافق سلطان مسقط على ما جاء بالاتفاقية وأصبح ملتزماً بها .

إلا أن النزاع ما لبث أن نشب بين الجانبين فقد اتهمت بريطانيا «تركى بن عطيشان» واليها من قبل الملك عبد العزيز بالقيام بدعاية تخالف نصوص الاتفاق وكان قد نص على أن « يوقف تركى بن عطيشان جميع أعمال الدعاية (منها رفع العلم) وإصدار وثائق الجنسية وأن تعود الحياة إلى مجراها الطبيعى أى الذى كان موجوداً قبل وصول تركى بن عطيشان إلى الواحة (عدم إنفاق الأموال الطائلة والضيافات الباذخة المخالفة للعادة) .

وقد طالب الملك عبد العزيز في أكتوبر سنة ١٩٥٢ بإجراء استفتاء في الواحة إلا أن بريطانيا رفضته بحجة أن الدعاية التي يقوم بها السعوديون والرشاوى الممثلة في الذبائح والضيافات تحول دون معرفة حقيقة رغبات الأهلين . وطالبت بوقفها أولا قبل التحدث في هذا الموضوع . ولا تستبيح التقاليد العربية مثل هذا الطلب فليس فيما ترى بريطانيا من واجبات الكرم والضيافة ظلا للرشوة أو الدعاوة بغية منفعة أو جلب تأييد وفي الوقت الذى رفضت فيه

الحكومة البريطانية «٥ يناير ١٩٥٣» قبول مبدأ الاستفتاء ، تقدمت باقتراح إجراء تحكيم دولى للفصل فى النزاع .

وقبلت المملكة السعودية مبدأ التحكيم طبقاً لاتفاقية أبرمت بين الطرفين فى ٣٠ يوليه سنة ١٩٥٤ ، ومن ثم شكلت هيئة التحكيم برئاسة الدكتور شارل دى فيشر وعضوية الدكتور دى هيجو والدكتور محمود حسن والشيخ يوسف يسن والسير ريدر بللارد واختارت المملكة السعودية الأستاذ عبد الرحمن عزام وكيلا عنها أمام هيئة التحكيم .

وبدأت هيئة التحكيم جلساتها الأولى فى نيس فى ٢٢ يناير سنة ١٩٥٥ ثم استأنفت جلساتها فى جنيف فى أوائل شهر سبتمبر من نفس العام وشرع الطرفان بعرض دعواهما أمامها، وقبل أن تصدر الهيئة حكمها أوعزت الحكومة البريطانية إلى مندوبها سير ريدر بللارد بالانسحاب ، فشلت أعمال المحكمة ولم تستطع النطق بالحكم .

ثم فوجئت الحكومة السعودية ليلة الخميس الموافق ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٥٥ باحتلال القوات البريطانية لمنطقة البريمى باسم شيخ أبو ظبى وسلطان مسقط وبحظر المرور على السلطات السعودية فيها إن براً أو جواً .

وسارعت الحكومة السعودية بالاحتجاج على احتلال البريمى وطلبت سحب القوات البريطانية منها ، واعتزمت عرض النزاع على مجلس الأمن ما لم تستجب الحكومة البريطانية إلى روح العدل والإنصاف وتصون اتفاقية التحكيم نصاً وروحاً . واستقر الرأى أخيراً على عرض النزاع على هيئة جديدة للتحكيم .

ولا تعترف الحكومة السعودية بخلاف بينها و بين شيخ أبو ظبي أو سلطان مسقط و إنما الخلاف هو ما جد بينها و بين الحكومة البريطانية التي خلقت المشكلة وفرضت إرادتها عليها .

ولم تستعص مشكلة على الحل بين السعوديين والبريطانيين اللذين ربطتهما علاقات الود القديمة كما تستعصي مشكلة البريمي ، ولكن ما دامت رائحة البترول تعبق في أجواء البريمي فسيبقى النزاع قائماً ما بقي الصراع حول البترول إلا إذا نزلت الحكومة البريطانية على دواعي الإنصاف والعدل ورأت في صداقة المملكة السعودية خير بديل عن الطمع في البترول .

الباب الثامن

فى فلسطين

١ ــ نهر الأردن ومشروعات تقسيم المياه

٢ ــ ماذا تريد إسرائيل

٣ ــ اقتصاد منهار

نهر الأردن

ومشروعات تقسيم المياه

فى واد ضيق ينخفض انخفاضاً شديداً عن سطح البحر يشق نهر الأردن أو نهر الشريعة طريقه من الشمال حيث تتجمع فى مجراه مياه نهرى الحسبانى وبانياس نحو الجنوب فيجتاز بحيرة الحولة ليشق مجراه من جديد خلال بحيرة طبرية الملحة ويخرج منها ليلقى رافدة الكبيره نهر اليرموك الذى يشق مجراه فى الأراضى السورية ويستمر فى سيره جنوبا ليصب فى البحر الميت أشد بحار العالم ملوحة وأغناها بالأملاح المعدنية .

ووادى الأردن من أشد بقاع العالم حرارة تكمن فيه بعوضة الملاريا وتحيط به سلسلة جبال يهوذا من الغرب وجبال معاب من الشرق وتنحدر سفوحهما نحوه انحداراً شديداً فكان انحدارهما نحو الوادى وشدة حرارته وجهامته سببا فى تجنب اجتيازه فأصبح مانعاً من اختلاط السكان كما أن توطن بعوضة الملاريا فى غيرانه جعل عبوره مخيفاً أشارت إليه التوراة فى سفر الملوك فيما نزل بجيش الملك سنحاريب بعد عبوره وادى الأردن للاستيلاء على أورشليم بقولها : « إذا ملاك الرب قد خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفا ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميته » .

مجلة قوات الأمن والحراسة العدد الثانى فى فبراير سنة ١٩٥٥ .

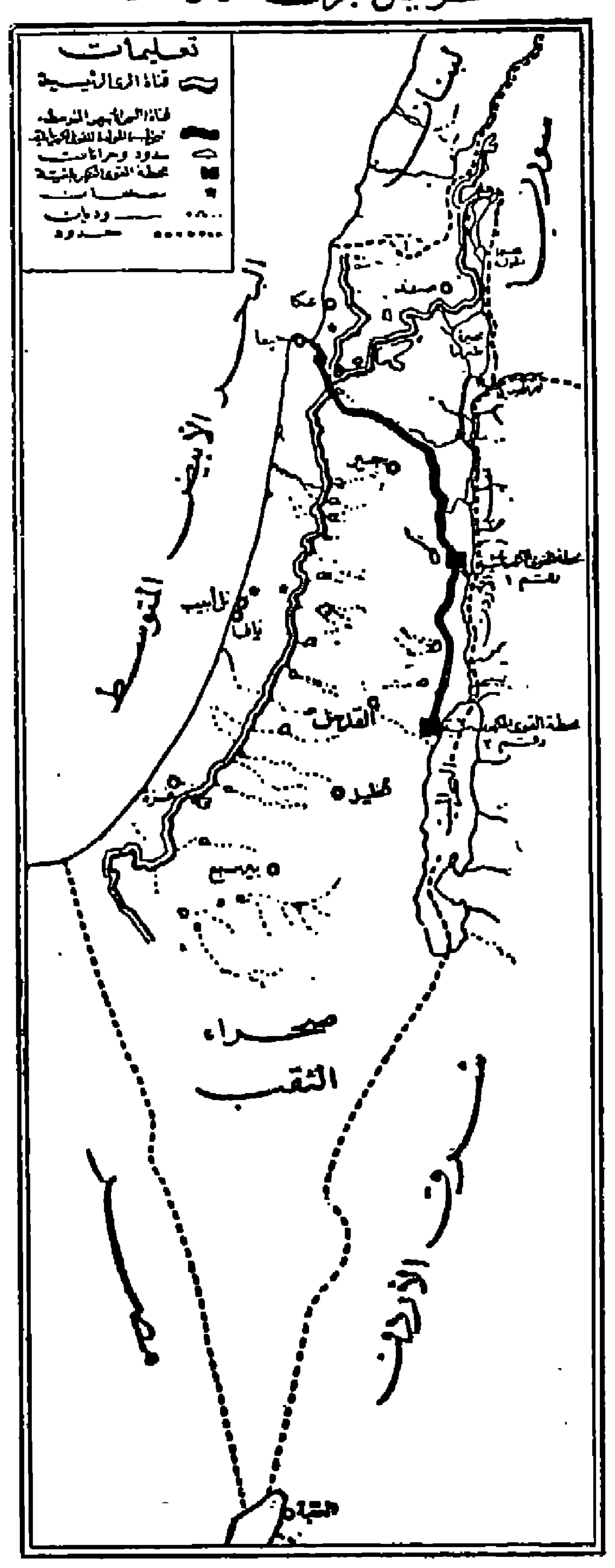
و بعوضة الملاريا هى التى أنزلت — كما عرف بعد — الهزيمة بجيش نابليون الذى كان يحارب فى تلك البقاع وارتد أمام عكا وهى التى أنزلت الموت بجيش اللنبى الذى كان يعبر الوادى لمهاجمة البلاد الواقعة شرق نهر الأردن بعد استيلائه على بيت المقدس إذ ضغط الأتراك عليه فى هجوم مضاد وتقهقر من سفح جبال معاب إلى بطن الوادى .

ولنهر الأردن سمته التاريخية البارزة . شهد مولد المسيحية على جنباته واستقبلت ضفافه إشراقة الإسلام وطوفت به آيات الذكر الحكيم فكان له من وحى الديانات ما توحيه إلى المشاعر رؤى بيت المقدس وكنيسة القيامه والمسجد الأقصى وذكريات الناصرة بلدة الناصرى عليه السلام .

هذه المشاعر التاريخية الحافلة بالذكريات العزيزة على قلب كل عربى والقداسة التى تشع فى صدور المسلمين والمسيحيين على السواء توشك أن تندثر تحت إلحاح مقيت من طمع الصهيونية وغدرها وهى تعمل على أن تحول مجراه التاريخى الذى خطته له الطبيعة إلى مجرى جديد يشق الأرض المغتصبة من فلسطين ليروى صحراء النقب و يشيع الحياة فى الأرض البوار لتستوعب ملايين جددا من أفاق اليهود ومغامريهم فى العالم .

و بتحويل مجرى الأردن تحرم أراضى المملكة الأردنية الهاشمية سواء فى شرق النهر أو فى غربه من مورد الماء الوحيد لديها.والأردن التى تشكو كثرة صحاريها ليست فى حاجة إلى المزيد من الصحارى .

وليس مشروع تحويل مجرى الأردن حديث العهد ولا هو وليد الحاجة الجديدة للدولة الغاصبة بل يرجع إلى بداية تفكير الصهيونية فى إقامة دولة



مشروع هيز

يهودية فى فلسطين ، وفى كتاب هرزل « الدولة اليهودية » صورة كاملة لهذا المشروع وهرزل هو رائد الصهيونية العالمية ومنظم دعوتها وواضع دستورها .

ولم تغب وصية هرزل عن أذهان الصهيونيين فقد ساروا تماما على هدى الأسس التى رسمها فى كتابه والتى تداولتها المؤتمرات الصهيونية فى حياته وبعد مماته فما أن ظفر اليهود بوعد بلفور والوطن القومى حتى انثالت جموعهم الغفيرة إلى فلسطين تنتهب أراضيها وتسطو على مقدساتها وحرماتها ومأثوراتها .

وما أن قامت الوكالة اليهودية تحت سمع الإنتداب البريطانى و بصره ترعى مصالحهم وتمكن لهم فى الأرض المسلوبة حتى بدأوا يستوحون وصايا هرزل ذلك المشروع القديم فنرى عام ١٩٣٩ قبيل الحرب العالمية الثانية مباشرة خبيراً أمريكيا يمسح تلك المنطقة و يدرس معالمها و يصورها من الجو ليخرج من ذلك بتقرير واف عن ذلك المشروع والخطوات التى تلزم لتنفيذه والوسائل العملية لتحقيقه وما يتبع ذلك من مشروعات إضافية لا يغنى المجرى الجديد عنها .

وتجدد بحث المشروع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة ففى عام ١٩٤٥ وفدت بعثه أمريكية من الخبراء والمهندسين يرأسها مهندس أمريكى يسمى « هيز » وطافت بأرض فلسطين من الشمال إلى الجنوب وقامت بدراسة مشروع تحويل مجرى نهر الأردن دراسة تفصيلية وبحثت مراحل تنفيذه ونفقاته وألحقت بتقريرها خمس عشرة خريطة تبين التصميات ومراحل التنفيذ التى يمر بها و بقى هذا التقرير مطويا لا تتداوله إلا أيد قليلة من أصحاب المشروع والمهتمين به .

ومن هذه الخرائط تلك الخريطة الرئيسية للمشروع والمنشورة مع هذا المقال .

وتناول تقرير هذه اللجنة الصهيونية إقامة عدد من السدود والأحواض لتجميع وخزن كل مياه الينابيع والسيول فى فلسطين للانتفاع بكل قطرة منها فى رى الأراضى واستنباتها .

و يبدأ تحويل النهر فى مشروع هيز من نقطة تقع شمال بحيرة الحولة مباشرة حيث تشق قناة تنحدر فيها المياه جنوبا بحذاء المجرى الأصلى للنهر حتى

شمال بحيرة طبرية ثم تتجه إلى الجنوب الغربى حتى تنتهى إلى صحراء النقب .

والنقب هى الأمل المرجى للدولة اليهودية فان النقب وتقدر مساحتها بثلثى مساحة فلسطين المحتلة ستجعل فى طاقة المحتلين أن يهجروا اليها بضعة ملايين جدد من يهود العالم ليصبح تعداد المحتلين خمسة ملايين فتتوفر لهم القوى البشرية المناسبة لبناء دولة ولا يمكن للأرض المحتلة أن تستوعب هذا العدد إلا فى أراضى النقب وستتيح المياه المختزنة فى الأحواض والخزانات من مياه الامطار والسيول وما تحمله القناة الجديد إلى النقب من موفور المياه إنشاء المستعمرات الزراعية فى تلك المساحات العريضة من الأراضى التى ظلت أمادا طويلة مجدبة قفراء لتصبح جنة إسرائيل فى موطن الذكريات والأحلام الكاذبة .

و يتبع مشروع تحويل مجرى الأردن مشروع آخر يكمله و يغنى عن نواحى النقص فيه فمن المعروف أن نهر الأردن ينحدر فى سيره نحو الجنوب إنحداراً شديداً مكن اليهود من إقامة سلسلة من المحطات لتوليد الكهرباء تقوم بدورها الخطير فى تصنيع دولة الاحتلال وتقويم إقتصادياتها الصناعية. وتحويل مجرى الأردن سيحرم هذه المحطات الكهربائية من قوة المياه الدافعة المولدة للكهرباء فكان لا بد وأن يفكر الصهيونيون فى تكملة هذا النقص وهداهم تفكيرهم الى شق قناة ملحة تبدأ شمال حيفا بقليل وتنحدر جنوبا الى البحر الميت لتتدفق مياه البحر الأبيض المتوسط خلالها منحدرة مع الأرض بقوة دافقة تستغل لإقامة محطات توليد الكهرباء فان هذه المياه المتدفقة إلى منحدر ينخفض عن سطح البحر ١٣٠٠ قد تتيح لهم إستنباط طاقة كهربائية هائلة

مقدارها ٧٠٠ مليون كيلو واط فى العام ولا يخفى ما يكون لهذه القوى الكهربائية الهائلة من أثر فى تصنيع البلاد وفى مستقبلها عامة .

ويصر المحتلون على تنفيذ هذا المشروع الخطير ويجندون جميع قواهم فى الدعاية والنفوذ الذى يتمتعون به فى العالم لنصرته وتأييده والتغلب على معارضة العرب له .

وقد جعل المحتلون شعارهم للعمل « السيف والمحراث » فالسيف لحماية احتلالهم والمحراث كناية عن التعمير واستصلاح الأرض واستغلال كل شبر منها للزراعة والإنبات . والجندى اليهودى لا ينقطع لمهنة الحرب بل يمارس فنونها وهو يقوم بزراعة الأرض واستغلالها فى المستعمرات شأنه فى ذلك شأن الجندى فى الاتحاد السوفيتى .

وقد جعل اليهود من كل مستعمرة زراعية ثكنة عسكرية يحمونها ويستنبتون أرضها والأرض هى الملاذ الذى يأوى إليه الجندى بعد انتهاء مدة خدمته العسكرية .

ويعمل اليهود على استصلاح كل شبر من الأرض البور واتجهوا إلى النقب يجدون فيه متنفسا للضيق الذى يعانونه فوضعوا مشروعاتهم الكبرى لاستصلاح أرضه واستنباتها وإقامة المستعمرات الزراعية فوق أديمها لتكون مأوى للمهاجرين الجدد ولتكون حصوناً تحمى احتلالهم .

وحدد اليهود عام ١٩٦٠ لإتمام مشروع هيز لتحويل مياه الأردن إلى النقب وإنشاء القناة الملحة لتوليد الكهرباء اللازمة للتصنيع ولعملية دفع المياه إلى المجرى الجديد .

وأدرك العرب هذا الخطر المحيق فثارت ثائرتهم وهددوا باتخاذ ما يلزم لصيانة حقوقهم وتقدمت أمريكا التى تقوم بدور « القرداتى » بمشروع جديد ظنت أنه يرضى العرب وإسرائيل لتقسيم مياه الأردن بينهما حتى لا يجر تنفيذ مشروع هيز إلى حرب تبذل أمريكا جهدها لتتحاشاها إقراراً للسلام والاستقرار فى ربوع الشرق الأوسط وهو المنطقة التى تعج بالمشاكل وتكفى واحدة منها لاشعال نار الحرب العالمية الثالثة والقضاء على مشروعات أمريكا الدفاعية والاقتصادية فيها .

وتعلم أمريكا حق العلم أن الاعتراف المبكر للاتحاد السوفيتى بدولة إسرائيل كان لخلق مشكلة جديدة فى الشرق الأوسط تثير الاضطراب فى ربوعه وتوقع بين العرب والأمريكيين وتجعل منها مثاراً لنزاع دائم فى المنطقة وكراهية متأصلة فى نفوس العرب لمن عاونوا على قيام إسرائيل تحول دون تلبية العرب لمرامى السياسة الأمريكية وقد صدق حدس السوفيت فى ذلك فبقيت إسرائيل عقبة كأداء تحول ما بين العرب والسير فى ركاب السياسية الأمريكية قبل أن تحل مشكلة فلسطين حلا يرضى العرب .

ويرى العرب أن المشروع الأمريكى الذى حمله إليهم « اريك جونستون » مبعوث الرئيس الأمريكى الخاص ، ليس أفضل من مشروع هيز فإنه يرمى فى النهاية إلى فائدة اليهود دون العرب وإن حمل فى ظاهره رأى القاضى الذى يحاول أن يكون عادلا .

فمشروع هيز يقوم على احتجاز مياه الأردن جنوب بحيرة الحولة وتحويلها إلى القناة الجديدة وبذلك يستأثر اليهود بكل مياه الروافد الشمالية التى

تتجمع فى نهر الأردن وتجرى فى سوريا كنهر بانياس أو تجرى فى لبنان كنهر الحسبانى .

وتحويل مياه هذه الروافد إلى القناة الجديدة يزيد من ملوحة المياه فى بحيرة طبرية ويؤثر على خصوبة الأرض التى تروى منها كما يشتد جفاف البحر الميت ويهبط مستوى المياه فيه ويؤثر هذا على استثمار موارده الكيماوية والمعدنية .

ولم يتعرض مشروع هيز لمياه اليرموك فإن شدة فيضانه لا تمكن العرب من احتجاز مياهه فيما لو نفذ اليهود مشروعهم . ويصب اليرموك فى نهر الأردن جنوب بحيرة طبرية ويقع مصبه فى أرض فلسطين المحتلة ويمكّن هذا لليهود أن يقيموا فيما بعد سداً لاحتجاز مياهه وتصريفها فى الأراضى التى يحتلونها .

ويرمى مشروع جونستون إلى تخزين مياه الأردن فى بحيرة طبرية لتوزيعها فيما بين الأردن وإسرائيل بمعرفة لجنة دولية .

وفيما يتعلق بمياه اليرموك فقد أتفق مشروع جونستون مع المشروع الذى وضعته هيئة الإغاثة الدولية وعرف « بمشروع كارفر » فى إقتسام مياه النهر بين إسرائيل والأردن بإقامة خزان للمياه ذى طاقة محدودة تحجز بعض مياهه لرى أراضى الغور الشرقى فى الأردن بشق ترعة تتفرع منه إلى تلك الأراضى بينما تنساب مياهه الباقية لتصب فى الأردن وتتحول إلى بحيرة طبرية لينتفع بها اليهود فى حين أن نهر اليرموك يجرى فى أرض عربية وإن كان يصب فى أرض يحتلها اليهود .

ومن بحيرة طبرية حيث تتجمع مياه النهر وروافده بما فيها مياه اليرموك تخرج ترعتان تتجه إحداهما إلى الأردن والأخرى إلى الأراضى التى تحتلها إسرائيل وتقام عليها السدود والقناطر لتنظيم عمليات الرى وتقسيم المياه .

وتناول مشروع جونستون أيضاً تجفيف أراضى الحولة ومستنقعاتها و إستصلاحها للزراعة والمعروف أن مستنقعات الحولة تقع فى منطقة منزوعة السلاح و إن كانت تدخل فى حدود الأراضى المحتلة . ويتفق رأى جونستون هذا مع المشروع اليهودى لتجفيف المستنقعات وهو المشروع الذى بدأه اليهود وقاومته سوريا مقاومة عنيفة .

ومن أغرب ما جاء به مشروع جونستون تحويل مياه الحسبانى الذى يجرى فى أراضى لبنان إلى ترعة تحمل هذه المياه إلى أراضى اليهود الشمالية لتكفل حاجتها من مياه الرى فى مواسم الجفاف . وتعتمد هذه الأراضى على مياه الامطار والينابيع التى لا تفيض إلا فى موسم الأمطار فى فصل الشتاء ، بينما لا يعود على لبنان شىء من مياه النهر الذى يجرى فى أراضيها .

هذه هى الخطوط الرئيسية لمشروع جونستون ولا يختلف عن مشروع هيز إلا فى أنه وضع للمشكلة أساساً دوليا وانحرف بمشروع هيز من مشروع يمكن أن يقاومه العرب بحجز مياه الروافد التى تجرى فى أراضيهم عن نهر الأردن إلى مشروع حسبوا أن العرب يقبلونه و يضمن لليهود جانباً كبيراً من مياه هذه الروافد التى تجرى فى أرض عربية مما يساعد على استقرار اليهود ونجاح مشروعاتهم لاستصلاح الأراضى البور فى النقب والأراضى التى تنقصها

مياه الرى فى المناطق الشمالية التى تتعرض للجفاف فى فصل الصيف حيث تنقطع الامطار وتفيض مياه الينابيع .

ومما هو جدير بالذكر أن مشروع جونستون لم يتعرض لنهر الزرقاء الذى يجرى فى أراضى المملكة الأردنية الهاشمية ويصب فى الأردن شمال نهر فرا ، ولو كان يتحرى العدالة ومصلحة العرب لاقترح بناء بعض السدود والقناطر لتنظيم عملية الرى على ضفافه وفى واديه .

ومشروع جونستون لا يرمى فى غايته لغير مصلحة اليهود وتأمين مياه النهر لصالحهم وضمان رى أكبر جزء من الأراضى اليهودية التى تنقصها المياه الضرورية لزراعتها واستنباتها .

ولم يرض العرب بمشروع جونستون وقالوا أنه لا يرعى الحدود السياسية للدول التى تشترك فى مياه النهر كما أن فائدة اليهود العاجلة محققة فيه ، فانه يبدأ بتنفيذ مشروعات السدود والقناطر ومحطات توليد الكهرباء فى القطاع اليهودى قبل أن يبدأ بها فى القطاع العربى .

ويقول الخبراء العرب الذين قاموا بدراسة المشروع أن كميات المياه التى تتدفق من منابع النهر فى البلاد العربية تقدر بحوالى ١٠٥٧ مليون مترمكعب لا ينال العرب منها فى مشروع جونستون غير ٨١٩ مليون متر مكعب .

ومن ذلك أيضا أن ينشأ خزان فى لبنان لتخزين مياه الحسبانى لحساب اليهود بينما يهمل رى ٣٥٫٠٠٠ دونم فى الأراضى اللبنانية التى تقع فى منطقة الخزان المقترح .

وقد بحثت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى إجتماعها الذى عقدته

فى يناير ١٩٥٤ مشروع جونستون الأمريكى ورأت أن تقوم لجنة من الفنيين بدراسته واقتراح ما تراه بشأنه بعد معاينة النهر على الطبيعة .

و إنتهت لجنة خبراء العرب إلى تقديم مشروع آخر قال عنه جونستون أنه أساس صالح لدراسة المشكلة والوصول الى حل يرضاه الطرفان .

ويقوم المشروع العربى على تخزين مياه نهر اليرموك فى اليرموك نفسه بدلا من تخزينها فى بحيرة طبرية . واهتم بتقسيم المياه بين الدول التى تشترك فى مياهه تقسيما عادلا وجعل إقامة محطة توليد الكهرباء بجوار الخزان العام على نهر الحسبانى فى لبنان بدلا من إقامتها فى إسرائيل .

ولم يقبل اليهود مشروع جونستون وان صرح شاريت وزير خارجيتهم بأنه لا يحب أن يغضب حليفته أمريكا ومن الأولى ألا يرضوا بالمشروع العربى فرفضوه بدوره وعاد جونستون إلى بلاده وهو لا يجد حلا للمشكلة .

وما زالت الخلافات قائمة حول هذه المشروعات و إن كنا لا نستبعد أن أن تقوم إسرائيل بتنفيذ ما تراه على عادتها من وضع المسائل فى صورة الأمر الواقع بينما يضع العرب مشروعاتهم على الورق ولا يفكرون فى الطريقةالعملية لوقف هذه المشروعات و إنقاذ النهر المقدس من عبث الصهيونية المقيت .

ماذا تريد إسرائيل ؟

تقوم إسرائيل فى هذه الأيام بسلسلة من الاعتداءات المنظمة على حدود الدول العربية ، وتشن نوعا من الدعاية الماسخة فى صحف العالم وفى الاذاعات التى تخضع لنفوذ الصهيونية مستغلة حادث قبية المفتعل[1] لتبعد شبهة العدوان عنها وتظهر العرب بمظهر المعتدين الأشرار ولتجعل من حادث قبية وسيلة لتغطية اعتداءاتها التى قامت بها فيما بعد على الحدود العربية حتى لقد أدرك المنصفون أن حادث قبية ذاته من تدبير إسرائيل لتبرر ما قامت به من عدوان على العرب .

وفى الوقت الذى قامت فيه إسرائيل باعتداءاتها الماكرة المبيتة ألقى مستر بايرود وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط خطابا تناول فيه من بين ما تناول من شئون محلية وعالمية مختلفة ، وضع إسرائيل فقال أنه حقيقة واقعة يجب أن تفهمها إسرائيل نفسها وتعمل فى سبيل وجودها واستقرارها على هداها وواقعها ، ثم حمل على موقف العرب واتهمه بالميوعة فلا هو موقف سلام ولا هو موقف حرب وقال أن هذا الموقف سيكون مدعاة لاستنكار الرأى العام العالمى ، ثم طلب إلى العرب أن يعتبروا إسرائيل حقيقة واقعة ، عليهم أن يتعاملوا معها على هذا الأساس ولا يستنكر أن يتنازل العرب عما أنصفتهم به الأمم المتحدة من تقرير عودة اللاجئين إلى ديارهم مكتفيا بتعويضهم ليعقب بعد هذا الصلح بين العرب وإسرائيل !.

(١) فى ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ قام اليهود بعدوان غادر على قرية قبية العربية مدعين أنه رد لعدوان وقع عليهم .

وفى هذا القول يضع مستر بايرود الخطوط الرئيسية للتوفيق بين العرب وإسرائيل فلا يذكر ماقررته الأمم المتحدة من حق اللاجئين فى العودة إلى أراضيهم و بلادهم ولا يذكر مشكلة مياه الأردن ولا تدويل القدس بل يلقى بكل هذا جانبا ليحمل على العرب ويدعوهم إلى نبذ موقفهم الذى ليس بموقف حرب وليس بموقف سلام والاعتراف باسرائيل كحقيقة واقعة ومعنى هذا إبرام الصلح معها .

وإذ يقول مستربايرود[1] هذا القول فانه . وهو رجل مسئول ، يعبر عن اتجاهات السياسية الأمريكية الرسمية وهو إذ يدلى بهذا الرأى الشبيه بالرسمى يخرج على حدود اللياقة للرجل الديبلوماسى فى موقف ترى فيه الدول العربية كما ترى إسرائيل فى الولات المتحدة ، الدولة التى تقتضيها مكانتها فى السياسة الدولية أن تقف موقف الحياد بين الطرفين ، وأن تلتزم حدود الانصاف للعدالة وإلا فإنها بموقفها هذا لاتخدع العرب بل تخدع نفسها ولاتشجع الاستقرار المرجو فى الشرق الأوسط بل تنقضه وتثير القلق والاضطراب فى إرجائه .

وفى نفس هذا الوقت الذى تقوم فيه إسرائيل باعتداءاتها الآثمة ويدلى فيه مستر بايرود بأقواله يتعنت رئيس لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية فى موقفه فلا يسمح للجانب المصرى بالاطلاع على التحقيق الذى تم فى شكوى إسرائيل ويهمل كل شكوى تتقدم بها مصر . ولا نحب أن نربط بين موقف رئيس لجنة الهدنة و بين ما قاله مستر بايرود أو اعتداءات إسرائيل . ولكننا لا نستطيع أن ننكر حقيقة بارزة فى موقف رجال الهدنة عامة ألا وهى خضوعهم للتيارات التى تدفعها وتسندها السياسة الأمريكية ، وقد كان

(١) تولى مستر بايرود بعد ذلك منصب السفير الأمريكى لدى جمهورية مصر ثم نقل أخيرا إلى جنوب أفريقيا .

موقف أمريكا على الدوام بجانب إسرائيل تمدها بالمعونة والسلاح وتؤيد اتجاهاتها وتنزل على ما ترى وتتحيز لشكواها بينما تمنع كل معونة وكل مساعدة عن العرب .

ولكن ماذا تريد إسرائيل ؟ لقد قالت أمريكا كلمتها على لسان مستر بايرود كما سبق أن قالتها مراراً على لسان غيره وملخصها اعتراف العرب بإسرائيل والصلح معها ، واذكر بهذه المناسبة ما نقله إلى بعض أصدقائى من ضباط أركان الحرب فى زيارتهم لأمريكا خلال الصيف الماضى عند ما تناولوا مع مستر بايرود فى حفل رسمى دعوا إليه مسألة قناة السويس فسألهم : هل تعتقدون أن مسألة قناة السويس هى المسألة الوحيدة أمام مصر لإقرار علاقاتها بالعالم الغربى ؟ فأجابوا : نعم هى وحدها . فرد معقباً : وهل نسيتم إسرائيل ؟

* * *

إن سياسة إسرائيل قبل أن تصبح دولة وحقيقة واقعة كما تحب أمريكا أن تدعوها وبعد أن أصبحت دولة وحقيقة واقعة ، لا تخرج عن القواعد التى رسمها هرزل لإسرائيل فى كتابه « الدولة اليهودية » والتى أصبحت عقيدة الصهيونية فى كل أرجاء العالم ، والتى ترمى إلى بعث إسرائيل الكبرى التى تمتد حدودها فى تقديرهم من الفرات إلى النيل كما كان ملك سليمان الذى عنى والذى لم يشأ أن يعمر فى الأرض طويلا ولم يكن ملكا ودولة بقدر ما كان عصبية جنس ودين .

فهل تريد إسرائيل أن تتحرش بالعرب فى الوقت الحاضر لتقيمها حرباً تخرج منها بتحقيق حلم صهيون القديم فتمد دولتها من الفرات إلى النيل

كما خرجت من حربها الأولى مع العرب بتكوين دولتها الحاضرة أو أنها تقوم باعتداءاتها اليوم من قبيل الحرب الباردة إرهاباً للعرب واشعاراً لهم بقوتها و إذا لم يكن هذا حقاً فما هو الهدف البعيد لمرماها فهى لا تقوم عادة لخطوة قبل أن تسبقها دراسة واعداد وقبل أن تتبين أهدافها منها . ومما لا ريب فيه أن إسرائيل لا تريد أن تشن حرباً لتحقيق قيام دولتها الكبرى فإن استعداداتها و إمكانياتها الحالية لا تمكنها فى الوقت الحاضر من القيام بحرب كبرى للغزو والاستيلاء و إن كانت تعد لليوم الذى تستطيع فيه أن تقوم بهذه الحرب لتحقيق حلمها إن لم تجد سبيلا غيرها وسبلها إليه كثيرة غير الحرب والعدوان ثم أن أمريكا وإن كانت تعزز وجوداسرائيل وكيانها الحاضر إلا إنها لا تؤيدها فى التعجيل بهذه الحرب ولا تشيع لتحقيق هذا الهدف البعيد . و إسرائيل لا تعتمد على نفسها قدر ما تعتمد على مساعدات أبنائها فى الخارج ولا أقصد المساعدات الاقتصادية فحسب و إنما المساعدات السياسية أيضاً تلك المساعدات التى تتم عن طريق نفوذهم فى الدول التى يعيشون فيها وسيطرتهم على كل وسائل النشر والدعاية فى العالم الغربى و إسرائيل نفسها لا ترى الوقت مناسباً للقيام بهذه الخطوة ثم أنها لا تميل إلى اتخاذ الحرب وسيلة إلى أهدافها بقدر ماتتخذها وسيلة لحماية هذه الأهداف و إنما تلجأ إلى وسائلها العديدة لتنفيذ ما ترمى إليه .

ومعنى هذا أن إسرائيل ترمى إلى هدف محدد واضح تختار له الوقت المناسب لتحقيقه . والهدف الذى ترمى إليه إسرائيل فى الوقت الحاضر هو إبرام الصلح مع العرب وحمل العرب على التسليم بحقيقة وجودها وفى هذا تجد من تأييد العالم الغربى ما يتفق مع سياسة الغرب وحقيقة أهدافه .

على أن لهذا الصلح الذى تبغيه إسرائيل شروطاً يجب أن ينزل عليها العرب ، فليس الاعتراف بوجودها جل مبتغاها بل أنها لترمى إلى تصفية المشاكل القائمة بينها و بين الدول العربية تصفية تامة وفق أغراضها ومراميها وهذه المشاكل القائمة هى ما يدور من نزاع حول مياه الأردن وما يثور من خلاف حول تدويل القدس وأهداف إسرائيل منهما واضحة جلية لا تريد من العرب إلا أن يسلموا بها كما يسلموا بقبول اللاجئين ببلادهم دون أن يكون لهم حق فى العودة إلى ديارهم أو تعويضهم و إذا أصرت الأمم المتحدة على تعويضهم فلتعوضهم أمريكا على حسابها .

والصلح مع العرب سيفتح لإسرائيل أبواب التغلغل إلى العالم العربى وهى الخطوة المرسومة لتحقيق دولتهم الكبرى وهذا ما يدعونا إلى القول بأن إسرائيل لا تنشد الحرب ما استطاعت لتحقيق اسرائيل الكبرى ولها وسائلها التقليدية المعروفة فإذا اتيح للصهيونيين أن يتغلغلوا فى أرجاء العالم العربى لكانت أول خطوة لهم أن يسيطروا سيطرة تامة على إقتصادياته فاذا تم لهم هذا سهل عليهم أن يسيطروا على إتجاهاته السياسية ليبدأ تحكمهم فيهو إستعمارهم له . ولا يكتفى الصهيونيون بالسيطرة الاقتصادية فهم يتخذونها وسيلة لغاية أخرى هى السيطرة السياسية وفى هذا المضمار يقومون بتكتيكهم التقليدى المعروف من إثارة الفتن والثورات الداخلية التى يسيروها و يوجهونهالمصلحتهم الخاصة ولتحقيق أهدافهم الكبرى .

وهكذا اختارت إسرائيل هذا الوقت بالذات للقيام باعتداءاتها الآثمة لتفتح أمام الوسطاء بابا لعرض الصلح وحمل العرب عليه وهى تعلم أن البلاد

العربية عامة لا يمكن أن تحارب فى جبهتين فى وقت واحد وأن هذا العالم العربى يواجه مشاكل حادة داخلية وأخرى خارجية لعل أهمها هذا الخنق الاقتصادى الذى يفرضه الغرب عليه وهذا التوتر الحاد فى العلاقات بينه و بين الدول الإستعمارية وعلى رأسها بريطانيا وقد يحمل هذا بعض المعتدلين من العرب على قبول الصلح مع إسرائيل للتفرغ لمواجهة الإستعمار البريطانى والفرنسى.

ولعلنا ونحن نلمح من خفايا الغيب أهداف إسرائيل ومطامعها لا نستهين بها فالاستعمار البريطانى يحتضر من نفسه والاستعمار الفرنسى يلج القبر برعونته أما إستعمار إسرائيل فهو فتى عارم يرى من حقه أن يرث بريطانيا وفرنسا فى الشرق العربى وعلينا ألا نستهين باسرائيل ومطامعها كما يجب علينا أن نتمسك بالصبر والعزم وأن نحدد أهدافنا ووسائلنا وننبذ سياسة الإرتجال والعواطف .

اقتصاد منهار

منذ قامت إسرائيل عام ١٩٤٨ وهى تعانى خللا خطيراً فى إقتصادياتها يكاد يهدد كيانها بالإنهيار ووجودها بالزوال ولم تستطع إسرائيل بعد ، رغم ما تبذله من جهود جبارة وما تتلقاه من معونة خارجية ضخمة أن تقيم اقتصادها على أساس ثابت مستقر . فالمشاكل التى تعانيها لا تدع لها سبيلا إلى الاستقرار المنشود فى حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على السواء .

وتعانى إسرائيل مشاكل عديدة ليس أقلها شذوذا وضع إسرئيل الدولى أو عداوة الدول العربية لها أو مشكلة الهجرة والتأقلم و إدماج العناصر العديدة من السكان بعضها فى بعض أو قصور إنتاجها الزراعى عن كفاية السكان . فعداوة العرب وحالة الهدنة التى لا تسفر عن سلام دائم وصلح تطمئن فيه إسرائيل على نفسها من العرب ، أو حرب تحسم هذا الصراع بين الفريقين ، يجعل وضع إسرائيل الدولى غريباً وشاذا فى وقت واحد فلم يسبق أن شهد العالم هدنة تستمر سنين وتطول دون أن تنتهى إلى السلام أو الحرب وبالرغم من إعتراف دول العالم باسرائيل إلا أن وضعها هذا بين دول معادية لا تعترف بها يهدد كيانها الدولى والاقتصادى تهديداً خطيراً ، فهو يحمل إسرائيل على مضاعفة مجهودها الحربى على حساب المجهود الذى يجب أن تبذله لاستكمال عناصر وجودها السياسى ، ودعم كيانها الاقتصادى ، كما لا يشجع الدول — إذا استثنينا أمريكا — على أن تدخل

مجلة الأسلحة والمهمات العدد السابع فى فبراير ١٩٥٦ .

معها فى نوع من العلاقات التجارية التى تحتاج إلى الثقة والاطمئنان ، ويحمل رؤوس الأموال الأجنبية على الحذر من الدخول إليها والاستثمار فيها .

ومما يخيف رؤوس الأموال الأجنبية من محاولات الاستثمار فى إسرائيل غرابة نظامها الاجتماعى . فهى تسير أحياناً فى تطبيق بعض الأنظمة الشيوعية تطبيقاً تاماً وإن بدا من حيث وضع إسرائيل ملائماً ومعقولا بالنسبة لها ، إلا أنه يقف عقبة أمام الاستثمار الحر .

وتعانى إسرائيل عناء بالغاً من مشاكل الهجرة فحكام إسرائيل يعلمون أن دولتهم لن تستكمل كيانها الحقيقى مالم يصبح عدد سكانها خمسة ملايين نسمة على الأقل وهى تعمل جاهدة فى سبيل تحقيق ذلك فتشجع الهجرة بكل الوسائل الممكنة ولكنها فى الوقت نفسه تضاعف من مشكلتها الاقتصادية . فبالرغم من أن عدد سكانها قد تضاعف فبلغ مليونا ونصف مليون نسمة منذ قيامها حتى الآن إلا أن إنتاجها الزراعى لا يكفى حاجة هذا العدد من السكان ، وما زالت تعتمد اعتماداً كبيراً على الخارج فى استكمال حاجتها الغذائية . ولا ريب فى أن هذه المشكلة ستتضخم فى حالة الزيادة المطردة للسكان .

وقد تولد عن هجرة أعداد متباينة من اليهود من بقاع شتى ومن بيئات متعددة ، مشكلة لا تقل فى شدتها عما تعانيه الدولة من قصور استكفائها الذاتى ، فهذه الأعداد الغفيرة من المهاجرين قد تباينت فى طبائعها وفى حياتها وفى نشأتها وثقافتها ، يصعب الاندماج بينها ويكون عسيراً غير هين . هذا فضلا عن أن اليهود الغربيين ، بحكم ثقافتهم ومهارتهم الفنية وقدرتهم

الإنتاجية قد تميزوا على يهود الشرق ، سواء فى مناصب الدولة أو فى المعاملات العامة مما كان سببا فى تذمر يهود الشرق وشكواهم مما آلت إليه حالهم .

وتبدو مظاهر الخلل الاقتصادى فى إسرائيل فى تضخم نقدها وفى حاجتها الشديدة إلى رؤوس الأموال الأجنبية وفى خلل ميزانها التجارى ولنتناول كلا منها على حده :

والتضخم هو أقسى ما يهدد اقتصاد إسرائيل بالانهيار ، فمنذ قيامها إلى الآن وهى تواجه زيادة مطردة فى أعمال الإنشاء غير الإنتاجية كبناء المساكن لمواجهة زيادة السكان وتشغيلهم حتى لا تتفشى البطالة بينهم هذا فى الوقت الذى تدفع فيه الضرورة إسرائيل إلى توجيه جزء كبير من ميزانيتها للتوسع الصناعى والزراعى بدلا من العمل على إنتاج السلع الاستهلاكية مما أدى فى النهاية إلى قصور كبير فى هذه السلع الإنتاجية ثم بالتالى إلى انتشار السوق السوداء .

ولم تحس إسرائيل بهذا التضخم فى السنتين الأوليين لقيامها ، فقد كان اللااستقرار الاقتصادى فى فلسطين فى عهد الانتداب ثم لرؤوس الأموال التى حملتها الأفواج الأولى من المهاجرين فى شكل بضائع أو سلع أو أموال سائلة أثر فى عدم الإحساس بهذا التضخم فى البداية إلا أن الأعداد الغفيرة من مهاجرى اليهود فى اليمن والعراق إلى إسرائيل ثم الارتفاع العالمى فى أسعار السلع عامة ، قد عجل بوقوع إسرائيل فى ربكة التضخم المالى ، وضاعفت السياسة التى اتبعتها الحكومة أو اضطرت إلى اتباعها من أثر هذا التضخم . ويعود هذا التضخم المالى ، إلى حد كبير ، إلى خلل الميزان التجارى فى إسرائيل. فإسرائيل بلد يعيش على مايستورد سواء من المواد الغذائية أو الخامات

أو السلع الإنتاجية ، ولا تكفى صادراتها لموازنة وارداتها ومنذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٤ وخلل الميزان التجارى يزداد تفاوتا . ويبدو ذلك بموازنة النسبة المئوية بين الصادرات والواردات فى السنوات الماضية من البيان التالى :—

سنة ١٩٤٩	١١ر٧٪
سنة ١٩٥٠	١٢ر٣٪
سنة ١٩٥١	١٢٪
سنة ١٩٥٢	١٤ر٦٪
سنة ١٩٥٣	٢٠ر٨٪
سنة ١٩٥٤	٢٩ر٤٪

ومنذ شهر يوليه سنة ١٩٤٨ حتى ديسمبر سنة ١٩٥٣ بلغ عجز الميزان التجارى خلال هذه المدة مليارا وثلاثمائة واثنين وتسعين مليونا ونصف مليون دولار وهو كما نرى عجز خطير ، ويشعر المسئولون فى إسرائيل بخطورة هذه الحال ويعملون جاهدين على تنمية صادراتهم لتقل نسبة العجز فى الميزان التجارى ، ولكن يبدو أنهم لن يصلوا إلى تحقيق ذلك مطلقا . وقد أشار إلى خطورة ذلك الوضع رئيس الاتحاد الصناعى فى إسرائيل بقوله «لن يكون لإسرائيل استقلال حقيقى بدون صادراتها فإذا لم ننم صادراتنا فسيكثر عدد المتعطلين وتتضخم مشكلة البطالة ولا يصبح لإسرائيل طاقة على استيعاب مهاجرين جدد وتزداد الحاجة للاحسان والعون الخارجى والتدخل الأجنبى » .

وقد كانت إسرائيل وما زالت تعطى عجز فى ميزانها التجارى عن طريق الإعانات والهبات والقروض والتعويضات لكن هذا السيل من الإعانات

والهبات لابد وأن يتوقف فى النهاية كما تستهلك التعويضات . ثم أن أرباح القروض تستنفد جانباً كبيراً من الميزانية ، والنتيجة الحتمية لهذا كله هى زيادة التضخم المالى والخلل الكبير فى الميزان التجارى .

ويشيع هذا الوضع أعظم القلق فى إسرائيل فالسياسة التى تسير عليها الحكومة مدفوعة بالعقيدة التى قامت عليها الصهيونية ، ترمى إلى استيعاب مهاجرين جدد بحيث يصل تعداد الدولة إلى خمسة ملايين نسمة فى السنوات القليلة القادمة وهم يعملون جاهدين لمواجهة هذه الزيادة المطلوبة فى عدد السكان إلا أن الصعوبات التى تقوم فى وجهها لا يمكن تذليلها أو التغلب عليها . فلأجل استيعاب مهاجرين جدد وتهيئة السكن والإقامة والعمل لكل أسرة ولكل فرد منهم لابد من استهلاك جانب كبير من الميزانية فى مشروعات غير إنتاجية كما قدمنا ، ولابد أيضاً من كفالة حاجة السكان من المواد الغذائية فإذا علمنا أن إسرائيل تستورد نصف حاجتها الغذائية من الخارج فلا ريب أن نسبة الاستيراد من تلك المواد ستنمو وتزداد بازدياد عدد السكان وتزداد أيضاً بالتالى نسبة الاستيراد فى الخامات والمنتجات الصناعية ولا يمكن عندئذ الحد من استيراد السلع الاستهلاكية أو تقييده . وأهم ما تستورده اسرائيل منها القمح والبترول وهما موردان حيويان لا يمكن الاستغناء عنهما أو الحد من كمياتهما .

وتستورد إسرائيل سنوياً حوالى ٣٠٠ ألف طن من القمح كما تستورد من البترول ما يقدر ثمنه بأربعين مليون دولار .

فموازنة صادرات إسرائيل ووارداتها لا يتم ولا يتحقق حتى بالحد من السلع الاستهلاكية أو المواد الخام أو الآلات الصناعية فكل منها ضرورى لحياة

السكان ولمشروعات التنمية الاقتصادية والصناعية . ولتقليل العجز فى الميزان التجارى لابد من زيادة الصادرات ، ولزيادة الصادرات لابد من استيراد البترول والخامات والآلات لزيادة طاقة اسرائيل الإنتاجية فى الوقت الذى لا يمكن لها فيه أيضاً أن تحدد قدرتها الاستهلاكية وخاصة فى مواد الغذاء الضرورية . وتستورد اسرائيل منها ما قيمته ٥٠ مليون دولار سنوياً ، ولا يزيد إنتاج إسرائيل عن ٦٠ ٪ من حاجتها الاستهلاكية عامة .

وبالرغم مما تتلقاه إسرائيل من إعانات ضخمة إلا إنها لا تستطيع أن تستخدمها فى تغطية ميزانيتها إذ أنها تنفقها على التسليح والقوات المسلحة والمصانع الحربية ولا تفيد منها شيئاً فى إنتاجها المدنى .

وسيظل هذا الخلل فى ميزانها التجارى طالما أن وارداتها تزيد على صادراتها ، وقد عرض وزير مالية اسرائيل لهذه المشكلة فقال « أن استقرار إسرائيل اقتصادياً يعتمد على قدرتها فى الحصول على ٢٥٠ مليون دولار سنوياً من العملة الأجنبية وذلك لمواجهة حاجاتها ،ولا تزال صادرات إسرائيل قاصرة عن أن تغطى كل ذلك أو بعضه » .

وتشعر اسرائيل بحاجتها القصوى إلى جذب بعض رؤوس الأموال الأهلية والأجنبية وتشجيعها على الاستثمار فى إسرائيل ولكن يحول دون ذلك ، وضع إسرائيل السياسى والاقتصادى. فالتضخم المالى وعدم الاستقرار الاقتصادى يحولان دون إغراء رؤوس الأموالى الأهلية والأجنبية بالاستثمار فى إسرائيل كما يحول دونه هذا الاتجاه الشيوعى الذى يحدو حكومة إسرائيل ويدفعها لتطبيق بعض نظم الاقتصاد الشيوعى فى الداخل ولا يزعج هذا الاتجاه رؤوس الأموال الأجنبية فحسب بل لا يغرى أيضاً أصحاب رؤوس الأموال الأهلية

على المغامرة بأموالهم فى أى نوع من أنواع الاستثمار التى تحتاجها الدولة .

وللقضاء على هذا الخوف وتشجيع رأس المال الأهلى على الاستثمار أصدرت الحكومة فى مارس سنة ١٩٥١ قانوناً وافق عليه البرلمان بمنح امتيازات عديدة للمستثمرين ، منها الإعفاء من بعض الضرائب وحق تصدير جزء من رأس المال إلى الخارج بالعملات الأجنبية ، وقد أحدث هذا القانون بعض الأثر فى علاج هذه المشكلة إلا أن ثلاثة أرباع رأس المال الأجنبى المستثمر فى إسرائيل يأتيها من الولايات المتحدة من مصادر صهيونية متعصبة ، وتستثمر هذه الأموال فى التعدين والمواد الكيماوية والمنسوجات والأدوات الكهربائية وتهدف أولاً إلى كفاية الاستهلاك المحلى وثانياً إلى زيادة الصادر منها إلى الخارج ومضاعفته باستمرار .

على أن التسهيلات التى منحتها إسرائيل لتشجيع رؤوس الأموال الأجنبية لا تدع لها مجالا لتوجيهها الوجهة التى تتفق ومصلحتها كما تضعف من الرقابة عليها ولم يكن أمام إسرائيل غير ذلك لإغراء رؤوس الأموال الأجنبية على الاستثمار فيها ، ثم أن كثيراً من الصناعات الجديدة تحتاج إلى خامات وهذه الصناعات لا تقوم على سد حاجة السوق المحلى بقدر ما ترمى إلى سد حاجة الدولة إلى التصدير للتقليل من العجز المستمر فى الميزان التجارى .

والنتيجة أن إسرائيل دولة ما زالت تعيش على الإحسان والمعونة الخارجية ولم تقف بعد على قدميها لا من الناحية السياسية ولا من الناحية الاقتصادية وستظل تعانى بقية أيامها من شذوذ هذا الوضع . إلا أن شذوذها هذا هو الذى يمنحها بعض القوة فإن شعور اليهود بشذوذ الكيان الذى تقوم عليه دولتهم يجعلهم يضاعفون من جهدهم وسعيهم ومن تضحياتهم الفردية والجماعية لدعم إسرائيل وتقويمها من هذا الشذوذ .

وثمة حقيقة أخرى يجب أن تكون فى بال كل عربى وهى أن اليهود يقومون اقتصاد دولتهم على اعتبار الأسواق العربية سوقهم الطبيعية لتصريف منتجاتهم فلا يواجهون بها المنافسة الشديدة للبضائع الأوروبية المتفوقة من حيث الجودة ورخص الثمن فى الأسواق الأخرى . و يرى اليهود أنهم يضمنون هذا السوق العربى إذا استقرت الأوضاع بينهم و بين العرب بصلح دائم يعقبه قيام علاقات سياسية وتجارية ويجب أن ندرك تماماً أن الهدف الكبير لليهود هو استعمار البلاد العربية والسيطرة عليها تماما ويرون أن هذا يتم إما بالحرب والتوسع الإقليمى على حساب العرب وإقامة دولة كبرى تستطيع أن تقف أمام العرب وتهددهم إذا اقتضى الأمر . وهذا طريق عسير تقوم دونه عقبات ومصاعب وتبدو استحالته منذ البداية لأنه على الأقل لا يتفق مع طبائع اليهود وخلقهم . فهم ينالون بالحيلة وما لا ينالونه بالقوة . و إما بإبرام صلح مع العرب يعملون بعده جاهدين للسيطرة على الاقتصاد العربى فإذا تم لهم ذلك كانت السيطرة السياسية سهلة ميسورة .

ولذلك فإن سياسة العرب التى تقوم على مقاطعة إسرائيل وعدم الاعتراف بها وفرض الحصار الاقتصادى عليها ، هى السياسة المثلى التى يمكن أن يأخذ بها العرب فى الوقت الحاضر على الأقل وهى التى يمكن أن ترهق إسرائيل وتقتلها قتلاً بطيئاً .

وخلاصة القول أن إسرائيل دولة تنقصها مقومات الحياة الضرورية للدول وستكون خاتمة محاولتهم هذه لإقامة دولة يهودية فى فلسطين انهيار هذه الدولة وسقوطها عاجلاً أو آجلا .

الباب التاسع

من الشرق الاقصى

القارة الهنــــدية

١ ـــ على طريق الهند .

٢ ـــ الجيوب الأجنبية فى الهند .

٣ ـــ باكستان أو قيام دولة .

٤ ـــ كشمير بين الهند وباكستان .

٥ ـــ بختونستان بين باكستان وأفغانستان .

على طريق الهند

على طريق الهند كتب التاريخ أروع ملاحمة ملحمة بدأسطورها الأمير هنرى الملاح يوم راح يبحث عن طريق عبر الخضم إلى الهند بكنوزها وخيراتها وأساطيرها ، يدفعه الولع والشوق والمغامرة ، فقد كان سحر الشرق نشوة المغامر الأوربى وكان الشرق بترفه و بذخ ملوكه وأمرائه حلم المترفين فى أوربا ، وكانت ثروته وخيراته وغناه أمل التجار وطلاب الثراء والغنى ، وهوى الدول التى راحت تسعى للتسلط والاستعمار والسيطرة .

وقد اختلط الشرق فى ذهن الأوربى بالهند ، وكانت الهند فى فهمه هى الشرق وكانت فى خياله عالما لا ينضب من كنوز الذهب واللآلىء والأحجار الكريمة ، وأرضا لا يغيض خيرها من غلات وثمار ، مما دفع الملاحين إلى إمتطاء العباب بحثا عن طريق بحرى إليها رأسا ، فلا تبهظ تجارتها تلك المكوس التى تضرب عليها عبر الدول التى تمر بها فى غربى آسيا ومصر وجنوا والبندقية ، ولا تفجعها مخاطر الطرق البرية ومتاعبها فى مالها ، فكان البحث عن طريق الهند هو السبب فى حركة الكشوف الجغرافية الباهرة التى حفل بها القرن الخامس عشر .

وكان البرتغاليون أول من وصل إلى الهند . وصل اليها الملاح « فاسكو دى جاما » وأرسى مراسيه فى ميناء قاليقوت عام ١٤٩٨ . وتوالت رحلات

صوت الشرق عدد ١٨ فى مارس ١٩٥٤ .

البرتغاليين اليها ، ونجح « كبرال » بعد مقاومة عنيفة فى إقامة عدد من القواعد التجارية على ساحل « ملبار » وكان يحمل أمراً من ملك البرتغال بفرض سيادة البرتغال على هذه البقاع ، وبارك البابا سعى ملك البرتغال فمنحه عام ١٥٠٢ لقب « سيد البحار الأعظم ، والتاجر فى الحبشة و بلاد العرب وفارس والهند » .

وكانت أسبانيا قد سبقت البرتغال فى هذا السبيل ، ولكنها سلكت طريقاً غير الذى سلكه البرتغاليون ، فسار « خريستوف كولمبس » غرباً عام ١٤٩٢ واصطدم فى طريقه بقارة جديدة وعالم جديد ، ومات قبل أن يدرى انه كشف الأمريكتين !

واقتسمت إسبانيا والبرتغال هذه العوالم الجديدة ، وحكم بينهما البابا فكان الشرق للبرتغال ، والغرب لاسبانيا ، وأقام بينهما حدا الى الغرب من جزر الأزور مسافة ٣٧٠ فرسخا فكانت البرازيل من نصيب البرتغال لوقوعها شرقى هذا الخط ، ولم تكن البرتغال قد غربت فى قلب المحيط الاطلنطى الذى دعاه العرب بحر الظلمات من قبل .

ونفست على إسبانيا والبرتغال الدول البحرية الأخرى ، فنزلت كل من هولندا وإنجلترا ميدان الكشوف الجغرافية ولكنهما سلكتا طرقا جديدة فضربتا فى أعماق البحار الشمالية حتى عثرتا بأمريكا الشمالية وأسس الهولنديون « نيوامستردام » ، وهى التى أصبحت « نيويورك » فيما بعد ، وكشف الانجليز « نيوفوندلاند » .

وفى بضع سنين كان الهولنديون قد نزلوا إلى البحار الجنوبية وسبقوا إليها الانجليز الذين ظلوا يضربون فى البحار الشمالية ، فرأوا البرتغاليين يسدون

عليهم المسالك ويقبضون على تجارة الشرق فتبعوهم فى كل مكان وأثخنوهم جراحاً وهاجموا « جوا » عاصمتهم البرتغالية فى الهند ، وماوافى النصف الثانى من القرن السابع عشر حتى انهارت مراكزهم التجارية جميعا ، ولم يبق لهم غير ـ جوا ودامان وديوـ على ساحل ملبار، شاهدات على ما وصلت إليه تجارة البرتغال فى الاقاليم الموسمية الجنوبية من تفوق ، وحل الهولنديون محلهم وأقاموا قواعدهم على سواحل الهند وسيلان وسومطرة والخليج الفارسى والبحر الأحمر وضموا إليهم جزائر ملقا وفرموزا وجزائر الهند الشرقية، حيث أسسوا مدينة بتافيا فى جاوه لتكون قصبتهم فى تلك البلاد النائية ، كما أقاموا فى جنوب إفريقيا عددا من المحطات والقواعد الساحلية لتكون فى طريقهم إلى بلاد الشرق .

وامتدت الإمبراطورية الهولندية عبر البحار فأوغرت عليهم قلوب البريطانيين وأثارت نقمتهم ، فجعلوا يتعقبونهم ويسطون على سفائنهم أينما كانت سواء فى البحار الموسمية أو غيرها من البحار ، ولكن إتحاد العرشين الانجليزى والهولندى عام ١٦٨٩ تحت تاج وليم أورنج أوقف هذا النزاع إلى حين .

وكان الانجليز قد شهدوا من قبل مصرع النفوذ البرتغالى فى البحار الموسمية ، وكانوا قد أخذوا ينزلون إليها وان ظل قراصنتهم فى البحار الشمالية يتخذونها مسرحا لسطوهم وعدوانهم ، وساهم الانجليز فى القضاء على السيطرة البرتغالية عندما هزموهم فى معركة «سورات» على مصب نهر تبتى عام ١٦١٢ ، وكان هذا النصر كالقطر الذى يسبق الغيث ، فقد وضعوا بذلك أسس سيادتهم المنتظرة فى البلاد الموسمية الغنية . وجاء انتصارهم على البرتغاليين

فى سورات بعد تأسيس شركة الهند الشرقية التجارية باثنى عشر عاما ، فقد كان مولدها فى ٣٠ ديسمبر عام ١٦٠٠ ، وهى التى يرجع اليها الفضل فيما بعد فى ابتلاع الهند كلها و إخضاعها لبريطانيا ، فظلت درتها التى تتألق فى قمة التاج البريطانى حتى سقطت عنه بعد الحرب العالمية الثانية .

ووقع أول صدام جدى بين الانجليز والهولنديين فى شنسورا بالهند. حيث فرض عليهم كليف أن يسلموا دون قيد أو شرط ، وأخذت مراكز الهولنديين تتساقط فى أيدى الانجليز واحدة بعد الأخرى حتى لم يعد لهم فى الهند غير آثارهم تنم عنهم كما اقتطع الانجليز منهم أيضاً ملقا وجاوة وسومطرة ولكنهم عادوا فأرجعوا جاوة وسومطرة إلى حوزة هولندا مقابل تنازلها عن حقوقها فى ملقا نهائياً.

ولم يكن السباق الأوربى نحو الهند مقصورا على هذه الدول الثلاث بل تعداهم إلى فرنسا التى أقامت مراكز لتجارتها على ساحل كرومندل ، ولم يبق أمام البريطانيين للفوز بالهند إلا القضاء على المراكز والقواعد التى احتلها الفرنسيون ، وكان القتال بين الدولتين على أرض الهند هو نفسه صورة لنضالهما فى القارة ، وقد دارت الدائرة على الفرنسيين سواء فى الهند أو فى القارة نفسها ولم يأت عام ١٧٥١ حتى فقد الفرنسيون أكثر ما كانوا يملكونه فى الهند ولم يبق لهم غير بضع قواعد على ساحل كرومندل ما زالت باقية فى أيديهم إلى الآن .

وهكذا سار الاستعمار الأوربى للشرق فى ركاب الكشوف الجغرافية ، فكانت الدول البحرية أسبق الدول إليه ، وأعطت أسبقية الكشف

لصاصبها حق التملك فأصبحت تلك الدول البحرية الصغيرة دولا استعمارية عتيدة ، بينما بقيت دول كبرى كألمانيا وإيطاليا لا تملك من المستعمرات ما تملكه تلك الدول الصغرى كالبرتغال وهولندا وبلجيكا !

وعقد لواء التفوق البحرى لانجلترا بعد تحطيم الارمادا الأسبانية عام ١٥٨٨ ودفعهم هذا الفوز الباهر إلى مضاعفة جهودهم البحرية والأصرار على الاحتفاظ بسلطان البحار ليحتفظوا بسيادتهم الامبراطورية وليمدوا ظلهم على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية .

وأصبح هدف بريطانيا أن تحتفظ بامبراطوريتها العظيمة والهند تاجها ودرتها المتألقة ، فوضعت قواعد سياستها واستراتيجيتها العامة على أساس تأمين المعابر والممرات والطرق البرية والبحرية التى تصل إلى الهند بالاستيلاء على المغاقل والقواعد البرية والبحرية التى تهدد هذه المسالك ، والاحتفاظ بسيادة البحار حتى لا تدع فرصة لدولة أخرى أن تتفوق عليها وتنتزع منها هذه السيادة البحرية فتنهار امبراطوريتها كما انهارت من قبل امبراطوريات البرتغال وهولندا وأسبانيا ، وألا تدع لدولة كبرى سبيلا للاقتراب من طريق الهند .

ولم يكن لها من منافس خلال القرن التاسع عشر غير فرنسا تخيفها وتزعج أمنها فظلت ترقبها وتلحظ خطاها . ولم يكن لفرنسا من القوة البحرية ما تستطيع أن تواجه بها بريطانيا فى البحار الواسعة فاتجهت إلى طريق الشرق البرى ؛ ونزلت إلى مصر عام ١٧٩٨ علها تستطيع أن تعبر قنطرة الشرق إلى الهند برا فألبت بريطانيا عليها أوربا فى القارة وتتبعتها فى أرض مصر

حتى أخرجتها منها عام ١٨٠١ ، وظلت بعد ذلك ترقب هذا الباب الذى فتحته فرنسا على مصراعيه . وثمة منافس آخر فى الشمال تمثل فى روسيا التى تقترب من حدود الهند الشمالية فى مواضع كثيرة : والتى تتطلع إلى الخروج نحو البحار الدفيئة فبقيت ترقبها عند المضايق تقفلها فى وجهها وتمنع عدوانها على الدولة العثمانية وتلحظها عبر بلاد فارس وأفغانستان ، وهما جدار الهند الذى يحميها من عدوان روسيا .

ولحت بريطانيا خطر هذا الطريق الجديد طريق الشرق البرى وهى التى سيطرت على طريق رأس الرجاء الصالح من قبل وورثت فيه قواعد البرتغال وهولندا ، فجعلت تضع يدها على القواعد التى تتحكم فى البحرين الأبيض والأحمر ، فأخذت جبل طارق فى صلح «أوترخت» عام ١٧١٣ ، واحتلت مالطة عام ١٨٠٠ بعدما نجح نابليون فى التسرب بأسطوله الفرنسى إلى مصر، ونزلت إلى عدن عام ١٨٣٩ عندما أخذ نفوذ محمد على يقوى و يعظم فى البلاد العربية، وظفرت بقبرص عام ١٨٧٨ بعد الحرب الروسية التركية أثر افتتاح قناة السويس للملاحة ، واحتلت مصر عام ١٨٨٢ لتضمن سيطرتها وتحكمها فى هذا الشريان المائى الهام الذى يربط الشرق بالغرب ، وأخذت تضع يدها على كل مكان يمكن أن يتعرض لطريق الهند من قريب أو بعيد .

ولما فشلت بريطانيا فى الاستيلاء على أفغانستان لتؤمن مدخل الهند الغربى ، اكتفت بالسيطرة على ممرى خيبر وكابل ، وضم بلوخستان ، وفرض نوع من السيادة على القبائل الضاربة على الحدود ، وأقامت قاعدة حربية فى كوتا ، و بقيت بلاد فارس مجالا للتنافس بينها و بين روسيا حتى عقدتا الاتفاق الودى بتقاسم مناطق النفوذ فيها عام ١٩٠٧ .

وعندما خرجت ألمانيا تبحث عن مجالها الاستعمارى على حساب الدول الكبرى ووضعت أسس سياستها الشرقية على أساس اقتحام طريق الشرق البرى ذعرت بريطانيا وجعلت ترقب خطواتها أينما تكون ، فمنعت امتداد خط حديد برلين – بغداد إلى الخليج الفارسى ، وأبرمت معاهدة العقير مع الملك عبد العزيز آل سعود ، ومعاهدة حماية مع شيخ الكويت ، ثم رأت حكومة الهند ضرورة الاستيلاء عل جنوب العراق لحماية طريق الهند عبر الخليج الفارسى ، وكان هذا بداية تطلع الانجليز إلى العراق ، كما رأى كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر ضرورة السيطرة على فلسطين لحماية قناة السويس ، وظهرت هذه الاتجاهات الجديدة خلال الحرب الأولى ، فنزلت حملة مود إلى جنوب العراق ، وأبرم اتفاق سيكس – بيكو السرى عام ١٩١٦ بين الحلفاء لتقسيم مناطق النفوذ فى الولايات العربية العثمانية ، وكان لبريطانيا فى هذا الإتفاق جنوب العراق وجنوب سوريا لتضمن بذلك التحكم فى الطريق بين رأس الخليج الفارسى وقناة السويس .

وخرجت بريطانيا فى الحرب الأولى وهى تسيطر تماما على كل طريق وكل موقع يقع على طريق الهند .

وهكذا كتب التاريخ أروع ملاحمه على طريق الهند ، وهاقد بدأ باستقلال الهند كما يلوح لنا ملحمة جديدة فى تاريخ الشرق وقوته ومجده .

من بقايا الاستعمار

الجيوب الأجنبية فى الهند

سئل نهرو فى المؤتمر الصحفى الذى عقد بنيودلهى فى ١٥ نوفمبر الماضى عما إذا كان فى نية الهند أن تنادى بما يشبه مبدأ مونرو وتطبقه على قارة آسيا . كما سبق أن طبق مبدأ مونرو بالنسبة للقارة الأمريكية . وقد أجاب البانديت نهرو بأن ما يعنيه حقيقة هو تطبيق هذا المبدأ بالنسبة للهند . ويشير بذلك كما بين فى إجابته إلى الممتلكات الفرنسية والبرتغالية الباقية فى القارة الهندية أى أن تكون «الهند للهنود» ولا يتنافى هذا كما يرى مع دعوة «آسيا للآسيويين» وهى الدعوة التى ظهرت بظهور اليابان واحتلالها مكانتها العظمى بين دول العالم الكبار فقد انهارت سمعة الرجل الأبيض وغدت رهبته الأسطورية سرابا بعد الهزيمة الماحقة التى أوقعتها اليابان بروسيا عام ١٩٠٥ وجاءت الحرب العالمية الأولى لتكشف عن ضعفه وشدة حاجته إلى عون الشعوب المغلوبة فى القارتين الأسيوية والأفريقية ثم كان تغلغل العلم الأوربى والحضارة الغربية فى تلك البقاع المحرومة فأضرم سعير الوعى القومى وألهب شعلة الكفاح الوطنى فى شعوب آسيا للتحرر من ربقة الرجل الأبيض ، ولكى تكون آسيا للأسيويين .

فليس ما يعنيه نهرو إذن من باب الدعوات العامة ، بل هو من المطالب القومية المحددة لأنها تتعلق بوحدة الوطن فى شتى سماتها الأقليمية والجنسية

صوت الشرق عدد ١٦ فى يناير ١٩٥٤

والقومية فالسيطرة البرتغالية على بعض الجيوب فى سواحل ملبار والسيطرة الفرنسية على بعض الجيوب الأخرى فى ساحل كرومندل ليس لها ما يبررها من قانون أو عرف أو اتفاق وخاصة بعد تسليم بريطانيا للهند باستقلالها وجلائها عنها وهى التى وافقت على سيطرة هاتين الدولتين على تلك المساحات المحدودة من الساحلين منة وكرما منها وترضية لها عندما كان التناحر الاستعمارى فى عنفوانه لامتلاك تلك البقاع الغنية والسيطرة عليها .

وتبدأ قصة الجيوب البرتغالية على الساحل الغربى للهند عندما وصل الملاح البرتغالى فاسكودى جاما إلى ساحل ملبار وألقى مراسيه فى ميناء قاليقوت عام ١٤٩٤ وتوالت رحلات البرتغاليين إلى الهند بعد ذلك . ونجح كبرال بعد مقاومة عنيفة فى إقامة عدد من القواعد على ساحل ملبار . وكان قد طلب إليه أن يفرض سيادة البرتغال على تلك البلاد بالحسنى . فإن لم يوفق فالسيف أجدى وفى عام ١٥٠٢ توج البابا «اسكندر الثالث» ملك البرتغال بلقب سيد البحار والحاكم الأعظم والتاجر فى الحبشة و بلاد العرب وفارس والهند وفى عام ١٥٣٠ اتخذت البرتغال من « جوا » عاصمة للهند البرتغالية و بهذا كانت البرتغال أول من أقام دعائم الاستعمار الأوربى فى البحار الموسمية الغنية .

وقد نجح البرتغاليون فى إحتكار تجارة الهند طوال القرن السادس عشر حتى نفس عليهم الهولنديون ما أصابوه من ربح . وكانوا قد بدأوا نشاطهم الاستعمارى فوجدوا البرتغاليين يسدون أمامهم الطريق فى كل مكان فهاجموا قاعدتهم الهندية فى « جوا » وماوافى النصف الثانى من القرن السابع عشر حتى انهارت مراكز التجارة البرتغالية . ولم يبق فى أيديهم غير «جوا» و «دامان» « وديو » شاهدات على ما وصلت إليه هذه التجارة فى الأقاليم الموسمية الجنوبية

من تفوق ومن يومها إلى الآن والبرتغال تضع يدها على جوا ودامان وديو على الساحل الغربى للهند وتدعوها إمبراطورية الهند البرتغالية .

وتقع هذه البلدان الثلاثة فى ولاية بومباى وتبلغ مساحتها جميعاً ١ر٦٣٧ ميلا مربعا يسكنها ٦٣٧ر٨٤٦ نسمة ولا ريب أنها كقطرة فى خضم الأراضى الهندية الفسيحة وأكبر هذه البلدان وأهمها جميعا « جوا » فمساحتها وحدها ١ر٤٠٠ ميل مربع وسكانها ٥٤٧ر٧٠٣ نسمة ما بين هندوس ومسلمين ومسيحيين .

أما الجيوب الفرنسية وهى « ينام » « وكريكال » « وبوند تشرى » على الساحل الشرقى « وماهى » على الساحل الغربى فمن بقايا الاستعمار الفرنسى للهند أيضا وهو آخر ما اصطدم به الاستعمار البريطانى للفوز بتلك البلاد . ولم يكن الصراع بين الفرنسيين والانجليز فى الهند إلا صورة لنضالهما فى القارة الأوربية وانتهى كما انتهى الصراع فى أوربا بتفوق بريطانيا فأصبحت لها السيادة على القارة الهندية الواسعة .

وليست هذه الجيوب « الميكروسكوبية » كما يسميها الهنود تصويراً لضآلتها بالنسبة لمساحة البلاد الواسعة ، إلا مدنا منفصلة عن بعضها تماما ولا تبلغ من المساحة إلا ١٩٥ ميلا مربعا ، مما يعد أكبر دليل على تنطع الاستعمار الفرنسى للبقاء فى تلك المدن التى لا تراها العين على مساحة الهند المترامية الفسيحة الارجاء .

ويرجع وجود الفرنسيين فى ينام الى عام ١٧٣١ عندما سلم لهم صاحبها نظام حيدر آباد بملكيتها ، أما « ماهى » على الساحل الغربى فقد تنازل

عنها للفرنسيين راجا « باداجارا » عام ١٧٢١ . ثم استردها منهم ثانية وتخلى عنها مرة ثالثة بموجب إتفاقية أبرمها معهم عام ١٧٢٦ واغتصبها الانجليز من الفرنسيين أبان نضالهما الاستعمارى عام ١٧٦١ وظل الاثنان يتبادلانها حتى عام ١٨١٧ حين تركها الانجليز للفرنسيين للمرة الأخيرة .

وقد حصل الفرنسيون على كريكال من راجا « تانجورى » بثمن اسمى . وما أن أدرك الراجا خطأه حتى استرجعها ثانية ثم استعادها الفرنسيون مرة أخرى بمساعدة منافس له . حتى اغتصبها الانجليز ولم يتنازلوا عنها للفرنسيين إلا فى معاهدة باريس عام ١٨١٤ .

أما « بوندتشرى » فهى مقر الحاكم الفرنسى لتلك البلدان . وقد أسسها فرانسوا مارتن كمحط تجارى عام ١٦٧٤ واغتصبها الهولنديون من الفرنسيين عدة مرات حتى ارجعها اليهم البريطانيون لتؤول اليهم فى نهاية الأمر عام ١٨١٤ بمقتضى معاهدة باريس .

هذه هى قصة الجيوب الأجنبية فى الهند . وهى التى عناها نهرو بقوله « الهند للهنود » ولن تهدأ الهند حتى تعود جميعا إلى أرض الوطن

باكستان

أو قيام دولة

فى الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٧ أعلن قيام دولة الباكستان. وفى اليوم التالى أصبحت الباكستان دولة مستقلة تمثل أكبر الدول الإسلامية مساحة وعدد سكان.

وكلمة باكستان من وحى إقبال شاعرها العظيم وأحد روادها الذين طاف حلمها بخيالهم قبل أن تصبح دولة وتكون حقيقة ، ومعناها « أرض الطهر » وترمز الكلمة إلى المقاطعات الإسلامية فى الهند فالباء من بنجاب والألف من الباتان والكاف من كشمير والسين من سند اما ستان فمعناها دولة .

وتنقسم باكستان إلى شرقية وغربية يفصل بينهما محيط من الأراضى الهندية يبلغ فى أقصر مدى له ١٢٠٠ ميل ، فأما باكستان الشرقية فتتكون من إقليم شرقى البنغال وتبلغ مساحتها ٥٤٫٥٠١ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٤٢٫٠٦٣٫٠٠٠ نسمة وهى من أشد بقاع العالم ازدحاما بالسكان إذ يبلغ متوسط كثافة السكان فى الميل المربع ٧٧٧ نسمة ويرويها نهر الكنج وبرهما بوترا وروافدهما ، وأما باكستان الغربية فتتكون من السند والبنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان وإقليم العاصمة الإدارى حول كراتشى العاصمة وعدد من الأمارات أكبرها أمارة بها ولبور .

رسالة الباكستان عدد ١٣٦ فى ١٤ أغسطس ١٩٥٥ .

وتبلغ مساحة باكستان الغربية ٣١٠٫٢٣٦ ميلا مربعاً وعدد سكانها ٣٣٫٧٧٩٫٠٠٠ نسمة فهى بذلك أقل سكاناً وأقل كثافة فى نسبة السكان للميل المربع من باكستان الشرقية وتجرى فيها خمسة أنهار هى السند وروافده جيلام وشيناب وراوى وستليج و بياس وتنبع جميعا من كشمير .

ولقيام الباكستان قصة تتمثل فيها البطولة والعقيدة معا فالبطولة فى جهاد أبطالها الذين نادوا بفكرتها وعملوا على تحقيقها والعقيدة فى إيمانهم العميق بها إيماناً تبدو سورته فى جهاد السيد أحمد خان وفى شعر إقبال وفى كفاح قائدها الأعظم محمد على جناح .

فمنذ وفد الإسلام إلى الهند والمسلمون لهم القوة والجاه والسيادة فى شبه القارة العظيمة فكانت الدولة الإسلامية التى أسسها قطب الدين محمد الغورى عام ١١٩٣ أقوى دولها فقد وسعت كل شمال الهند من مرتفعات فنديا جنوبا إلى جبال الهملايا شمالا ثم تلتها أسرات إسلامية قوية حكمتها خلال القرون الخمسة التالية وإن لم تحاول أن تتوسع جنوبا أو تجعل من الهند دولة إسلامية موحدة .

وقد سبق دخول الإسلام الهند على أيدى التجار من العرب وكان للعرب علاقات تجارية مع الهنود ترجع إلى أبعد حدود التاريخ وإلى ما قبل الإسلام بزمن مديد ولكنهم حين وفدوا إليها مسلمين فى مطلع القرن العاشر وأقاموا على طول الساحل الغربى وصهروا إلى أهل البلاد فقد وضعوا الغرس الأول فى دوحة الإسلام الباسقة فى القارة الهندية، فلما وفد الغزاة المسلمون فى القرن الحادى عشر وجدوا الطريق ممهداً لنشر العقيدة الإسلامية فتركوا الناس أحراراً فى دينهم واكتفوا بجمع الجزية حتى أنهم تركوا على بعض الجهات حكامها من الهندوس. إلا أن

الدعوة الإسلامية سارت تسلك سبيلها ذللا فى محيط هندوكى متعصب استهوته سماحة الإسلام وعدالته والمساواة بين أتباعه فأقبل كثير من الهندوس على اعتناقه وكان للدعاة والتجار المسلمين من الأثر فى انتشار الإسلام تحت الحكم الإسلامى الجديد أكثر مما كان للغزاة والفاتحين .

وكان دخول الإسلام إلى البنغال الشرقية وهى التى تتكون منها باكستان الشرقية أعظم دليل على سماحة الإسلام التى جذبت إليها كثيراً من الهندوس فأقبلوا على اعتناقه أفواجاً . فنى القرن الثانى عشر غزت البنغال الشرقية أسرة هندوكية متعصبة نزت عليها من الجنوب وطبقت نظام الطبقات الهندوكى فى صرامة وشدة وتعصب فلما جاء المسلمون وغلبوا هذه الأسرة الحاكمة و بشروا بدينهم استهوت دعوتهم المغلوبين على أمرهم ورأو فى الدين الجديد مساواة لم يروها فى الديانة الهندوكية فأقبلوا على اعتناقه وتحولوا من الهندوكية إلى الإسلام وكان للدعاة والتجار المسلمين الذين انحدروا إلى تلك المناطق الموسمية الغنيه الفضل الأول فى نشر الدين الإسلامى فى أرجائها الواسعة وكان انتشار الإسلام فى البنغال الشرقية وأندونيسيا والملايو والصين على أيديهم .

واستمر المسلمون أصحاب السيادة فى الهند حتى بدأت جولة الاستعمار الأوربى ودخلت الهند تحت النفوذ البريطانى فعملوا على إضعاف المسلمين وكسر شوكتهم حتى يلين لهم الأمر فى المستعمرة الغنية الواسعة ، وثار المسلمون على الحكم البريطانى الجديد وثار معهم كثير من الهندوس وكانت أعباء الإدارة قد انتقلت من شركة الهند الشرقية إلى التاج البريطانى عام ١٨٥٣ . وما أن وافى عام ١٨٥٩ حتى كانت الثورة قد أخمدت وأصبح الهدوء يعم كل أرجاء الهند ، وانزوى المسلمون بعيداً عن التعاون مع الحكم الجديد ولكنهم كانوا قد وصلوا إلى درجة من التأخر حطمت قوتهم ولم يكن الهندوس

بأحسن منهم حالا فكان تأخر الطائفتين أعظم ما مهد للانجليز سبيل السيطرة عليهما معاً و إخضاع الهند لأمرهم .

و بقى المسلمون فى عزلتهم بينما أقبل الهندوس على المدارس التى افتتحها الإنجليز فى الهند وأصبحوا وقد آل إليهم كثير من أمور البلاد مما لا يليه الإنجليز .

وفى هذا الحال من التأخر والانحطاط اللذين نزلا بالمسلمين فى الهند كما نزل بغيرهم من المسلمين فى بلاد الإسلام الأخرى ، قام السيد أحمد خان يدعو المسلمين إلى حياة جديدة وتفكير جديد ورسم لهم السبيل وخط لهم النهج الذى يسلكون والطريق الذى يلجون وكان نهج العلم وطريق المعرفة ووضع لهم أساس جامعة عليكرة وأصدر عدداً من الصحف يدعو لفكرته فيها وعمل طوال حياته على جمع شتات المسلمين ولم شعثهم وتوحيد صفوفهم و بعث الإيمان العميق بحضارتهم وقوتهم كما كان أجدادهم الأوائل .

وفى ظل هذا الضعف الذى ألم بالمسلمين بدأ الهندوس يشنون حملاتهم عليهم ونفخ الاستعمار فى سعير الخلاف بين الطائفتين وازدادت شدة الخلافات والعداوات بينهما حتى آمن السيد أحمد خان بأن الهندوس والمسلمين لن يجمع بينهما وئام ولن تكون ألفة بين الفريقين وأن الأقلية الإسلامية ستضيع فى ذلك المحيط الهندوسى الزاخر ، وكان يدرك تماماً أن الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوكية حضارتان متنافرتان هذا فضلا عن اختلاف اللغة والتقاليد فرفض أن يشترك المسلمون فى أى تمثيل نيابى للهند وقال فى ذلك « فى بلد كالهند تتقسمه الطبقات وتنوشه النزعات الدينية المتفرقة الحادة وليس فيه من

أسباب التربية والإدراك الصحيح ما يدفع الناس إلى الإيمان بالمساواة والعدالة فى الحقوق والواجبات ، أرى بل أومن أن الانتخاب والتمثيل النيابى ضار أكثر منه نافع » .

وقد تابع السيد احمد خان أعمال حزب المؤتمر الهندى وكان قد أنشىء عام ١٨٨٥ وانتهى إلى الحكم عليه بضيق أفقه فلم يؤمن به ولم يسر فى ركابه ودعا المسلمين إلى عقد مؤتمر سنوى يضم ممثلى المسلمين من كافة الأقاليم الهندية المختلفة فوضع بذلك الأساس الذى قامت عليه الرابطة الإسلامية التى قادت الحركة الاستقلالية لدولة باكستان .

وفى عام ١٩٠٦ تكون حزب الرابطة الإسلامية بعد ثمان سنوات من وفاة السيد أحمد خان فكان قيامه البداية الحقيقية للحركة القومية التى سار فيها مسلموا الهند ونفخ السيد أحمد خان فى جذوتها من قبل . وكان أول ما نادى به حزب الرابطة الإسلامية كفالة حقوق المسلمين وحماية حقوقهم السياسية والإدارية .

وفى ذلك الوقت واجه المسلمون قرار تقسيم البنغال وكانت الحكومة البريطانية قد حملت عليه إرضاء للمسلمين ومنعا للاحتكاك بينهم و بين الهندوس إلا أن غضب الهندوس لهذا القرار لم يجاوزه حد فنز تعصبهم وثارت ثائرتهم و بدأت المعارك الطائفية على أشدها بين الفريقين حتى دفعت المعتدلين من المسلمين إلى النزوع عن عزلتهم والنزول إلى ميدان المعركة ، فأخذوا يطالبون بتمثيل المسلمين فى إدارة البلاد كطائفة لها كيانها وذاتيتها الخاصة . واضطرت بريطانيا إلى إصدار تشريعات « مورلى — منتو » عام ١٩٠٩ وكان من رأى لورد مورلى أن تطبيق النظام الديمقراطى البرلمانى لا يصلح فى الهند فإن

من أول قواعده بداهة الاتساق والتجانس الثقافى والدينى وهذا مالا يوجد فى الهند وكان من رأى المسلمين أن يكون التمثيل النيابى طائفيا حتى لا يضيعوا وسط الأغلبية الهندوكية الماحقة .

ثم ألغت الحكومة البريطانية قرار تقسيم البنغال عام ١٩١١ فاهتزت أفئدة المسلمين هلعا لهذا القرار ورأى حزب الرابطة الإسلامية أن يطالب بحكومة ذاتية للهند .

وشهدت السنوات التالية من سنى الحرب العالمية الأولى تعاونا وثيقا بين الحزبين الكبيرين فى الهند لوضع قواعد الحكم الذاتى كان من آثاره « ميثاق لكناو » عام ١٩١٦ وقد حدد أهداف الحركة الاستقلالية فى الهند واعترف للمسلمين بحق التمثيل الطائفى فى الانتخابات النيابية فحلت بذلك مشكلة من أعقد المشاكل التى واجهت تعاون الهندوس والمسلمين ، غير أن الاشتباكات الطائفية تجددت فى العام التالى فعكرت الصفاء الذى ساد علاقات الفريقين فى مؤتمر لكناو و بدا أن قيام اتحاد بين المسلمين والهندوس ضرب من المستحيل .

وفى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد بلندن فى نوفمبر سنة ١٩٣٠ طالب المسلمون بوجوب النص فى الدستور على كفالة حقوقهم إلا أن غاندى ورفاقه من أعضاء حزب المؤتمر تمسكوا بمبدأ استقلال الهند على أساس الوحدة ورفضوا منح المسلمين أية ضمانات من نوع معين .

و بينما كانت اجتماعات المائدة المستديرة تعقد بلندن ورجال حزب المؤتمر يطالبون بوحدة الهند المستقلة دون ما اعتبار للفوارق الطائفية وقف

الدكتور محمد إقبال فى اجتماع حزب الرابطة الإسلامية السنوى فى « الله أباد » وطالب بقيام دولة إسلامية فى الهند ، ومما جاء فى خطابه ذاك قوله « ليست المجتمعات الهندية كالمجتمعات الأوربية فالهند قارة عظيمة تضم أشتاتاً من العناصر والطوائف تباينت أديانها وتعددت لغاتها واختلفت تقاليدها فلا يمكن للديمقراطية الأوربية أن تطبق فى الهند من غير أن يسبقها اعتراف بكيان هذه المجتمعات الطائفية فإذا طالب المسلمون فى الهند بتأسيس دولة إسلامية فإن لمطلبهم ما يبرره و بودى أن ارى البنجاب و إقليم الحدود الشمالية الغربية والسند و بلوخستان وقد ضمتها دولة واحدة » .

وقد عبر إقبال فى خطابه هذا عن حلمه العميق بقيام دولة باكستان . وانتقل قياد حزب الرابطةالإسلامية وقتذاك إلى القائد الأعظم محمد على جناح وكان فى بداية حياته السياسية من أنصار الوحدة والتعاون بين المسلمين والهندوس غير أن التجارب القاسية قد غيرت من تفكيره واتجاهه فآمن بالتقسيم وسار فى إيمانه الجديد لا يتراجع ولا يلين حتى كان قيام دولة الباكستان على يديه .

واعتنق حزب الرابطة فكرة إقبال ووافق فى دورته التاريخية بلاهور عام ١٩٤٠ على « قرار الباكستان » وكان إقبال قد انتقل إلى جوار ربه قبل ذلك بعامين ولكن عقيدته وحلمه العظيم بقيام الباكستان قد أصبحا عقيدة القائد الأعظم محمد على جناح وحزب الرابطة الإسلامية ومن ورائهما مائة مليون مسلم .

وفى اجتماع سملا الذى دعا إليه نائب الملك « لورد و يفل » أصر جناح على قيام الباكستان وفشلت المباحثات .

وبذلت محاولات عديدة فى أعقاب الحرب للتوفيق بين حزب الرابطة والمؤتمر باءت كلها بالفشل حتى استنفذت بريطانيا كل محاولاتها ولم تجد بداً من قبول الأمر الواقع فأعلنت فى ٣ يونية سنة ١٩٤٧ قبول فكرة تأسيس الباكستان وفى منتصف أغسطس من نفس العام أعلن قيام دولة الباكستان بعد التقسيم فظهرت إلى الوجود مرة أخرى أكبر دولة إسلامية فى العالم .

وليست الباكستان أول دولة إسلامية تقوم فى الهند بل سبقها إلى الوجود قيام دول إسلامية عديدة مدت سلطانها وسيطرتها على كل شمال الهند وكان بوسعها أن تمتد جنوبا وتوحد الهند تحت الحكم الإسلامى .

وقد ترك الحكم الإسلامى فى الهند أجمل آثار الهند الباقية وأروع ثقافاتها وتقاليدها فليست الباكستان إلا امتداداً لهذه الدول الإسلامية التى سبقت والتى حكمت الهند زهاء خمسة قرون طوال .

فقيام الباكستان له وجوده التاريخى الذى يؤيده والذى امتد قرونا من الزمان تأصل فيها بناء الدولة الإسلامية الكبرى فى الهند وانتشار الإسلام فى شبه القارة الواسعة ، وقبل أن تقوم الباكستان على أساس دينى فإنها تستمد كيانها القومى من هذا الوجود التاريخى القديم .

والهند قارة عظيمة تعددت وحداتها الإقليمية والجنسية واللغوية والدينية ولم تشهد فى يوم من الأيام قيام دولة موحدة استطاعت أن تمد سلطانها على كل بقاعها إلا تحت الحكم البريطانى فليس للهند من الكيان القومى ما للقوميات الأوربية الحديثة التى تقوم على وحدة الوطن واللغة والدين والثقافة .

فإذا ظن قيام الباكستان على أساس دينى شذوذاً فى تاريخ الدول والقوميات فلأن الدين فى الهند هو الرباط الذى يؤلف إليه أقواماً اختلفت أمزجتهم وتقاليدهم وثقافتهم ومواطنهم وعناصرهم ، فالعناصر الإسلامية مثلا قد تركزت فى المناطق الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من الهند وهم فى هذه المناطق يكونون الكثرة التى تؤكد وحدتهم وتؤيد قيام دولتهم بينما ينتشر الهندوس فى هضبة الدكن وفى المناطق الشمالية الوسطى .

والمسلمون فى الهند على كثرتهم أقلية وسط المحيط الهندوكى الهائل فهم يبلغون ربع سكان الهند ، ولم يكن من الممكن أن تعيش هذه الأقلية الإسلامية فى ذلك المحيط الهندوكى المتعصب وقد ضمنت حقوقها واطمأنت على كيانها . وقد دفع التعصب الهندوكى والمذابح التى أوقعها الهندوس بالمسلمين ، رواد الباكستان ودعاتها من السيد أحمد خان إلى القائد الأعظم محمد على جناح إلى الإيمان بضرورة التقسيم وقيام الباكستان الإسلامية .

والتعصب الهندوكى لا يقوم على العقيدة والإيمان قدر ما يقوم على اختلاف الطبائع والعقائد فهو لذلك متجدد دائم باق ما دام تباين العقيدة وبقى تباين الطقوس والمقدسات الدينية فذبح المسلمين للبقرة كفيل بوقوع المذابح بين الطائفتين ما بقى الهندوس يقدسون البقرة .

فقيام الباكستان ضرورة أملاها واقع التاريخ وواقع المصلحة والعدالة لمائة مليون مسلم .

هذه هى قصة قيام الباكستان أكبر دول العالم الإسلامى ، قصة ملئت بالكفاح قدر ما ملئت بالإيمان ودعتها الحاجة كما دفعها الواقع وهى فى حاضرها تتطلع بعين اليقين والأمل إلى المسلمين فى كافة بقاع الأرض .

كشمير

بين الهند وباكستان

« تبلغ مساحة كشمير وجمو ٨٤٤٧١ ميلا مربعا .

وببلغ عدد سكانها نحو أربعة ملايين نسمة يؤلف المسلمون بينهم الأكثرية الكبرى .

وهى بلاد زراعية يجود الخشب فى غاباتها حتى يكون أهم صادراتها .

والمسلمين فى كشمير تاريخ قديم يرجع عهده إلى سنة ١٣٣٩ ميلادية عندما تم للعاهل المسلم شاه أمير فتحها .

وفى سنة ١٥٨٧ خضعت كشمير لحكم المغول المسلمين وبقيت تابعة لأمبراطوريتهم حتى سنة ١٨١٩ عندما فتحها أحد أمراء السيخ .

وفى سنة ١٨٤٦ باع البريطانيون وادى كشمير إلى أحد أسلاف المهراجا الحالى بمبلغ قدره ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ روبية وذلك بموجب معاهدة أمرتسار المشهورة والتى قضت فيما قضت بأن يقدم المهراجا إلى الحكومة البريطانية كل عام حصاناً واثنى عشر معزى وثلاثة أزواج من الشال الكشميرى هدية اليها واعترافاً بسيادتها . . . »

* * *

فى أقصى الشمال من شبه القارة الهندية العظيمة وفى المنطقة الجبلية التى تمتد من نهاية سهول البنجاب إلى جبال قره قورم تقع ولاية جمو وكشمير ، تمتد حدودها مع حدود سنكيانج نحو الجنوب الشرقى مسافة أربعمائة ميل وتساير حدود التبت إلى الشرق منها مسافة أربعمائة وخمسين ميلا أخرى وتشترك مع الهند فى حدود يبلغ طولها ثلثمائة وخمسين ميلا جنوباً ثم تسير نحو الشمال الغربى مع حدود الباكستان سبعمائة ميل تلتقى فى نهايتها بحدود

مجلة الوعى — كراتشى — العدد ١٨ فى يناير سنة ١٩٥٦ .

افغانستان إلى مسافة مائة وستين ميلا تنتهى عند التقائها بحدود الاتحاد السوفيتى وحدود سنكيانج .

وتبلغ مساحة جمو وكشمير ٨٤٤٧١ ميلا مربعاً فهى بذلك أكثر من ستة أضعاف مساحة مصر الزراعية وبالرغم من عظم مساحتها هذه فلا يزيد عدد سكانها على أربعة ملايين ونصف مليون نسمه أغلبيتهم العظمى من المسلمين والأقلية من الهندوس والسيخ وبعض البوذيين الذين يعيشون فى مقاطعة لداخ بالقرب من التبت . وتقدر نسبة المسلمين إلى غيرهم من الأقليات الأخرى بأكثر من ٧٨ ٪ من مجموع السكان .

ومشكلة كشمير هى إحدى مشكلات التقسيم بين الهند وباكستان ومن ناحية أخرى إحدى المشكلات التى تخلفت عن الوضع الذى كان لهند الأمراء فقد كان هناك إبان الحكم البريطانى ما يعرف بالهند البريطانية بمقاطعاتها الثمانية ثم هند الأمراء ، وفى هند الأمراء كان هناك أكثر من ٥٨٠ إمارة لكل منها كيانها الاقتصادى الخاص وتختلف فى مساحتها كما تختلف فى عدد سكانها فمنها الأمارات الكبرى كإمارة « حيدر أباد » التى تبلغ مساحتها ٨٢ ألف ميل مربع وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة ، ومنها الصغرى كإمارة « فارنولى نانا » لا تزيد مساحتها على ميل مربع ولا يتجاوز عدد سكانها مائة نسمة .

وقد وسعت هند الأمراء ٤٥ ٪ من المساحة الكلية لشبه القارة بينما لا تتجاوز نسبة سكانها إلى سكان الهند ٢٤ ٪ .

وعند التقسيم انضم عدد قليل من هذه الأمارات إلى باكستان وهى :

(آمب ـ بهاولبور ـ شترال ـ دير ـ قلات ـ خيربور ـ خاران ـ لاسبيلا ـ مانا فادر ـ مكران ـ صوات ـ جونا كاد) . أما أغلبها فقد انضم إلى الهند و بقى من بين هذه الأمارات العديدة أمارتان اختارتا الاستقلال هما أمارة حيدر أباد الدكن ويحكمها نظام حيدر المسلم بينما أغلبية سكانها من الهندوس ، ثم أمارة جمو وكشمير و يحكمها مهراجا «دوجرا» الهندوكى . وكان جده الأكبر قد ابتاعها من شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٨٤٦ ، أى منذ قرن تماما قبل التقسيم ، وذلك مقابل سبعة ملايين ونصف مليون روبية أو ما يعادل مليون جنيه .

وكان الأمر شاذاً بالنسبة لكل من الامارتين . فحيدراباد الدكن تقع وسط الهضبة وتحيط بها الهند من جميع جهاتها ولم يكن من اليسير أن تحتفظ باستقلالها أو تحترم الهند لها هذا الاستقلال فسرعان ما ادعت الهند أن سكانها يلاقون العنت والاضطهاد من الأقلية المسلمة و اجتاحت الإمارة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ولم يكن فى وسعها أن تقاوم فسلمت بعد مرور خمسة أيام على غزوها .

أما جمو وكشمير فالأمر فيها يختلف . فهى تتاخم باكستان من ناحية كما تتاخم الهند من ناحية أخرى ولولا ما نص عليه دستور التقسيم خاصا بحقوق الأمراء فى تقرير تبعية إماراتهم دون شعوبهم لما كانت مشكلة كشمير ولا نتهى أمرها بأن تصبح جزءاً من باكستان ، فالصلات والروابط التى تربط كشمير بباكستان أقوى من تلك التى تربطها بالهند لا من حيث الدين فحسب ، وهو القوة الكبرى التى وقفت وراء التقسيم ، ولكن من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية . فكشمير هى القلعة الأمامية لمدخل باكستان الشمالى بدونها تصبح سهول البنجاب

المنبسطة المستوية بابا مفتوحا أمام الغزاة . على أن الروابط الاقتصادية التى تربط كشمير بباكستان تفوق ما عداها بالنسبة لمستقبل كل منهما فالترع والقنوات والأنهار التى تغذى البنجاب بمياه الرى تعتمد على كشمير حيث تجرى روافد السند وحيث توجد مصادر القوى المائية . والمواصلات النهرية التى تربط كشمير بالعالم الخارجى تمر عبر باكستان تحمل الأخشاب والماشية والصناعات التى تميزت بها كشمير ولا سيما صناعة الأصواف التى عرفت بها منذ القدم وأصبح اسمها يطلق على الجيد منها عند العرب .

على أن المشكلة ذاتها بالنسبة للدولتين الشقيقتين هى مشكلة الخلاف بينهما على مبدأ التقسيم فالهند وعلى رأسها نهرو تؤمن بالوحدة الاقليمية لشبه القارة الهندية وتراها دليلا وعنوانا على وحدتها القومية ولا تلقى بالا إلى الخلاف الدينى بين المسلمين والهندوس وترى أن هذا الخلاف لم يستشر الاخلال الحكم البريطانى الذى ألهبه بسياط من الشك والعداء والكراهية والتعصب المقيت وإن الزمن كفيل بمسح ما خلف الماضى من إحن فى قلوب الفريقين تحت حكم ديموقراطى سليم تتوارى فيه الخلافات الدينية وتنسى الأحقاد والاحن .

أما الباكستان فترى أن التقسيم ضرورة لا يوجبها اختلاف العقيدة وتباين الدين ولكنه بالنسبة للمسلمين والهندوس ليس اختلافا بين عقيدتين أو دينين ولكنه اختلاف بين نظامين اجتماعيين لا يمكن لأحدهما أن يعيش بجوار الآخر فإن الاختلاف بين الطقوس والعبادات يجر إلى ممارسة عادات وتقاليد يحرمها فريق و يستحلها الفريق الآخر ثم إن هذه العادات والتقاليد تكاد تمتد إلى كل مظاهر الحياة عند الفريقين ، فذبح البقر مثلا كفيل بوقوع مذابح

لا يعلم غير الله مداها بين المسلمين والهندوس . وقد جرب المسلمون الحياة فى ظل نظام ديموقراطى أو شبه ديمقراطى واحد مع الهندوس وانتهت التجربة بفشل ذريع أيقن بعده المسلمون أن الحياة لا تستقيم لهم مع الهندوس . ففى قانون حكومة الهند الصادر عام ١٩٣٥ كفلت حقوق الاقليات فلما أجريت الانتخابات عام ١٩٣٧ وولى حزب المؤتمر الحكم فى المقاطعات السبع التى تقطنها أقلية إسلامية بعد فوز مرشحيه شكلت وزارة ظلت تحكم حتى نوفمبر عام ١٩٣٩ ولقيت الأقلية الإسلامية من هذا الحكم ما جعل المسلمين يؤمنون باستحالة الحياة تحت حكم الهندوس حتى إنهم احتفلوا باليوم الذى غادر فيه وزراء حزب المؤتمر مناصبهم وسموه « يوم الخلاص » فمشكلة كشمير إذا كانت فى ذاتها نتيجة للوضع الذى كان لهند الأمراء وما كفله دستور التقسيم لهم من حق الاختيار دون شعوبهم ، فإنها أول كل شىء مشكلة الخلاف على مبدأ التقسيم فإذا انتهى الخلاف بقبول التقسيم ورضى الفريقان وقبلاه وظهرت إلى الوجود دولتا الهند والباكستان ، فإن الخلاف على مستقبل كشمير لا يعدو أن يكون تكراراً لما جرى حول هذا المبدأ من قبل بين حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية حول تقسيم الهند فكشمير جزء من باكستان لا من حيث الموقع ولا من حيث الوحدة الدينية والاقتصادية والاستراتيجية ولكن لأن الحياة جرت بالهند إلى أن تكون فيها دولتان دوله هندوكية وأخرى إسلامية ولن تستقيم الحياة على غير هذا الوضع .

بختونستان

بين باكستان وأفغانستان

فى ٢٩ مارس سنة ١٩٥٥ جرت مظاهرة فى كابول عاصمة أفغانستان انتهت باعتداء المتظاهرين على مبنى السفارة الباكستانية والعلم الباكستانى فوقعت الأزمة بين الدولتين وثارت مشكلة بختونستان من جديد .

وعلينا أن نفرق تماما فى النزاع القائم بين باكستان وأفغانستان : بين التوتر الحالى فى علاقات الدولتين بسبب حادث العلم الباكستانى فى كابول والعلم الأفغانى فى بشاور ، وبين الخلاف على بختونستان أو إقليم الحدود الشمالية الغربية ، وإن كان الخلاف على هذا الإقليم هو الأصل فى هذا التوتر بين الدولتين الإسلاميتين الكبيرتين العزيزتين على قلب كل مسلم فى جميع بقاع العالم الإسلامى .

وقد بدأ هذا الخلاف بمولد دولة الباكستان فى صيف عام ١٩٤٧ بعد إعلان الاستقلال والتقسيم ، ففى هذا التقسيم ضمت منطقة الحدود الشمالية الغربية إلى باكستان بعد استفتاء صوت فيه أغلب سكان الإقليم بالانضمام إلى باكستان ، وكان مشروع التقسيم قد نص على إجراء هذا الاستفتاء بين سكان الأقليم .

ولم ترض أفغانستان بضم شعب الباتان أو البختون الذى يقطن منطقة الحدود الشمالية الغربية إلى باكستان ، ورأت أنهم باعتبارهم شعبا منفصلا له

صرخة العرب عدد ٦ فى يونيه ١٩٥٥

مميزاته الخاصة له الحق فى تقريره مصيره ، وأن تكون له دولة ذات سيادة وتقول أفغانستان أنهم أقرب شبها إلى الأفغانيين منهم إلى الهنود أو الباكستانيين .

وترى باكستان أن حقها فى ضم هذا الاقليم إليها حق طبيعى يؤيده القانون الدولى والمعاهدات المبرمة من قبل لتقرير تبعية الإقليم كما تؤيده الأحداث التاريخية والعلاقات القديمة وأخيراً رغبة الشعب نفسه التى أبداها فى الاستفتاء الذى تم عند تقسيم القارة الهندية إلى هند و باكستان .

وسند الباكستان من القانون الدولى «أن الأمور تنتقل بانتقال ملكيتها أى أن المعاهدات التى ترثها الدولة عن الدولة التى سبقتها فى الحكم تظل سارية وأن جميع واجبات الدولة السابقة وحقوقها تنتقل إلى الدولة اللاحقة » .

وقد سبق أن أبرمت اتفاقية بين الحكومة الانجليزية فى الهند و بين أفغانستان حول هذه الحدود قبلتها الدولتان ، وأكدتاها فى مناسبات عديدة بعد ذلك .

غير أن أفغانستان ترى أن هذه الاتفاقية قد سقطت وأصبحت لاغية بانتهاء الحكم البريطانى للهند، وأنها لا ترتبط قبل باكستان بأية واحدة منها فإنها أبرمت أصلا بينها و بين الحكومة البريطانية وتعرف هذه الاتفاقية باتفاقية خط « ديور اند » نسبة إلى « سير مورتيمر ديوراند » الذى رأس البعثة الانجليزية فى المفاوضات بين بريطانيا وأفغانستان لتخطيط الحدود بينها و بين الهند .

وقد أبرمت هذه الاتفاقية عام ١٨٩٣ وعرف خط الحدود الذى أتفق عليه بخط ديوراند ونصت الاتفاقية على ألا تتدخل الحكومة الأفغانية فى شئون المناطق الواقعة على جانبه الشرقى .

وفى عام ١٩٠٥ وافق الأمير حبيب الله خان ، باستمرار العمل باتفاقية خط ديوراند وفى عام ١٩١٩ أكدها الملك أمان الله خان ، وفى عام ١٩٢١ أبرمت اتفاقيــة أخرى تعهدت فيها كل من الحكومتين بعــدم المساس بسيادة الآخر أو التدخل فى شئون بلاده وأكدت مرة أخرى نصوص اتفاقية ديوراند .

وعنــد اعتلاء الملك نادر شاه عرش الأفغان عادت الحكومتان الانجليزية والأفغانية فأكدتا اتفاقية عام ١٩٢١ ، فلما أقر البرلمـان البريطانى قانون حكومة الهند عام ١٩٣٥ حدد هذا القانون الأراضى الهندية واعتبر خط ديوراند هو الحد الفاصل بينها و بين أفغانستان .

أما البختون أو الباتان كما يسمون أحيانا وهم موضع الخلاف بين باكستان وأفغانستان فيبلغ تعدادهم سبعة ملايين نسمة يقطنون المنطقة الجبلية الواقعة إلى الغرب من حوض نهر السند على امتداد خط ديوراند شرقا وغربا ، غير أن غالبيتهم وتبلغ خمسة ملايين نسمة تتفرقهم ولاية بلوخستان وإقليم الحدود الشمالية الغربية . و يستوطن أفغانستان مليونان منهم جالية كبيرة تقيم فى كابول العاصمة وهى التى قامت بمظاهرتها التى انتهت بالاعتداء على السفارة الباكستانية والعلم الباكستانى .

وللبختون تاريخ طويل يمتد إلى أبعد حدود التاريخ ففى حوض نهر السند قامت أقدم حضارات التاريخ فى وسط آسيا ولا يدانيها فى قدمها غير حضارة مصر الفرعونية وحضارة الصين . والبختون شعب جبلى محارب شديد المراس تاريخه حافل بآثار الحروب والمعارك التى خاض غمارها منذ غزو دارا

الفارسى والاسكندر المقدونى للهندحتى احتلال الانجليز لها وكانت لهفى المعارك التى خاض غمارها مواقف مشهورة دلت على شجاعة بنيه وغرامهم بالحرب . ويتكلم البختون لغة تعرف «بالباشتو» وهى لغة قديمة من أصل آرى لها آدابها وثقافتها المتميزة وهى أقرب ما تكون إلى اللغة السنسكريتية أشهر اللغات الهندية القديمة ، وينسب أول شعر بلغة الباشتو إلى شاعرهم الأمير قورور وكان معاصرا لأبى مسلم الخراسانى .

وتؤيد أفغانستان استقلال أقليم الحدود الشمالية الغربية ، على اعتبار أن البختون أقرب شبهاً إلى الشعب الأفغانى منهم إلى شعب باكستان وكانت بلادهم تابعة لبلاد الأفغان فى عصور عديدة وأن لغتهم هى إحدى اللغات التى يتكلمها الشعب الأفغانى .

وتقول باكستان أن دعوى الأفغان يعوزها كثير من المنطق فالشعب الأفغانى كالشعب الباكستانى يتكون من عديد من العناصر كما يتكلم من اللغات الفارسية وهى اللغة الرسمية للدولة ولغة الأزبك ثم لغة الباشتو ، فاللغة والعنصر لا يقومان فى تلك المناطق دليلا على التبعية ، أما أن البختون كانوا تحت الحكم الأفغان لفترات عديدة فهذا بدوره فى حاجة إلى السند التاريخى فإن هذه المنطقة الجبلية لم تكن فى يوم من الأيام ذات كيان خاص وكانت الحدود فى تلك المناطق مشاعا لكل غالب وملكا لكل غاز .

وقد بدأت أفغانستان تثير مسألة بختونستان بعد انتهاء الحكم البريطانى فى الهند وظهور دولة باكستان وهى التى خلقت اسم بختونستان جريا على التسمية التى تطلق على أقليم أزبكستان الذى يقطنه الأزبك وأقليم بلوخستان الذى يقطنه البلخيون ولكن الباكستان لا ترى لهذه التسمية معنى وتراها بدعة ولدها الطمع الأفغانى .

وتطالب أفغانستان للبختون بحق تقرير المصير ، وتقول أن الاستفتاء الذى تم عند تقسيم الهند لا يصلح للتعبير عن هذا المعنى بل كان يدور حول التقسيم والتبعية أما للهند أو لباكستان ، وقد تم الاستفتاء وكانت النتائج فى صف باكستان فقد كان طبيعياً أن يصوت المسلمون إلى جانب الدولة الإسلامية لا إلى جانب الدولة الهندوكية . إلا أن ولاء البختون لباكستان قد ظهر فى مناسبات عديدة بعد ذلك ففى المؤتمر الذى عقده جماعة خدام الله فى أغسطس عام ١٩٤٧ أعلنت الجماعة أنهم يعتبرون باكستان وطنهم الكبير ، بل ولأجل ذلك أعلنت جماعة خدام الله انقطاع الصلة التى كانت قائمة بينها و بين حزب المؤتمر الهندى إذلم يعد هناك داع لبقائها بعد التقسيم ، وكان تعاون جماعة خدام الله وحزب المؤتمر فى فترة الكفاح للاستقلال تعاوناً قوياً وطيداً .

وعندما اجتمع أول برلمان لإقليم الحدود الشمالية الغربية أعلن الجميع بما فيه حزب المعارضة الذى يمثل جماعة خدام الله يمين الولاء لباكستان والواقع أن الخلاف بين البختون و باكستان يدور حول مسائل شكلية لا ترقى إلى الانفصال ولكن الخلاف الحقيقى حول مستقبل البختون هو ما بين أفغانستان و باكستان.

أما القشة التى قصمت ظهر البعير وطفت بالمشكلة إلى سطح الأحداث فتجاوبت أصداؤها بقاع العالمين ، فهى حادثة العدوان على سفارة باكستان فى كابول و إهانة العلم الباكستانى، ففى ٢٧ مارس الماضى[1] قررت حكومة باكستان ضم إقليم الحدود الشمالية الغربية وولايات باكستان الغربية فى وحدة إدارية واحدة ، وقوبل هذا القرار بحملة عنيفة من جانب الحكومة الأفغانيه ، فأذاع رئيس وزراء أفغانستان فى ٢٩ مارس بياناً يندد فيه بهذا القرار و ينذر بأوخم

---

(١) مارس سنة ١٩٥٥ .

العواقب ، و بعد ذلك خرجت المظاهرة التى انتهت بالاعتداء على السفارة الباكستانية .

وتأزمت الأمور بين الدولتين وطالبت الباكستان بالترضية الكافية ، ووقع فى تلك الأثناء اعتداء مماثل على قنصلية الأفغان فى بشاور وحشدت كل من الدولتين قواتها .

وظل التوتر بين الدولتين ينذر بأوخم العواقب ولكن الأمل فى انقشاع غيوم الأحن كانت تحدوه روابط التاريخ العزيزة على قلب الشعبين الشقيقين. وصدق الأمل وانجابت غمامة الشر وخف التوتر ورضيت الأمتان على غير اتفاق وتصالحا على غير قرار و بقيت المشكلة معلقة .

ملاحق

مواثيق ومعاهدات

« رجعنا فى جمع هذه المواثيق والمعاهدات إلى النصوص الرسمية فى وزارات الخارجية والسفارات المعنية وجامعة الدول العربية ».

المؤلف

ملحق (١)

الكتاب الازرق للفريق نوري السعيد

الصادر فى سنة ١٩٤٣

عزيزى مستر كيزى

أثر محادثتنا حول مستقبل الدول العربية قررت عملا بنصحكم أن أكتب مذكرة عن الموضوع أعرب فيها عن تفسيرى الشخصى للمشاكل التى تجابهنا وأعرض أفكارى لحلها . وقد أعددت المذكرة المرفقة بنفسى و بصفتى الشخصية ورغم علمى أن كثيرين من زملائى ومن غيرهم من الزعماء العراقيين لهم آراء مماثلة غير أنى لا أريد أن ينظر إليها بشكل ما بوصف كونها معبرة عن سياسة الحكومة العراقية .

ونظراً لشدة انشغالكم هذه الأيام مما لايمكن معه توقع قراءتكم تفاصيل التعهدات والوعود التى بذلت منذ أربع وعشرين سنة مضت وجميع المناقشات التى دارت منذ ذلك التاريخ فقد حاولت أن أعرض موجزاً سريعاً قدر الإمكان لما حدث منذ نهاية الحرب الماضية . ومع أن استقرائى للخلافات الماضية بين العرب والبريطانيين والفرنسيين قد لايخلو طبعاً من الميل فقد نظرت إلى الموضوع — فى إعداد هذه المذكرة — نظرة مجردة قدر الإمكان .

و إنى أحس بالنظر للنشاط الأخير للمنظمات الصهيونية فى انجلترا وأمريكا

أن تصريحاً يجب أن يصدر عن بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية خاصاً بمستقبل الأراضى العربية التى كان تشكل سابقاً جزءاً من الامبراطورية العثمانية . وقد جعلت جريدة (البالستين بوست) فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢ الصدارة لتقرير عن المظاهرة العامة التى سارت فى لندن فى أول نوفمبر الماضى تحت رعاية الاتحاد الصهيونى وأرسلت فيه رسائل عطف من عدد من الشخصيات البارزة الذين لهم الحق فى أن يعتنقوا ما يشاءون من الآراء . على أن الدهشة اعتورتنا لأن نرى وزيرين يرسلان رسائل عطف وقد أعلن الاتحاد الصهيونى دائماً أنه يعنى بالوطن القومى بفلسطين قيام دولة يهودية مستقلة وأن العطف على الصهيونية معناه تأييد سياستها فى إنشاء دولة فى فلسطين وذلك رغم أن الحكومة البريطانية قد أعلنت فى مرات كثيرة و بشكل قاطع أن هذه ليست سياستها .

ونحن فى العراق لا نسمح بنشر مثل هذه الأنباء وذلك لرغبتنا فى عدم استثارة الشعور العربى ضد اليهود والبريطانيين . بيد أنه إذا سمح للصهيونيين والذين يعطفون عليهم الاستمرار فى دعايتهم فسيصبح من العسير جداً على الزعماء العرب كبح جماح الصحفيين والساسة العرب من القيام بدعاية مضادة فى الدول العربية . ومن سوء الطالع أن أصدقاء القضية العربية فى انجلترا وأمريكا قد عانوا دائماً أكبر المشقة فى نشر آرائهم وهم الآن بالنظر لظروف الحرب فى موقف أشد سوءاً نتيجة لضيق الحيز فى الصحف . ثم أن الاضطهاد المريع الذى يعانيه اليهود فى المانيا و إيطاليا وأوروبا المحتلة قد أثار بالطبع العطف على اليهود عامة وكل من يكتب أو يتحدث ضد الصهيونية فى خطر من النظر إليه باعتبار أنه يحبذ هذه الاضطهادات .

ومنذ زمن ليس ببعيد قام الصهيونيون بحركة لانشاء جيش يهودى فى فلسطين وغيرها لمحاربة المحور وقد رفضت الحكومة البريطانية قبول هذا الأمر على أن الصهيونيين استغلوا ما أعلن أخيراً عن المذابح اليهودية فى بولندا وألمانيا لبذل الضغط من جديد لانشاء جيش يهودى وقد نجحوا فى ضمان تأييد قوى لهذا الأمر فى الولايات المتحدة .

أن انشاء جيش يهودى لا علاقة له بفلسطين أمر لا يهم العرب فى فلسطين أو الدول العربية ولكن هل يرضى الصهيونيون بجيش يهودى منفصل عن الوطن القومى أو عن صهيون (فلسطين) ؟ إذا كانت هناك أية نية فى تجنيد مثل هذا الجيش فى فلسطين أو استخدامه فى فلسطين أو فى الدول العربية المجاورة فسيضطر العرب إلى اعتبار أن النية موجهة إلى ارغام الأمم المتحالفة على قبول الطلب الصهيونى بإنشاء دولة يهودية وأن الغرض الأخير من هذا الجيش هو محاربة العرب بغزو فلسطين وأن بعض اليهود كما تعلمون يفاخرون بإنهم يملكون فى فلسطين فعلا نواة لجيش ومخازن للبنادق والمدافع الرشاشة والقنابل . و إنى أميل لعدم تصديق مثل هذا الأمر ولكن إذا استمرت مثل هذه الإدعاءات فستسبب فزعاً جديداً للعرب هناك .

وقد دعا الدكتور حايم وايزمان الزعيم الصهيونى فى مقال نشر فى يناير سنة ١٩٤٣ فى مجلة (Foreign Affairs) التى تصدر فى أمريكا مرة ثانية لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين وكتب ذلك على اعتباران هذا أمر لا محيص عنه أثر هذه الحرب . وقدأعرب عن مثل هذه الآراء من سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٢ ثم عدل عنها بعد ما تبينه من قوة المعارضة العربية لهذه المطالب . وهو الآن

ينادى بها من جديد و إنى أشعر أنه لو أن الأمم المتحدة أعلنت الآن بياناً محدداً يشير إلى أنها لن تؤيد قيام دولة يهودية فى فلسطين بل تتمسك بالسياسة المرسومة فى الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ ، فسيقوم الصهيونيون بالاحتجاج بالطبع . على أنهم سيقبلون هذا القرار باعتباره نهائياً . وهم يعتقدون أنه من الممكن خلال كفاح عظيم مثل الحرب الحالية الحصول على وعود لا يمكن بذلها فى أوقات السلم ولهذا يجب منذ الآن رفض مطالبهم المتطرفة رفضاً قاطعاً . وفى نفس الوقت يكون من الممكن للأمم المتحدة — لو وافقتم على رأيى — ضمان مستقبل الوطن القومى اليهودى على وضعه الراهن فى فلسطين مع جميع إمكانيات قيام شبه حكم ذاتى يتطور مستقبلا فى نطاق سوريا كبرى وجامعة عربية .

و إنى أدعوكم لدراسة هذه الأمور لما اعتقده من أنه إذا لم يتوقف الصهونيون والعاطفون عليهم من البريطانيين والأمريكيين عن دعايتهم فسيبدأ العرب دعايتهم وستستغل دول المحور هذه الفرصة لإثارة الضغائن بين بريطانيا العظمى والعرب فى الشرقين الأدنى والأوسط .

المخلص

الإمضاء (نورى السعيد)

إلى المستر ر . ج كيزى

وزير الدولة — القاهرة

مذكرة عن الاستقلال والوحدة العربيتين

مع إشارة خاصة لفلسطين

وآراء بخصوص التسوية النهائية

يمكن تقسيم العرب إلى مجموعتين رئيسيتين (١) أولئك الذين يقطنون أفريقيا (٢) وأولئك الذين يقطنون فى سوريا وفلسطين والعراق وشبه الجزيرة العربية.

ورغم أنه يمكن فى المجموعة الثانية التفرقة بين عرب شبه الجزيرة العربية وعرب سوريا والعراق وفلسطين وشرق الأردن فإن عرب هذه المقاطعات العثمانية السابقة يكونون من الناحية اللغوية والثقافية والاقتصادية شعبا واحداً. ورغم الحقيقة الماثلة من أنهم ظلوا مدى العشرين سنة الماضية مقسمين إلى ولايات مختلفة عديدة وأن قوانين متباينة استنت فيها فإنه رغم هذا وبالنظر لتحسن المواصلات والتعليم فهم مرتبطون ثقافياً كما كانوا منذ قرون. (وهذا التشابه منطبق بشكل خاص على الأراضى العثمانية الواقعة بين الشاطىء الشرقى والجنوبى للبحر المتوسط. فكانت سوريا تشكل منطقة عربية مترابطة وكانت فلسطين ولبنان وشرق الأردن أجزاءاً منها لا يمكن تمييزها عن بعضها ولا عن دولة سوريا الممزقة حالية). وهذه المناطق التى كانت تشمل العراق كانت جميعاً جزءاً من أراضى الإمبراطورية العثمانية لا تفصل بينها حدود دولية ويسود فيها نظام إدارى واحد ويطبق عليها قانون واحد. كما كانت عادات السكان فى

هذه المناطق وتقاليدهم واحدة سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين كما كانت فى الواقع عقائدهم ونظرتهم الشاملة .

ورغم أن أعداداً كبيرة من المسيحيين تسكن سوريا وفلسطين فهم فى غالبيتهم عرب الأصل وتشبه لغتهم وأساليب حياتهم جيرانهم المسلمين . لقد كانت الشيع المسيحية فى الماضى أشد عداءاً بعضها لبعض منها للمسلمين الذين كانوا يعاملون الأجناس جميعاً على قدم المساواة .

والطائفة المسيحية الوحيدة التى لها مركز خاص هى الطائفة المارونية . فقد حدث فى سنة ١٨٥٦ أثر الاضطرابات التى قامت بين الموارنة ودروز لبنان أن وضعت هذه المقاطعة « تحت نظام خاص يقوم على أساس قدر كبير من الاستقلال الذاتى الذى منح للموارنة حق التمتع بنظامهم الخاص فى الحكم المحلى تحت أمرة حاكم مسيحى » وقد أقيم هذا النظام الخاص للإدارة على أساس تعهدد ولى .

وكما كان الأمر فى الإمبراطورية العثمانية القديمة ظلت « ملل » متعددة تتمتع بحقوق خاصة. وفكرة قيام طوائف ذات حكم ذاتى خاص داخل الدولة فكرة مألوفة للعرب جميعاً الذين كانوا ينتمون للدول المتعاقبة وهى أيضاً فكرة مقبولة باعتبارها سياسة حكيمة وعادلة . وهذا النظام الخاص للموارنة يستأهل الدراسة الكاملة الدقيقة إذ أنه يمكن أن يصبح نموذجا لمقاطعات يهودية ذات حكم ذاتى محدود فى فلسطين كما سأتولى شرحه فيما يلى .

وقد ظل هؤلاء العرب فى الشرقين الأدنى والأوسط يكافحون مدى قرن

للحصول على حقهم الطبيعي فى الاستقلال وذلك حتى يتمكنوا من الوحدة ومن إعادة مجدهم القديم والتقدم فى مدارج الحضارة فى حرية وسلم . بيد أن ظروفا سياسية — خارجية أكثر منها داخلية — قد عرقلت حتى الآن سعيهم فى هذا السبيل ووقفت حائلا بينهم و بين هدفهم المشروع .

حينما فقد العرب استقلالهم منذ بضعة قرون استولت الإمبراطورية العثمانية على بعض بلادهم واستولت على البعض الآخر دول أوربية عاملتها باعتبارها مستعمرات . بيد أن هذا كله لم يستطع أن يقضى على فكرة الاستقلال من الذهنية العربية . ورغم أن الآمال العربية قد كبتت مدى سنين عديدة فإن فكرة الاستقلال لم تلبث أن ازدهرت من جديد أقوى وأشد مما كانت .

وكان العرب فى الدولة العثمانية يعتبرون كالمسلمين شركاء الأتراك . فشاركوا الترك حقوقهم وتبعاتهم دون أى تمييز عنصرى . وكانت المناصب الكبرى فى الدولة سواء أكانت عسكرية أو مدنية مفتوحة للعرب كما كان العرب ممثلين فى كلا المجلسين النيابيين فى البرلمان العثمانى وقد ارتقى كثيرون من العرب إلى مناصب رئاسة الوزارة ومشيخة الإسلام والقواد والولاة . كما كانوا فى جميع مناصب الدولة .

وحينما بدأ تقلص ظل الدولة العثمانية وشرع حزب الاتحاد والترقى فى حركة الجامعة التركية فضل العرب الانفصال عن هذه الامبراطورية وأرسوا دعائم حملة للدفاع عن حقوقهم ممهدين بذلك السبيل لاستقلال بلادهم .

وقد أدرك العرب فى مطلع الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ المستقبل المظلم الذى يتربص بهم نتيجة للمسلك الشائن الذى انتهجه حزب الاتحاد

والترقى الذى ألقى بنفسه فى أحضان الالمان وانضم إليهم فى حربهم ضدالحلفاء. وعلى هذا اتصل الملك حسين بن على (الذى كان إذ ذاك شريف وأمير مكة) ببريطانيا العظمى التى تعهدت بالإعتراف للعرب باستقلالهم ، فأعلن الملك حسين فى سنة ١٩١٦ استناداً إلىهذه الوعود ، إنفصال العرب من الإمبراطورية العثمانية وانضم الى الحلفاء الذين كانوا يمرون إذ ذاك فى اعصب وادق مراحل الحرب . وقد رحب العرب فى جميع بلادهم بهذه الخطوة التى خطاها الملك حسين وأيدوه آملين أن يجدوا فى وعود الحلفاء تحقيقاً لأمانيهم القومية . وكان نتيجة هذا أن خضع عرب الأراضى التركية لاضطهادات وفظائع لا يمكن وصفها . على أنهم جاربوا الترك إلى جانب الحلفاء وشاركوا فى فتح فلسطين وسوريا .

ورغم الشكوك التى اعتورت أذهانهم حينما أذاع الترك نصوص إتفاقية سيكس ـ بيكو السرية وحينما إذيع تصريح بلفور فقد ظل العرب على ثقتهم فى الوعود المتكررة المبذولة من بريطانيا العظمى للملك حسين ولعرب سوريا والعراق عامة فى بيانات عديدة جاء فيها : «أن مستقبل حكومة هذه الأراضى يجب أن يقوم على مبدأ موافقة المحكومين » . وقد أصبحت هذه الثقة يقينا فى أذهان العرب حينما قرر الرئيس ويلسون فى نقاطه الاربع عشرة : « أن الأجزاء التركية للامبراطورية العثمانية الحالية يجب أن تحصل على سيادة أكيدة ولكن الجنسيات الأخرى التى هى الآن تحت الحكم التركى يجب أن يبذل لها التأكيد بأمن غير مشكوك فيه فى الحياة وفرصة لا يحيطها أى تضييق للتطور نحو الحكم الذاتى » .

على أن خيبة الأمل الشديدة لم تلبث أن اعتورت العرب أثر الحرب التى إنتهت بالنصر للحلفاء الذين اشتركوا معهم وحاربوا معهم معتمدين على وعودهم فى الحصول على الاستقلال العربى . وقد أدرك العرب فى مؤتمر الصلح أن حلفاءهم المنتصرين قد تنكروا لوعودهم والواقع أن المعاملة التى عومل بها العرب من الحلفاء كانت أسوأ من تلك التى عومل بها المهزومون الذين لم يخضعوا لأى نوع من أنواع الأشراف . فاقتسم الحلفاء الأراضى العربية فيما بينهم طبقا لمعاهدات سرية مانحين أنفسهم حق الإنتداب على هذه المناطق وذلك رغم الإحتجاجات الصارخة التى تعالت بها أصوات زعماء العرب . ولقد كانت هذه الإنتدابات أشد قسوة على العرب من الحكم العثمانى القديم . فقد مزق النظام الإنتدابى الأراضى العربية إلى عدد من الإدارات المنفصلة وكان نظاما من شأنه لو استمر أن يقضى على الوحدة العربية إلى الأبد فوضعت العراق تحت إنتداب بريطانيا العظمى كما حدث هذا بالنسبة لسوريا الجنوبية وسلمت سوريا الشمالية لفرنسا . ولم تمنح الاستقلال التام غير الولايات العربية لشبه الجزيرة العربية .

وقد حاول العرب خلال العشرين سنة الماضية بكل وسيلة إثارة إهتمام العالم المتحضر بالحيف الذى وقع عليهم وسعوا سعياً ملحاً فى إقناع الرأى العام العالمى بعدالة قضيتهم وكافحوا دون توقف للحصول على إستقلالهم . فقد كان نظام الإنتداب الذى انتهجه حلفاؤهم فى الحرب الماضية كريها للعرب المحبين للحرية الذين كانوا يمقتون أى شكل من أشكال الإشراف . وقد كان هذا سبب جميع المظاهرات والثورات والمقاطعات وسوء النية الذى قام فى الدول العربية والذى لا يزال يتهدد سلمها .

العــــراق

ظل العراق إقليما خاضعاً لنظام الإنتداب حتى سنة ١٩٣٢ حينما حصل نتيجة لمجهودات شعبه ومعاونة الحكومة البريطانية على استقلاله ودخل عصبة الأمم فى صيف ذلك العام . ومنذ إعلان ذلك الإستقلال والعراق منصرف إلى شئونه الخاصة سائر فى طريق التطور والتقدم الذى يمكن مشاهدته فى جميع ميادين نشاطه . وهو مرتبط مع بريطانيا العظمى بمعاهدة تحالف بريطانية عراقية وقعت سنة ١٩٣٠ تتعاون الدولتان طبقاً لنصوصها بتفاهم تام لمنفعتهما المشتركة .

والعراق ليس مجرد جار للدول العربية الأخرى بل هو مرتبط بها إرتباطاً وثيقاً بأقوى الوشائج اللغوية والعنصرية والدينية والثقافية والإقتصادية وغيرها من الروابط . والعراق بالإضافة إلى هذا يشارك الدول العربية المجاورة فكرة الوحدة العربية التى يرجو أن تتحقق فى النهاية . ولن يستطيع العرب دون مثل هذه الإتحادات أن يتبوأوا مكانهم اللائق بهم فى العالم وأن يستعيدوا مجدهم الخالد الذى يعتزون به عن حق .

و يؤمن العراقيون أن مثل هذا الإتحاد لا يمكن تحقيقه إلا بالحصول على الإستقلال التام لجميع الدول العربية التى ستختار بمرور الزمن شكل الاتحاد الذى يوافقها والذى من شأنه أن يضمن لها مصالحها ضمانا كاملا . وقد جعلت هذه الاعتبارات العراقيين أشد استجابة للاحداث الجارية فى الدول العربية الشقيقة المجاورة وأعمق إهتماماً بها . فكل ما يحدث فى سوريا أو فلسطين له إنتفاضات فى العراق . ورغم أن اليهود ظلوا مدى قرون وهم يتمتعون فى العراق

بالحرية الكاملة و يعيشون فى علاقات طيبة للغاية مع جيرانهم المسلمين فإن شعوراً عنيفاً مضاداً لليهود قد استثير نتيجة للأحداث فى فلسطين . وقد أذكى نيران هذا العداء الدعاية المذاعة من ألمانيا . ونتيجة هذا قام الغوغاء فى سنة ١٩٤١ أثناء الإنقلاب العراقى وحينما تعطلت قوى القانون والنظام بنهب اليهود غير الصهيونيين الآمنين فى بغداد وقتلوا عدداً منهم . ولهذا السبب فإن الساسة المسئولين فى الدول العربية حيث توجد طوائف يهودية عديدة فى جزع دائم من الاثر الذى يحدث فى بلادهم نتيجة لما يحدث فى فلسطين ومثل هذا ينطبق أيضاً على المناطق العربية غير المستقلة .

سوريا الشمالية

(المناطق السورية واللبنانية التى تحت الانتداب الحالى)

كانت هذه أكثر المناطق العربية تقدما . وكان السوريون أول من بدأ الحركة العربية القومية للاستقلال فقد ظلت الجامعات والمدارس الأمريكية والفرنسية تنشر العلم وتشيع أفكار الحرية بين عرب سوريا نحواً من ثمانين سنة . فأصبحت سوريا نتيجة هذا وهى لا تضم طبقة كبيرة من المحامين والأطباء وخريجى الآداب من المتعلمين والمثقفين ثقافة عالية فحسب بل كذلك شعباً له روح سياسية متطورة تطوراً عالياً .

ورغم الحقيقة الماثلة فى أن سوريا ولبنان ليسا أقل حضارة من كثير من الدول الأوروبية فإن نظام الانتداب الفاسد الذى طبق عليهما قد أفقرهما وأثار الشقاق بين أهلهما وأدى إلى الإخلال بالأمن والاضطراب المستمر .

وقد انتهز السوريون العرب كل مناسبة للفوز بالاستقلال الحقيقى وضحوا فى سبيل هذا حتى برغبتهم فى الوحدة حرصاً على الحصول عليه . فعقدوا

اتفاقات مع الفرنسيين غايتها تقسيم بلادهم إلى دولتين هما لبنان وسوريا ومن دواعى الأسى أنهم أبلغوا فى بيان رسمى أخيراً أن بلادهم — بعد خمسة وعشرين سنة من ترقب الحرية — ستظل جزءاً من الأمبراطورية الفرنسية .

وكانت فرنسا — وقت صدور هذا التصريح — خاضعة للنير النازى وكانت حكومتاها المركزية والاستعمارية تؤيدان النازيين تأييداً كاملا . ويؤمن العرب أن مثل هذا القرار لا يمكن أن تقره الأمم المتحدة .

سوريا الجنوبية

(المقسمة الآن إلى منطقتين تحت الانتداب هما فلسطين وشرق الأردن)

فصلت المنافسة بين بريطانيا العظمى وفرنسا هذين البلدين اللذين يخضعان للانتداب البريطانى عن سوريا التى هما جزء لا يتجزأ منها . وتتمتع شرق الأردن بشكل من أشكال الحكم الذاتى تحت حكم صاحب السمو الأمير عبد الله بن الملك حسين ولكنها لا تقل حرصاً على الحصول على الاستقلال التام عن أى دولة أخرى من الدول العربية .

ومن بين جميع المشاكل المختلفة التى تواجه البلاد العربية فإن أشدها صعوبة وأحوجها إلى أشد أنواع الاهتمام هى مشكلة فلسطين ذلك لأن السياسة المتبعة حتى الآن قد انتهت إلى ظلم واضح بسكانها الأصليين الذين لا يزالون يؤلفون ثلثى السكان . ويرغب عرب فلسطين فى العيش مستقلين فى بلادهم ولكن السياسة الصهيونية تهدف إلى انتزاع الأرض من أصحابها الشرعيين

وذلك لتحويلها إلى دولة يهودية والعرب لا يبغضون اليهود ولكنهم يمقتون السياسة الصهيونية التى تهدف إلى ضم بلادهم . والحركة الصهيونية تساندها أموال غير محدودة ومنظمات مرموقة وذات تأثير كبير فى بريطانيا العظمى وأمريكا بينما عرب فلسطين لا يستطيعون الركون إلا إلى عدالة قضيتهم ومجهوداتهم الشخصية . ورغم أن عرب فلسطين حائزون على التأييد الأدبى للعرب فى الدول المجاورة فإن هذه الدول ظلت عاجزة عن مساعدتهم مادياً وعسكرياً نتيجة لمحالفاتها القائمة أو المتوقعة مع بريطانيا العظمى أو فرنسا . والدول العربية بعد هذا تريد تسوية سليمة بالاتفاق وليس بالعنف .

ويؤمن العرب منذ البداية أن التعهدات التى بذلتها بريطانيا العظمى للمغفور له الملك حسين (حينما كان شريفاً لمكة ثم بعد هذا حينما كان ملكا للحجاز) تشمل فلسطين وشرق الأردن وأغلب سوريا ويقرر التصريح « أنه — مع عدم المساس ببعض التعديلات — (وهى التى استثنت مرسين والاسكندرونة وأجزاء من سوريا واقعة إلى الغرب من دمشق وحمص وحلب) فإن بريطانيا العظمى على استعداد للاعتراف باستقلال العرب واحترامه فى كل المناطق الواقعة فى نطاق الحدود المقترحة من شريف مكة » .

ولم يحدث مطلقاً أن ناقضت بريطانيا بشكل جدى دعوى العرب من أن فلسطين كانت داخلة فى هذا التصريح الذى نقله سير هنرى مكماهون سنة ١٩١٥ (ومرفق مع هذه المذكرة النص الكامل للمراسلات) [1].

وقد صدر تصريح بلفور فى تاريخ تال على هذا التعهد الصريح وقد حدث عند ما أفزعت محتويات هذا التصريح العرب أن أرسلت الحكومة البريطانية

---

(١) رأينا ألا ندرج نص المراسلات المشار إليها لأنها نشرت وبحثت من قبل فى عدة مصادر أخرى غير هذا الكتاب .

مبعوثاً خاصاً هو الكوماندور هوجارث لإزالة شكوك الملك حسين . فبذل التأكيدات للملك حسين بأن « استقرار اليهود فى فلسطين لن يسمح به إلا فى نطاق لا يتعارض مع الحرية السياسية والاقتصادية للسكان العرب » .

ورغم أن نصوص صك الانتداب الفلسطينى تمنح حقوقاً خاصة للوكالة اليهودية والسكان اليهود فى فلسطين فهى لا تقرر فى أى موضع منها أن لليهود أن ينشئوا دولة يهودية فى فلسطين (ولم يحدث مطلقاً بالطبع أن قبل العرب الانتداب باعتباره مشروعاً أو ملزماً لهم كما أنهم لم يشر إليهم بالاسم فى صك الانتداب) .

وقد أعلنت حكومة صاحب الجلالة فى بيانات متعاقبة عن سياستها منشورة فى كتب بيضاء فى سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٩ أنه « ليس من السياسة البريطانية أن تصبح فلسطين دولة يهودية » .

وحينما قبلت بريطانيا العظمى الانتداب على فلسطين كان همها الأول منصرفاً إلى تسهيل خلق وطن قومى لليهود وذلك بمساعدة الوكالة اليهودية وغيرها من اليهود فى شراء الأراضى وتهيئة إبعاد الزراع العرب عن هذه الأراضى بطرق سلمية . وحاولت الحصول على حسن نية العرب بالنسبة للوطن القومى اليهودى . كما عملت حكومة الانتداب على إقامة إدارة ذات كفاءة وخدمات عامة أساسية وهكذا لم تبذل مدى سنين طويلة أى جهد صادق لتنفيذ الواجب الملقى عليها فى مساعدة سكان فلسطين على التقدم نحو الحكم الذاتى . ومن دواعى الأسف أنها حينما فكرت آخر الأمر فى خير وسيلة لتنفيذ هذا الجانب من واجبها كانت مخاوف العرب من السيطرة اليهودية

النهائية وكراهيتهم للانتداب قد بلغت حداً من الشدة استحال معه الحصول على تأييدهم لأية هيئة تشريعية مقترحة أو أى مجلس قد يكون من شأنه تمهيد السبيل للحكم الذاتى .

وقد أبلغ المستر أورزمباى جور وزير المستعمرات فى سنة ١٩٣٧ اللجنة الدائمة للانتدابات فى أوضح العبارات « أنه نظراً لعدم حدوث تغيير جوهرى فى العلاقات السياسية فلن يمكن الاستمرار (استمرار حكومة فلسطين) إلا بوسائل القمع العسكرى المستمر . والحقيقة الماثلة فى فلسطين هى أن الغالبية الكبرى من السكان تناصب الدولة المنتدبة والانتداب العداء . وأن ولاء العرب لا يتجه إلى بريطانيا العظمى باعتبارها الدولة المنتدبة ولكن إلى العنصر العربى وإلى الأهداف العربية » وقد كرر وزير الدولة فى ذلك الاجتماع وجهة النظر هذه بقوله : « أن دولة الانتداب قالت للجنة الانتدابات — كما سنقول للمجلس بعد هذا — أنها على يقين من ضرورة إحداث تدبيرات سياسية » كما قال : « إن رأيه الصريح هو أنه فى اللحظة التى يحصل فيها عرب فلسطين (وقد اشتعلوا بنيران البغضاء السياسية نحو الدولة المنتدبة واليهود) على الحكم الذاتى فسيكون من مصالحهم المحافظة على الأمن » .

وقد أوصت حكومة صاحب الجلالة نتيجة هذا بتقسيم فلسطين إلى ثلاث دول : دولة يهودية ودولة عربية ومنطقة تحت الانتداب البريطانى .

وقد انتهت لجنة خاصة لتعيين الحدود بعد دراسة دقيقة إلى أن تقسيم فلسطين إلى دول منفصلة أمر غير عملى . على أن هذه اللجنة لم تدرس إمكانية إقامة مقاطعة أو مقاطعات يهودية لها حقوق خاصة على غرار النموذج المارونى

فى نطاق دولة فلسطينية أو دولة عربية كبرى تضم سوريا وشرق الأردن .
إن إقامة دولتين أو أكثر مستقلتين استقلالا تاماً من أراضى فلسطين الصغيرة
من شأنه أن يقيم حدوداً مصطنعة معقدة بها جيوب كثيرة من اليهود فى
الدولة العربية والعكس بالعكس . كما يكون من شأنه إيجاد ممر دولى واحد
على الأقل وربما أكثر على أنه لو أن فلسطين كلها أدخلت فى دولة سورية
واحدة لأصبحت حدود المناطق اليهودية مجرد حدود إدارية . ولتألفت
المناطق اليهودية من عدد من الأقضية أو حتى من النواحى التى يستطيع اليهود
فيها التمتع بحقوق خاصة . أو — بدلا من هذا — و بعد الاتفاق مع الجهات
المختصة يمكن تخصيص منطقة مدعمة محددة لليهود يديرونها إدارة ذات استقلال
ذاتى و على العرب المقيمين بها إما أن يقبلوا السكن فيها تحت نظام خاص
أو توجد لهم أراض فى منطقة أخرى .

على أن تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين ومنطقة تحت الانتداب الذى
لم يرق لأحد أعلن استحالته وأذيعت السياسة النهائية لبريطانيا العظمى فى
فى سنة ١٩٣٩ بعد انفضاض مؤتمر فلسطين .

فأعلنت حكومة صاحب الجلالة فى آخر كتاب أبيض لها فى
سنة ١٩٣٩ ما يأتى :

(١) أن هدف حكومة صاحب الجلالة هو إنشاء دولة فلسطينية
مستقلة خلال عشر سنوات تدخل فيها علاقات تعاهدية مع
بريطانيا العظمى .

(٢) ستكون هذه الدولة المستقلة دولة موحدة يشترك فى حكومتها العرب والیهود بطريقة تكفل ضمان المصالح الجوهرية لكل من الطائفتين .

وقد قصر الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ الوطن القومى اليهودى فى فلسطين على الطوائف والجاليات اليهودية المستقرة إذ ذاك فى فلسطين مضافاً إليها ٧٥٫٠٠٠ يهودى يسمح لهم بالاستقرار فى فلسطين خلال الخمس سنوات من ١٩٣٩ — ١٩٤٤ وكان معنى هذا أن يؤلف سكان اليهود فى سنة ١٩٤٤ نحو ثلث السكان و يظلون أقلية دائمة . على هذا اعتبرت حكومة صاحب الجلالة أن وعدها المتضمن تصريح بلفور يكون قد تحقق فى سنة ١٩٤٤ و إن وطناً قومياً يهودياً قد أنشىء فى فلسطين . وكان كل ما تبقى هو قيام حكومة ذاتيه فى فلسطين بشكل يضمن حقوق اليهود الذين استقروا فى فلسطين طبقاً لنصوص تصريح بلفور . وأن المقترحات التفصيلية التى تقدمت بها حكومة صاحب الجلالة لتحقيق هذا الهدف لا تؤثر فى أساس سياسة بريطانيا و هو أن فلسطين يجب أن تمنح الحكم الذاتى فى أقرب فرصة ممكنة وأن يظل اليهود أقلية فى الدولة الجديدة .

وكان المؤتمر الذى اجتمع فى لندن لدراسة المسألة الفلسطينية فى سنة ١٩٣٩ هو الفرصة الأولى التى اعترفت فيها حكومة صاحب الجلالة بالدول العربية باعتبارها صاحبة مصلحة مشتركة فى تسوية مشكلة فلسطين وقد ضم المؤتمر مندوبين يمثلون مصر والمملكة العربية السعودية واليمن وشرق الأردن والعراق الذين دعوا بالنظر لأن دولهم كانت ذات مصلحة بمستقبل فلسطين باعتبارها أرضاً عربية وإن إدارتها ومستقبل تطورها أمر يهم العرب جميعاً .

وكانت هذه الدعوة فى نظر العرب إيذاناً بعودة بريطانيا العظمى إلى روح تعهداتها القديمة المبذولة للملك حسين الذى كان ينظر للعرب جميعاً فى الأمبراطورية العثمانية القديمة باعتبارهم أمة واحدة يربطهم هدف واحد . وهذا هو تبريرى الأول لأثارة هذه القضايا والتقدم باقتراحاتى فى هذا الوقت.

ويجب الاقرار بأن الظروف فى جميع هذه البلاد العربية قد ظلت وهى غير مستقرة منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها . وقد نشبت ثورات عديدة تسبب عنها كثيراً من بذل الدماء والدمار فى أجزاء عديدة من هذه الأرض العربية. وبالاضافة إلى هذا فإن أكثر سكان هذه البلاد امتثالا للقانون كانوا هم دائماً ضحايا القلق والخوف على مستقبلهم وعلى مستقبل مواطنيهم خلال هذه السنين الطويلة ويحس حتى أولئك العرب البعيدين عن روح التمرد فى فلسطين وسوريا أنه لم يتح لهم التمتع بحقوقهم المدنية والسياسية الكاملة وقد اعوزتهم الثقة فى مقدرة نظام الانتداب على تهيئة نظام حكومى يكفل دوام السلم مما اضطرهم إلى البقاء فى منطقة تستبد بها الفوضى أكثر الوقت بحيث يتعذر عليهم التفكير فى مستقبلهم والاعداد له .

وحالما قامت الحرب العالمية لم تضع دول المحور لحظة واحدة فى البحث عن موطن الضعف فى موقف الحلفاء فى البلاد العربية واستغلت دون توان كل ضعف أمكنها إكتشاف أمره . فأيدت جميع عناصر الشغب والفوضى فى نشاط ودون وازع وكانت النتيجة أن قاسى العرب والأمم المتحدة كثيراً .

ورغم تبين العرب فساد ما كانوا يعلقونه سابقاً من آمال فقد رحبوا بميثاق الاطلنطى وارتضوه لأنهم اعتبروه ضمانا لتحقيق آمالهم القومية واتحادهم المقبل

على النحو الذى يتخيرونه بكامل حريتهم . ونحن نحس أن حكومة بريطانيا تنظر إلى المطالب العربية بعطف وأنها على إستعداد لحل مشاكل البلادالعربية بنفس الطريقة المرضية التى حلت بها مشاكل العراق . فاذا نجحت فى وضع هذه النوايا التى تتسم بالعطف موضع التنفيذ فستنتهى حالة الفوضى الحالية التى تسود البلاد العربية لصالح العرب أنفسهم ، ونحن ندرك أن الحكومة البريطانية ليست مطلقة اليد فى معالجة هذه المشاكل فأعمالها خاضعة لموافقة حلفائها . ولكن الولايات المتحدة تتعاون الآن مع بريطانيا العظمى تعاونا كاملا وعلى نحو يجعل يد بريطانيا العظمى أكثر حرية ، ونحس أنه فى إمكانها إعادة النظر فى سياستها كلها بالنسبة للعرب .

وأن العرب جميعاً و بالاخص أولئك الذين يوجدون فى الشرقين الأدنى والأوسط يحسون فى أعماق قلوبهم أنهم مثل أعضاء الجسم الواحد وأن قوميتهم صادرة عن الإحساس الإسلامى بالأخوة الذى ملأ به قلوبهم النبى محمد فى خطبته العامة الأخيرة . وهى لهذا تختلف إختلافا كبيراً عن القومية و الوطنية الأوربيتين . ورغم أن العرب بالطبع شديدى الولاء لأوطانهم التى ولدوا فيها فإن قوميتهم لا تحدها الحدود بل هى أمل لاعادة الحضارة العظيمة المتسامحة التى كانت فى عهد الخلافة الأولى .

لذلك نؤمن أن أية سياسة فيها إرضاء الحقوق والآمال السياسية المشروعة للعرب من شأنها أن تعيد السلم إلى البلاد العربية وأن مثل هذا السلم والرضاء سيؤدى إلى أجل الخدمات فى تأييد مصالح الأمم المتحدة فى هذه الفترة العصيبة من الحرب ، ثم أن مثل هذه السياسة من شأنها أن تضع حدا للدسائس

المحور التى تجد هناك أرضا خصبة لالقاء بذورها الآثمة بالنظر لعدم رضاء العرب عن موقفهم الراهن وقلقهم على مستقبلهم .

إن أحداث السنين القليلة الماضية قد كشفت عن ضعف الدول الصغيرة جدا . ومن المفهوم عموما أن التسوية السلمية بعد الحرب ستسعى لتجميع الدول الصغيرة مع بعضها فى شكل من أشكال الجامعات أو الإتحادات الإقليمية حتى تكون قوية على نحو يمكنها من الدفاع عن جميع أعضائها ضد العدوان . ومع أنى أدرك أنه قد تمر السنين كثيرة قبل أن تستطيع الدول العربية أن تقف وحدها بشكل ما . فلا شك أن حلفائهم من بين الدول الكبرى سيطالبونهم فى الأغلب أن يقوموا بمساهمة أكبر فى خدماتهم الدفاعية وعلى هذا فالفكرة القديمة فى إقامة فلسطين مستقلة ولبنان وسوريا مستقلة يجب الإنصراف عنها والبحث عن حل جديد .

لقد أعلنت بريطانيا العظمى وفرنسا مراراً أنهما يوافقان على استقلال جزء من أجزاء سوريا التاريخية مستقبلا . فإذا اعترف بأن الاستقلال هو حق الشعوب القاطنة فى هذه المناطق فيجب استناداً إلى نفس المبدأ الاقرار بحقهم فى التضامن فى دولة اتحادية أو أن يجتمعوا فى جامعة أو اتحاد .

فإذا كانت الخبرة قد أثبتت أن الدول الصغيرة جداً لا تستطيع الدفاع عن نفسها على نحو واف بالغرض وإنها تؤلف خطراً على جيرانها وعلى سلم العالم فيمكن أن تفرض بوجه حق الوحدة أو الاتحاد عليها ولا سيا إذا كانت هذه الدول المتفرقة تؤلف فعلا جماعة واحدة من النواحى اللغوية والثقافية والاقتصادية وتنص الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم على الآتى :

« إن جماعات معينة من التى كانت تنتمى سابقاً للإمبراطورية العثمانية قد بلغت مرحلة من التطور يمكن معها الاعتراف اعترافاً مبدئياً بكيانها كأمم مستقلة وذلك مع عدم المساس ببذل النصيحة الإدارية والمساعدة من قبل دولة منتدبة حتى ذلك الوقت الذى تستطيع فيه أن تسير وحدها » .

وقد أعرب فى أوقات مختلفة عن شكوكه فيما إذا كانت فلسطين تدخل فى نطاق هذه الفقرة . على أن المستر مالكولم ماكدونالد أبلغ لجنة الانتدابات فى عصبة الأمم فى سنة ١٩٣٩ « أن عرب فلسطين لا يمكن اعتبارهم مختلفين اختلافاً تاماً عن عرب العراق أو سوريا بحيث أن الحقوق التى يتمتع بها هؤلاء الآخرون فى وضوح طبقاً للفقرة الرابعة يحرم منها حرماناً تاماً أقرانهم العرب فى فلسطين »

وهذا البيان يتناول بذور المشكلة كلها . إن الدعوة العربية تقول بأن جميع المسلمين والمسيحيين واليهود والدروز الذين يحتلون لبنان وسوريا وشرق الأردن وفلسطين هم جماعة لا تختلف اختلافاً كبيراً عن سكان العراق ولقد كانت هذه الجماعة فى سنة ١٩١٨ أكثر ثقافة من العراقيين وأشد معرفة وأكثر فهما لنظام الإدارة المركزية الحديث .

وقد قررت لجنة الانتدابات الدائمة لعصبة الأمم فى يونية سنة ١٩٣٩ أن اقتراح حكومة صاحب الجلالة لإقامة دولة عربية فى فلسطين يكون فيها اليهود أقلية مناقض للتفسير الذى وضع لصك الانتداب على فلسطين وقد أشارت حكومة صاحب الجلالة فى التعليق على هذا القرار أن قيام دولة عربية مستقلة ودولة يهودية مستقلة فى فلسطين أمر غير عملى على أن احدى الإمكانيات التى

أخذتها سلطات الانتداب بعين الاعتبار هى إنشاء دولة فيدرالية هذا وفلسطين إقليم صغير للغاية عدد سكانه أقل من مليونى نسمة و إقامة نظام فيدرالى لمثل هذه الدولة الصغيرة أمر عسير وكثير النفقات .

ولكن إذا عادت فلسطين إلى مكانها اللائق بها كجزء من سوريا التاريخية فلعله يكون من الممكن إذ ذاك إنشاء إما دولة متحدة أو دولة اتحادية لسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ومن شأن هذا النظام أن يعمل فى يسر ودقة .

فإذا أمكن إعادة وحدة العرب الفلسطينيين مع عرب سوريا وشرق الأردن فلن يستبد بهم الخوف من التوسع اليهودى كما ستحس الجماعات اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين بطمأنينة أكثر واستقرار أعم . و يمكن أن يمنحوا قدراً كبيراً من الحكم الذاتى المحلى فى ظل شكل من أشكال الضمان الدولى إذا اعتبر هذا ضرورياً .

وقد أثيرت مراراً فى المحادثات المتقطعة والصريحة التى دارت بين المستر مالكولم ماكدونالد ولجنة الانتدابات الدائمة فى يونيه سنة ١٩٣٩ نقطة وجوب وجود روح التطور عند النظر فى التعهدات والوعود المحدودة المبذولة من حكومة صاحب الجلالة إلى الطوائف المختلفة . وقد أحس مستر مالكولم ماكدونالد أن هذه التعهدات والوعود يجب إعادة تفسيرها من وقت لآخر فى ضوء التطور السياسى والاقتصادى الذى حدث فى فلسطين منذ أن بذلت هذه الوعود أول الأمر . و إن إعادة النظر هذه قد نص عليها صراحة فى المادة التاسعة عشرة من ميثاق عصبة الأمم التى تقرر : « تقوم الجمعية

العامة من حين لآخر بنصح أعضـاء العصبة بإعادة النظر فى المعاهدات التى أصبحت غير منطبقة والنظر فى الظروف العالمية التى من شأن استمرارها تهديد سلم العالم » وهذا هو تبرير آخر للتوصية بإعادة النظر فى وضع الدول العربية كله فى الشرقين الأدنى والأوسط .

وقد وضح من العراق الذى كان سـكانه فى سنة ١٩١٨ أكثر تخلفاً سياسياً وتعليمياً عن سكان سوريا وفلسطين أن دولة مستقلة تستطيع أن تمارس وظائفها فى قدرة مع أقل قدر من نصيحة وتأييد حليفتها .

وقد أظهر جلالة ابن السعود فى المملـكة العربية السعودية أن حاكماً عربياً يستطيع المحافظة على السلم والنظام بين بدو رحل يحتلون مناطق مترامية الأطراف من الصحراء وبين عرب مستقرين فى المدن والواحات ويطور مواردهم تطويراً ملحوظاً .

أن اكتشاف البترول فى البلاد العربية قد أعطاها موارد ثروة ودخول اقتصادية لم يتيسر مثلها من قبل . والعراق فى حاجة إلى منفذ على البحر المتوسط لبتروله ومنتجاته الأخرى . وتحتاج فلسطين التى تسرع فيها حركة التصنيع إلى أسواق لمنتجاتها كما تحتاج إلى وقود بترولى لمصانعها وهذه حقائق يجب أخذها بعين الاعتبار وفيها تبرير لإعادة النظر فى الوعود المبذولة من الحـكومة البريطانية ضمن بعضها فى صكوك الانتداب لعصبة الأمم وهذه العناصر الراهنة تدعو إلى ارساء سياسة جديدة من شأنها أن تسوى تسوية دائمة مستقبل سكان الشرقين الأدنى والأوسط .

واقتراحاتى التى تلى هذا تقوم على العلاقات الوثيقة القائمة فعلا بين العراق وجميع عرب سوريا التاريخية ورغم أن دول شبه الجزيرة العربية تقاربنا كثيراً

فى اللغة والعادات والدين فإن اقتصادياتها مختلفة ثم أن تعداد مصر يزيد كثيراً على تعداد الدول المذكورة ولها مشاكلها الخاصة بها فى السودان وغيره . لذلك فقد فرضت أن هاتين الدولتين لن تميلا أول الأمر إلى الانضمام إلى جامعة أو اتحاد عربى . بيد أنه لو نجحت مثل هذه الوحدة بين العراق وسوريا فمن المحتمل جداً أن ينضما إليها فيما بعد . على أنى أتوقع من أول الأمر أن مثل هذه الجامعة حتى لو اقتصرت على العراق وسوريا فمن شأنها أن تيسر التشاور والعمل المشتركين بين جميع الدول العربية سواء فى نطاق الجامعة أو خارجها . وكثير من مشاكلنا متشابهة فنحن جميعاً أجزاء حضارة واحدة ونفكر فى أسلوب واحد وتحفزنا مثل واحدة فى حرية الضمير وحرية الكلام والمساواة أمام القانون والأخوة الأساسية للجنس البشرى .

خاتمه

أن الحل العادل الوحيد فى رأيى — بل هو فى الواقع الأمل الوحيد لضمان سلم دائم ورضاء وتقدم فى هذه المناطق العربية أن تعلن الأمم المتحدة الآن :

١ — أن تتوحد سوريا ولبنان وشرق الأردن من جديد فى دولة واحدة .

٢ — أن نظام الحكم فى هذه الدولة سواء كان ملكياً أو جمهورياً متحداً أو اتحاديا يجب أن يقرره أهالى هذه الدولة أنفسهم .

٣ — أن تنشأ جامعة عربية تنضم إليها العراق وسوريا مباشرة ويمكن أن تنضم إليها الدول العربية الأخرى إذا شاءت .

٤ — أن يكون لهذه الجامعة العربية مجلس دائم يعين أعضاءه الدول

الأعضاء ويرأسه أحد حكام الدول يتم اختياره بطريقة تتفق عليها الدول ذات الشأن .

٥ — يكون مجلس الجامعة العربية مسؤولا عن الآتى :

(ا) الدفاع . (ب) الشئون الخارجية . (ح) العملة .
(د) المواصلات . (ه) الجمارك . (و) حماية حقوق الأقليات .

٦ — يمنح اليهود فى فلسطين شبه حكم ذاتى . ويكون لهم الحق فى إدارة أقاليمهم فى المدن والريف بما فى هذا المدارس والمؤسسات الصحية والبوليس مع الخضوع لإشراف الدولة السورية .

٧ — تكون القدس مدينة لمعتنقى جميع الأديان حق الدخول إليها للحج والعبادة وتنشأ لجنة خاصة مؤلفة من ممثلى الأديان السماوية الثلاثة لضمان مثل هذا الأمر .

٨ — يمنح الموارنة فى لبنان إذا طالبوا بهذا نظاماً خاصاً مثل الذى كان لهم خلال السنين الأخيرة لحكم الإمبراطورية العثمانية . ويرتكن هذا النظام الخاص وكذلك النظم المنصوص عليها فى الفقرتين ٦ و ٧ السابقتين إلى ضمان دولى .

فإذا أمكن على النحو المقترح أعلاه إنشاء اتحاد دول عربية يضم العراق وسوريا وفلسطين وشرق الأردن أولا ويمكن أن تنضم إليه الدول العربية الأخرى فيما بعد فستختفى كثير من الصعوبات الكبرى التى واجهت بريطانيا العظمى وفرنسا فى الشرق الأدنى فى خلال الحقبتين الأخيرتين . ويخشى عرب فلسطين حالياً أن يصبحوا أقلية فى دولة يهودية ولهذا يناهضون فى مرارة منح

حقوق خاصة لليهود . على أن هذا العداء يمكن التغلب عليه إذا أصبحت فلسطين جزءاً من دولة عربية كبرى قوية . و يستطيع اليهود أن ينشئوا وطنهم القومى فى تلك الأجزاء من فلسطين التى يكونون فيها حالياً أغلبية بإحساس أكبر من الأمن فسيسود جيرانهم العرب قدراً أكبر من حسن النية . ثم إن قيامهم كجماعة ذات استقلال داخلى نسبى فى دولة كبرى يزيد من امكانياتهم الاقتصادية .

أن الإمبراطورية البريطانية لا تقوم على تجاهل الأهداف الإيجابية فالمؤسسات الحرة والتعاون الحر يزودها بقوى حية بالغة الشدة . وعلى هذا الأساس من التعاون الحر تم إنشاء وحدات صادقة من شعوب و بلاد عدة متباينة لا تقوم على النصوص والاحصاءات بقدر ما تقوم على المبادىء النبيلة الدائمة المسطورة على قلب الإنسان وضميره . فإذا منحت الشعوب العربية الفرصة بإقامة تعاون حر بينها فستكون أكثر استعداداً لمعاملة جميع اليهود المقيمين بين ظهرانيها سواء فى فلسطين أو غيرها معاملة أكثر سماحة . ولا بأس من أن تكون هناك شروط وضمانات على أن لا تكون هذه على نحو قاس تصبح معه نصوصاً ميتة كما حدث بالنسبة للتحفظات الكثيرة الخاصة بالأقليات التى نص عليها فى الدساتير الأوروبية خلال العشرين سنة الماضية .

فإذا قوبلت اقتراحاتى هذه بالرضاء فستحتاج إلى دراسة دقيقة حتى يمكن اتخاذ الخطوات المناسبة فى الوقت المناسب و بالأسلوب المناسب . و بديهى أن اتحاد الأجزاء المتخلفة لسوريا التاريخية يجب أن يتم أولا . و يمكن تحقيقه أول الأمر عن طريق إنشاء اتحاد فيدرالى بين سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن تواصل فيه كل دولة ممارسة إدارتها المحلية مع ترك مسائل الدفاع

والسياسة الخارجية والعملة والجمارك للحكومة المركزية . ومن الناحية الأخرى قد يتيسر توحيد سوريا مباشرة مع النص على نظام المنطقة اليهودية ونظام القدس فى نفس الوقت ويجب اتخاذ الخطوات المباشرة لتحديد هذه المناطق ومن الضرورى لذلك الغرض اعداد خريطة اثنوغرافية دقيقة لفلسطين تبين عدد اليهود والعرب فى كل ناحية ومدينة وخريطة أخرى بنفس المقياس تبين الأراضى المزروعة والتى يمكن زراعتها مستقبلا . كما يجب إجراء دراسة لعدد اليهود الذين استقروا فى فلسطين منذ نشوب الحرب فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ . وقد يتحتم فى سبيل تحقيق الاتحاد العربى النزول عن السيادة والحقوق المكتسبة . وقد بذلت تضحيات مماثلة فى جامعة الشعوب البريطانية ويمكن مطالبة القادة العرب ببذلها كذلك .

وقد افترضت خلال كل هذا أن فرنسا — وقد أعلنت قبل الحرب استعدادها لمنح سوريا ولبنان استقلالهما — لن تسمح لها الأمم المتحدة انكار هذه العروض أو عرقلة قيام اتحاد للدول العربية بالإصرار على مزايا قديمة أو حقوق بائدة .

ملحق (٢)

بروتوكول الاسكندرية

١٧ أكتوبر ١٩٤٤

الموقعون على هذا رؤساء الوفود العربية فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام وأعضاؤها وهم :

رئيس اللجنة التحضيرية

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا	رئيس مجلس وزراء مصر ووزير خارجيتها ورئيس الوفد المصرى

الوفد السورى

حضرة صاحب الدولة السيد سعد الله الجابرى	رئيس مجلس وزراء سوريا ورئيس الوفد السورى
حضرة صاحب الدولة السيد جميل مردم بك	وزير الخارجية
سعادة الدكتور نجيب الأرمنازى	أمين السر العام لرياسة الجمهورية
سعادة الأستاذ صبرى العسلى	نائب دمشق

الوفد الأردنى

حضرة صاحب الدولة توفيق أبو الهدى باشا	رئيس مجلس وزراء شرق الأردن ووزير خارجيته ورئيس الوفد الأردنى
سعادة سليمان السكر بك	سكرتير مالى وزارة الخارجية

الوفد العراقى

حضرة صاحب الدولة السيد حمدى الباجه جى	رئيس مجلس وزراء العراق ورئيس الوفد العراقى
حضرة صاحب المعالى السيد أرشد العمرى .	وزير الخارجية .
حضرة صاحب الدولة السيد نورى السعيد	رئيس مجلس وزراء العراق سابقا
حضرة صاحب السعادة السيد تحسين العسكرى	وزير العراق المفوض بمصر

الوفد اللبنانى

حضرة صاحب الدولة رياض الصلح بك	رئيس مجلس وزراء لبنان ورئيس الوفد اللبنانى
حضرة صاحب المعالى سليم تقلا بك	وزير الخارجية
سعادة السيد موسى مبارك	مدير غرفة حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

الوفد المصرى

حضرة صاحب المعالى أحمد نجيب الهلالى باشا	وزير المعارف العمومية
حضرة صاحب المعالى محمد صبرى أبو علم باشا	وزير العدل
حضرة صاحب العزة محمد صلاح الدين بك	وكيل وزارة الخارجية

إثباتاً للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء، وحرصاً على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها، واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية ؛

قد اجتمعوا بالأسكندرية بين يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٦٣ (الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤) ويوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٣ (الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤) فى هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتى :

أولا — جامعة الدول العربية

تؤلف « جامعة للدول العربية » من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام إليها .

ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى « مجلس جامعة الدول العربية » تمثل فيه الدول المشتركة فى « الجامعة » على قدم المساواة .

وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد اجتماعات دوريه لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة فى شؤن البلاد العربية ومصالحها .

وتكون قرارات هذا « المجلس » ملزمة لمن يقبلها فيما عدا الأحوال التى يقع فيها خلاف بين دولتين من أعضاء الجامعة، ويلجأ فيها الطرفان إلى المجلس

لفض هذا الخلاف ، ففى هذه الأحوال تكون قرارات « مجلس الجامعة » نافذة ملزمة .

ولا يجوز على كل حال الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، ولكل دولة أن تعقد مع دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الأحكام أو روحها .

ولا يجوز فى أية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة منها .

ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة و بين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما .

وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من أعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة » ولبحث المسائل السياسية التى يمكن إبرام اتفاقات فيها بين الدول العربية .

ثانيا — التعاون فى الشؤون الاقتصادية

والثقافية والاجتماعية وغيرها

١ — تتعاون الدول العربية الممثلة فى اللجنة تعاونا وثيقا فى الشؤون الآتية :

(ا) الشؤون الاقتصادية والمالية بما فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شؤون المواصلات بما فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبريد .

(ج) شؤون الثقافة .

(د) شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين وما إلى ذلك .

(هـ) الشؤون الاجتماعية .

(و) الشؤون الصحية .

٢ — تؤلف لجنة فرعية من الخبراء لكل طائفة من هذه الشؤون تمثل فيها الحكومات المشتركة فى اللجنة التحضيرية وتكون مهمتها إعداد مشروع بقواعد التعاون فى الشؤون المذكورة ومداه وأداته .

٣ — تؤلف لجنة للتنسيق والتحرير تكون مهمتها مراقبة عمل اللجان الفرعية الأخرى وتنسيق ما يتم من أعمالها أولا فأول وصياغته فى شكل مشروعات اتفاقات وعرضه على الحكومات المختلفة .

٤ — عندما تنتهى جميع اللجان الفرعية من أعمالها تجتمع اللجنة التحضيرية لتعرض عليها نتائج بحث هذه اللجان تمهيدا لعقد المؤتمر العربى العام .

ثالثا — تدعيم هذه الروابط فى المستقبل

مع الاغتباط بهذه الخطوة المباركة ترجو اللجنة أن توفق البلاد العربية فى المستقبل إلى تدعيمها بخطوات أخرى و بخاصة إذا أسفرت الأوضاع العالمية بعد الحرب القائمة عن نظم تربط بين الدول بروابط أمتن وأوثق .

رابعا — قرار خاص بلبنان

تؤيد الدول العربية الممثلة فى اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة وهو ما سبق لحكومات هذه الدول أن

اعترفت به بعد أن انتهج سياسة استقلالية أعلنتها حكومته فى بيانها الوزارى الذى نالت عليه موافقة المجلس النيابى اللبنانى بالإجماع فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٣ .

خامسا — قرار خاص بفلسطين

١ — ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير إضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى .

كما ترى اللجنة أن التعهدات التى ارتبطت بها الدولة البريطانية والتى تقضى بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضى العربية والوصول إلى استقلال فلسطين هى من حقوق العرب الثابتة التى تكون المبادرة إلى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار .

وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق أمانيهم المشروعه وصون حقوقهم العادلة .

وتصرح اللجنة بأنها ليست أقل تألما من أحد لما أصاب اليهود فى أوربا من الويلات والآلام على يد بعض الدول الأوربية الدكتاتورية ، ولكن يجب أن لا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية . إذ ليس أشد ظلما وعدوانا من أن تحل مسألة يهود أوربا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم .

٢ — يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية فى « صندوق الأمة العربية » لإنقاذ أراضى العرب فى فلسطين إلى لجنة

الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية فى اجتماعها المقبل

وإثباتا لما تقدم وقع هذا البرتوكول بإدارة جامعة فاروق الأول بالاسكندرية فى يوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٣ (الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤)

إمضاءات :

مصطفى النحاس — سعد الله الجابرى — وتوفيق أبو الهدى

أحمد نجيب الهلالى — جميل مردم — سليمان السكر

محمد صبرى أبو علم — نجيب الأرمنازى

محمد صلاح الدين — صبرى العسلى

حمدى الباجه جى — رياض الصلح

أرشد العمرى — سليم تقلا

نورى السعيد — موسى مبارك

تحسين العسكرى

ملحق (٣)

ميثاق جامعة الدول العربية

٢٢ مارس سنة ١٩٤٥

إن حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية .

وحضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن .

وحضرة صاحب الجلالة ملك العراق .

وحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية .

وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

وحضرة صاحب الجلالة ملك اليمن .

تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين الدول العربية ، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، وتوجيهاً لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها ، واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية .

قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية وأنابوا عنهم المفوضين الآتية أسماؤهم :

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية :

قد أناب عن سوريا :

حضرة صاحب الدولة السيد فارس الخورى ، رئيس مجلس الوزراء .

حضرة صاحب الدولة السيد جميل مردم بك ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن

قد أناب عن شرق الأردن :

حضرة صاحب الفخامة سمير الرفاعى باشا ، رئيس الوزراء .

حضرة صاحب المعالى سعيد المفتى باشا ، وزير الداخلية .

حضرة صاحب العزة سليمان النابلسى بك ، نائب سر الحكومة .

حضرة صاحب الجلالة ملك العراق

قد أناب عن العراق :

حضرة صاحب المعالى السيد أرشد العمرى ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب الفخامة السيد على جودة الأيوبى ، وزير العراق المفوض بواشنطن .

حضرة صاحب المعالى السيد تحسين العسكرى وزير العراق المفوض بالقاهرة .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

قد أناب عن المملكة العربية السعودية :

سعادة الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية

سعادة السيد خير الدين الزركلى ، مستشار مفوضية المملكة العربية السعودية بالقاهرة :

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية

قد أناب عن لبنان

حضرة صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامى ، رئيس الوزراء

سعادة السيد يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بالقاهرة

حضرة صاحب الجلالة ملك مصر

قد أناب عن مصر .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا . رئيس مجلس الوزراء

حضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا . رئيس مجلس الشيوخ

حضرة صاحب المعالى عبد الحميد بدوى باشا . وزير الخارجية .

حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا . وزير المالية .

حضرة صاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا . وزير العدل .

حضرة صاحب المعالى عبد الرزاق أحمد السنهورى بك وزير المعارف العمومية .

حضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك الوزير المفوض بوزارة الخارجية .

حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن

قد أناب عن اليمن .

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التى تخولهم سلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل ، قد اتفقوا على ما يأتى :

مادة ١ — تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق .

ولكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم إلى الجامعة ، فإذا رغبت فى الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة و يعرض على المجلس فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

مادة ٢ — الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها .

كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها فى الشئون الآتية :

(ا) الشؤون الاقتصادية والمالية و يدخل فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شؤون المواصلات و يدخل فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

(ج) شؤون الثقافة .

(د) شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين .

(ه) الشؤون الاجتماعية .

(و) الشؤون الصحية .

مادة ٣ — يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة و يكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها .

وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة ومراعاة تنفيذ ما تبرمه

الدول المشتركة فيها من اتفاقات فى الشؤون المشار إليها فى المادة السابقة وفى غيرها .

ويدخل فى مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

مادة ٤ — تؤلف لكل من الشؤون المبينة فى المادة الثانية لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة فى الجامعة وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه وصياغتها فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدول المذكورة .

ويجوز أن يشترك فى اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى . ويحدد المجلس الأحوال التى يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين وقواعد التمثيل .

مادة ٥ — لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة ، فإذا نشب بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذاً وملزماً .

وفى هذه الحالة لا يكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما .

وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء .

مادة ٦ — إذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشى وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً

ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ويصدر القرار بالإجماع . فإذا كان الاعتداء من إحدى دول الجامعة ، لا يدخل فى حساب الإجماع رأى الدولة المعتدية .

وإذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس فلممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبينة فى الفقرة السابقة ، وإذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من أعضائها أن تطلب انعقاده .

مادة ٧ — ما يقرره المجلس بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله .

وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقاً لنظمها الأساسية .

مادة ٨ — تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها .

مادة ٩ — لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض .

والمعاهدات والاتفاقات التى سبق أن عقدتها أو التى تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لا تلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين .

مادة ١٠ — تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ، ولمجلس الجامعة أن يجتمع في أي مكان آخر يعينه .

مادة ١١ — ينعقد مجلس الجامعة انعقاداً عادياً مرتين في العام في كل من شهرى مارس وأكتوبر ، وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة .

مادة ١٢ — يكون للجامعة أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين وعدد كاف من الموظفين .

ويعين مجلس الجامعة بأكثرية ثلثى دول الجامعة الأمين العام ، ويعين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين فى الجامعة .

ويضع مجلس الجامعة نظاما داخلياً لأعمال الأمانة العامة وشئون الموظفين .

ويكون الأمين العام فى درجة سفير والأمناء المساعدون فى درجة وزراء مفوضين .

ويعين فى ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة .

مادة ١٣ — يعد الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية .

ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة فى النفقات ، ويجوز أن يعيد النظر فيه عند الاقتضاء .

مادة ١٤ — يتمتع أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفوها الذين ينص عليهم فى النظام الداخلى بالامتيازات وبالحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم .

وتكون مصونة حرمة المبانى التى تشغلها هيئات الجامعة .

مادة ١٥ — ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية و بعد ذلك بدعوة من الأمين العام .

و يتناوب ممثلو دول الجامعة رياسة المجلس فى كل انعقاد عادى .

مادة ١٦ — فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى هذا الميثاق يكتفى بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة فى الشئون الآتية :

(ا) شؤون الموظفين .

(ب) إقرار ميزانية الجامعة .

(ج) وضع نظام داخلى لكل من المجلس واللجان والأمانة العامة .

(د) تقرير فض أدوار الاجتماع .

مادة ١٧ — تودع الدول المشتركة فى الجامعة الأمانة العامة نسخا من جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها أو تعقدها مع أية دولة أخرى من دول الجامة أو غيرها .

مادة ١٨ — إذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة .

ولمجلس الجامعة أن يعتبر أية دولة لاتقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره باجماع الدول عدا الدولة المشار إليها .

مادة ١٩ — يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعديل هـذا الميثاق وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ولإنشاء محكمة عدل عربية

ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام .

ولا يبت فى التعديل إلا دور الانعقاد التالى للدور الذى يقدم فيه الطلب .

وللدولة التى لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقيد بأحكام المادة السابقة .

مادة ٢٠ — يصدق على هذا الميثاق وملاحقه وفقا للنظم الأساسية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة .

وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة ويصبح الميثاق نافذاً قبل من صدق عليه بعد إنقضاء خمسة عشر يوما من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول .

حرر هذا الميثاق باللغة العربية فى القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٤ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانة العامة .

وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة .

ملحق خاص بفلسطين

منذ نهاية الحرب العظمى الماضية ، سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها ، غير تابعة لأية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها ، وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها فان ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمر لاشك فيه ، كما أنه لاشك فى استقلال البلاد العربية الأخرى ، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى أعمال مجلس الجامعة .

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً لظروف فلسطين الخاصة وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله .

ملحق خاص بالتعاون مع الدول العربية
غير المشتركة فى مجلس الجامعة

نظراً لأن الدول المشتركة فى الجامعة ستباشر فى مجلسها وفى لجانها شؤوناً يعود خيرها وأثرها على العالم العربى كله ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها .

فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة ، عند النظر فى إشراك تلك البلاد فى اللجان المشار إليها فى الميثاق ، بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك ، بألا يدخر جهداً لتعرف حاجاتها وتفهم أمانيها وآمالها ، وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيؤه الوسائل السياسية من أسباب .

ملحق خاص بتعيين الأمين العام للجامعة

اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين سعادة عبد الرحمن عزام بك أميناً عاماً لجامعة الدول العربية .

ويكون تعيينه لمدة سنتين . ويحدد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامة .

ملحق (٤)

الضمان الجماعى العربى

١٧ يونيه سنة ١٩٥٠

معاهـــدة

للدفاع المشترك والتعاون الإقتصادى

بين دول الجامعة العربية

إن حكومات :

حضرة صاحب الجلالة ملك المملــكة الأردنية الهاشمية .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملــكة العراقية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملــكة العربية السعودية .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملــكة المصرية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملــكة المتوكلية اليمنية .

رغبة منها فى تقوية وتوثيق التعاون بين دول الجامعة العربية حرصاً على استقلالها ومحافظة على تراثها المشترك .

وإستجابة لرغبة شعوبها فى ضم الصفوف لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة ولأهدافهما وتعزيزاً للاستقرار والطمأنينة وتوفير أسباب الرفاهية والعمران فى بلادها .

قد إتفقت عقد معاهدة لهذه الغاية وأنابت عنها المفوضين الآتية أسماؤهم :—

عن المملكة الأردنية الهاشمية :

عن الجمهورية السورية : حضرة صاحب الدولة الدكتور ناظم القدسى بك رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية .

عن المملكة العراقية حضرة صاحب الفخامة السيد نورى السعيد رئيس مجلس الوزراء .

عن المملكة العربية السعودية : حضرة صاحب المعالى الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة ووزير الخارجية بالنيابة .

عن الجمهورية اللبنانية حضرة صاحب الدولة رياض بك الصلح رئيس مجلس الوزراء .

عن المملكة المصرية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء .

وحضرة صاحب المعالى الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية .

عن المملكة المتوكلية اليمنية : حضرة صاحب السعادة السيد على المؤيد
المندوب الدائم لدى جامعة الدول العربية

الذين بعد تبادل وثائق التفويض التى تخولهم سلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل .

قد اتفقوا على ما يأتى

المادة الأولى

تؤكد الدول المتعاقدة ، حرصاً على دوام الأمن والسلام واستقرارهما وعزمها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية ، سواء فى علاقاتها المتبادلة فيما بينها أو فى علاقاتها مع الدول الأخرى .

المادة الثانية

تعتبر الدول العربية المتعاقدة كل إعتداء مسلح يقع على دولة أو أكثر منها ، أو على قواتها ، اعتداء عليها جميعاً . ولذلك فإنها ، عملا بحق الدفاع الشرعى ـ الفردى والجماعى ـ عن كيانها . تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها ، و بأن تتخذ على الفور ، منفردة ومجتمعة ، جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما فى ذلك إستخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما .

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة .

يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وما اتخذ في صدده من تدبير و إجراءات .

المادة الثالثة

تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها ، بناء على طلب إحداها كلما هددت سلامة أراضي أية واحدة منها أو استقلالها أو أمنها .

وفي حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى توحيد خططها ومساعيها في إتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف .

المادة الرابعة

رغبة في تنفيذ الإلتزامات السالفة الذكر على أكمل وجه تتعاون الدول المتعاقدة فيما بينها لدعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها . وتشترك ، بحسب مواردها وحاجاتها ، في تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أي إعتداء مسلح .

المادة الخامسة

تؤلف لجنة عسكرية دائمة من ممثلي هيئة أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه

وتحدد في ملحق هذه المعاهدة إختصاصات هذه اللجنة الدائمة بما في ذلك وضع التقارير اللازمة المتضمنة عناصر التعاون والاشتراك المشار إليهما في المادة الرابعة .

وترفع هذه اللجنة الدائمة تقاريرها عما يدخل فى دائرة أعمالها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عنه فى المادة التالية .

المادة السادسة

يؤلف ، تحت إشراف مجلس الجامعة ، مجلس الدفاع المشترك يختص بجميع الشؤون المتعلقة بتنفيذ أحكام المواد ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من هذه المعاهدة ويستعين على ذلك باللجنة العسكرية الدائمة المشار إليها فى المادة السابقة .

ويتكون مجلس الدفاع المشترك المشار إليه من وزراء الخارجية والدفاع الوطنى للدول المتعاقدة أو من ينوبون عنهم .

وما يقرره المجلس بأكثرية ثلثى الدول يكون ملزما لجميع الدول المتعاقدة

المادة السابعة

استكمالا لأغراض هذه المعاهدة وما ترمى إليه من إشاعة الطمأنينة وتوفير الرفاهية فى البلاد العربية ورفع مستوى المعيشة فيها ، تتعاون الدول المتعاقدة على النهوض باقتصاديات بلادها واستثمار مرافقها الطبيعية وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية ، والزراعية والصناعية ، وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادى وتنسيقه وإبرام ما تقتضيه الحال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الأهداف .

المادة الثامنة

ينشأ مجلس اقتصادى من وزراء الدول المتعاقدة المختصين بالشئون

الاقتصادية ، أو من يمثلونهم عند الضرورة لكى يقترح على حكومات تلك الدول ما يراه كفيلا بتحقيق الأغراض المبينة فى المادة السابقة .

وللمجلس المذكور أن يستعين فى أعماله بلجنة الشؤون الاقتصادية والمالية المشار إليها فى المادة الرابعة من ميثاق جامعة الدول العربية .

المادة التاسعة

يعتبر الملحق المرفق بهذه المعاهدة جزءاً لا يتجزأ منها .

المادة العاشرة

تتعهد كل من الدول المتعاقدة بأن لا تعقد أى إتفاق دولى يناقض هذه المعاهدة .

وبأن لا تسلك فى علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكاً يتنافى مع أغراض هذه المعاهدة .

المادة الحادية عشرة

ليس فى أحكام هذه المعاهدة ما يمس ، أو يقصد به أن يمس بأية حال من الأحوال ، الحقوق والإلتزامات المترتبة ، أو التى تترتب للدول الأطراف فيها بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة أو المسؤوليات التى يضطلع بها مجلس الأمن فى المحافظة على السلام والأمن الدولى .

المادة الثانية عشرة

يجوز لأية دولة من الدول المتعاقدة ، بعد مرور عشر سنوات من نفاذ هذه المعاهدة ، أن تنسحب منها فى نهاية سنة من تاريخ إعلان انسحابها إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

هذه المعاهدة أن تنسحب منها فى نهاية سنة من تاريخ إعلان انسحابها إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

وتتولى الأمانة العامة إبلاغ هذ الإعلان إلى الدول المتعاقدة الأخرى .

المادة الثالثة عشرة

يصدق على هذه المعاهدة وفقا للأوضاع الدستورية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة .

وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية . وتصبح المعاهدة نافذة قبل من صدق عليها بعد إنقضاء خمسة عشر يوماً من تاريخ استلام الأمانة العامة وثائق تصديق أربع دول على الأقل .

حررت هذه المعاهدة باللغة العربية فى الاسكندرية بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٣٦٩ الموافق ١٨ يونية سنة ١٩٥٠ من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من الدول المتعاقدة .

إمضاءات

عن المملكة الأردنية الهاشمية	(عونى عبد الهادى)
عن الجمهورية السورية	(ناظم القدسى)
عن المملكة العراقية	(نورى السعيد)
عن المملكة العربية السعودية	(يوسف ياسين)
عن الجمهورية اللبنانية	(رياض الصلح)
عن المملكة المصرية	مصطفى النحاس، محمد صلاح الدين
عن المملكة المتوكلية اليمنية	أوافق على هذه المعاهدة مع ملحقها على ما فى كتابى لسعادة الأمين العام الموضح فى المحضر اليوم (السيد على المؤيد)

الملحق العسكرى

البند الأول

تختص اللجنة العسكرية الدائمة المنصوص عليها فى المادة الخامسة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية بالأمور الآتية :

(ا) إعداد الخطط العسكرية لمواجهة جميع الأخطار المتوقعة أو أى اعتداء مسلح يمكن أن يقع على دولة أو أكثر من الدول المتعاقدة أو على قواتها ، وتستند فى إعداد هذه الخطط على الأسس التى يقررها مجلس الدفاع المشترك .

(ب) تقديم المقترحات لتنظيم قوات الدول المتعاقدة ولتعيين الحد الأدنى لقوات كل منها حسبما تمليه المقتضيات الحربية وتساعد عليه إمكانيات كل دولة .

(ح) تقديم المقترحات لزيادة كفاية قوات الدول المتعاقدة من حيث تسليحها وتنظيمها وتدريبها لتتمشى مع أحدث الأساليب والتطورات العسكرية وتنسيق كل ذلك وتوحيده .

(د) تقديم المقترحات لاستثمار موارد الدول المتعاقدة الطبيعية والصناعية والزراعية وغيرها وتنسيقها لصالح المجهود الحربى والدفاع المشترك .

(ه) تنظيم تبادل البعثات التدريبية وتهيئة الخطط للتمارين والمناورات

المشتركة بين قوات الدول المتعاقدة وحضور هذه التمارين والمناورات ودراسة نتائجها بقصد اقتراح ما يلزم لتحسين وسائل التعاون فى الميدان بين هذه القوات والبلوغ بكفايتها إلى أعلى درجة .

(و) إعداد المعلومات والاحصائيات اللازمة عن موارد الدول المتعاقدة وإمكانياتها الحربية ومقدرة قواتها فى المجهود الحربى المشترك .

(ز) بحث التسهيلات والمساعدات المختلفة التى يمكن أن يطلب إلى كل من الدول المتعاقدة أن تقدمها وقت الحرب إلى جيوش الدول المتعاقدة الأخرى العاملة فى أراضيها تنفيذاً لأحكام هذه المعاهدة .

البند الثانى

يجوز للجنة العسكرية الدائمة تشكيل لجان فرعية دائمة أو مؤقتة من بين أعضائها لبحث أى موضوع من الموضوعات الداخلة فى نطاق اختصاصاتها . ولها أن تستعين بالأخصائيين فى أى موضوع من هذه الموضوعات ترى ضرورة الاستعانة بخبرتهم أو برأيهم فيه .

البند الثالث

ترفع اللجنة العسكرية الدائمة تقارير مفصلة عن نتيجة بحوثها وأعمالها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عليه فى المادة السادسة من هذه المعاهدة . كما ترفع إليه تقارير سنوية عما أنجزته خلال العام من هذه البحوث والأعمال .

البند الرابع

تكون القاهرة مقرًّا للجنة العسكرية . وللجنة مع ذلك أن تعقد اجتماعاتها فى أى مكان آخر تعينه .

وتنتخب اللجنة رئيسها من بين أعضائها لمدة عامين . و يمكن تجديد انتخابه و يشترط فى الرئيس أن يكون على الأقل من الضباط القادة (من الضباط العظام) .

ومن المتفق عليه أن يكون جميع أعضاء هذه اللجنة من ذوى الجنسية الأصلية لإحدى الدول المتعاقدة •

البند الخامس

تكون القيادة العامة لجميع القوات العاملة فى الميدان من حق الدولة التى تكون قواتها المشتركة فى العمليات أكثر عدداً وعدة من كل من قوات الدول الأخرى • إلا إذا تم اختيار القائد العام على وجه آخر بإجماع آراء حكومات الدول المتعاقدة :

و يعاون القائد العام فى إدارة العمليات الحربية هيئة ركن مشتركة •

إمضاءات

عن المملكة الأردنية الهاشمية	(عونى عبد الهادى)
عن الجمهورية السورية	(ناظم القدسى)
عن المملكة العراقية	(نورى السعيد)
عن المملكة العربية السعودية	(يوسف ياسين)
عن الجمهورية اللبنانية	(رياض الصلح)
عن المملكة المصرية	(مصطفى النحاس)
	(محمد صلاح الدين)
عن المملكة المتوكلية اليمنية	(السيد على المؤيد)

محضر توقيع معاهدة الدفاع المشترك

والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية

بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٣٦٩ الموافق ١٧ من يونيو ١٩٥٠ تمت بقصر أنطونيادس بالإسكندرية مراسم التوقيع على :

١ — معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية

٢ — الملحق العسكرى للمعاهدة المذكورة ٠

وقد وقع على هاتين الوثيقتين — السابق توقيعهما بالأحرف الأولى بتاريخ ١٣ أبريل سنة ١٩٥٠ بالقاهرة — كل من حضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى والسعادة المبينة أسماؤهم بعد ٠ وذلك بعد التثبت من وثائق تفويضهم التى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل وقد تم توقيع حضراتهم على الترتيب الآتى :

عن الجمهورية السورية — حضرة صاحب الدولة الدكتور ناظم القدسى بك
رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية

عن المملكة العربية السعودية — حضرة صاحب المعالى الشيخ يوسف ياسين
وزير الدولة ووزير الخارجية بالنيابة

عن الجمهورية اللبنانية — حضرة صاحب الدولة السيد رياض الصلح بك
رئيس مجلس الوزراء

عن المملكة المصرية — حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا .
رئيس الوزراء
وحضرة صاحب المعالى الدكتور محمد
صلاح الدين بك وزير الخارجية

عن المملكة المتوكلية اليمنية — حضرة صاحب السعادة السيد على المؤيد
المندوب الدائم لدى جامعة الدول العربية .

وقد أرجأ ممثل المملكة العراقية توقيعه إلى فرصة قريبة لأسباب فنية متعلقة باقتراح العراق الخاص بتأليف هيئة استشارية من رؤساء أركان حرب الجيوش .

وقد أبدى سعادة ممثل الحكومة المتوكلية اليمنية عند التوقيع التحفظات المبين نصها بعد والتى تقرر إدراجها فى هذا المحضر إثباتاً لها وإعلاناً بأخذ حضرات المندو بين الموقعين الآخرين علماً بما جاء بها .

تحفظات الحكومة المتوكلية اليمنية

لقد فوضت من قبل حضرة صاحب الجلالة الإمام أحمد الناصر لدين الله ملك المملكة المتوكلية اليمنية المعظم وحكومة جلالته الموقرة بأن أوقع على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية والملحق العسكرى المعتبر جزءاً منها على الأسس الآتية التى اقتضتها ظروف اليمن الخاصة وهى :

أولا — فيما يتعلق بمضمون المادة الثانية لا تعتبر اليمن الاعتداء اعتداء

على أية دولة من الدول العربية إلا إذا كان الاعتداء لذات الدولة لا لارتباطها بمعاهدة واتفاقيات مع أية دولة أخرى ولا لوجود جيش أجنبي فى أراضيها لأى سبب آخر .

ثانياً — يتحفظ اليمن نحو مضمون الفقرة الأخيرة من المادة السادسة وذلك لأن الحكومة المتوكلية اليمنية تتوقع حصول بعض الظروف التى تجعل من المناسب أن تتخذ اليمن منها موقفاً خاصاً بها ولهذا قررت اليمن أن لا تعتبر قرارات مجلس الدفاع المشترك نافذة عليها إلا إذا وافقت على تلك القرارات وذلك باعتبار موقعها الجغرافى و إمكانياتها العامة واعتباراتها الخاصة .

ثالثاً — أن الحكومة اليمنية لا تعارض ما جاء فى البند الأول من الملحق العسكرى لكن بعض الاعتبارات الخاصة بها قد تجعل من المتعذر عليها تطبيق الأمور المطلوبة منها حرصاً على إمكانية ما يطلب منها قررت ما يأتى :

« إن الحكومة اليمنية توافق على ما جاء فى البند الأول من الملحق العسكرى ما عدا ما فى الفقرتين الرابعة والسادسة . فالمعتبر ما ستوافق عليه الحكومة المتوكلية اليمنية فى حينه » .

حرر بالإسكندرية بقصر أنطونيادس بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٣٦٩ الموافق ١٧ من يونيو سنة ١٩٥٠ .

الأمين العام (عبد الرحمن عزام)

بروتوكول إضـــافى

لمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية وملحقها العسكرى الموقعين بالإسكندرية فى ٢ رمضان سنة ١٣٦٩ (الموافق ١٧ يونيو ١٩٥٠)

تؤلف هيئة استشارية عسكرية من رؤساء أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة للإشراف على اللجنة العسكرية الدائمة المنصوص عليها فى المـــادة الخامسة من المعاهدة ولتوجيهها فى جميع اختصاصاتها المبينة فى البند الأول من الملحق العسكرى .

وتعرض عليها تقارير اللجنة العسكرية الدائمة ومقترحاتها لإقرارها قبل رفعها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عليه فى المادة السادسة من المعاهدة .

وتقوم الهيئة الاستشارية العسكرية برفع تقاريرها ومقترحاتها عن جميع وظائفها إلى مجلس الدفاع المشترك للنظر فيها و إقرار ما يقتضى الحال إقراره منها .

ويكون لهذا البروتوكول قبل الدول الموقعة عليه نفس القوة والأثر اللذين للمعاهدة وملحقها وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ أحكام المادتين الخامسة والسادسة من المعاهدة والبند الثالث من ملحقها العسكرى .

إمضاءات

المملـكة الأردنية الهاشمية (عونى عبد الهادى)

الجمهورية السورية (ناظم القدسى)

المملكة العراقية	(نورى السعيد)
المملكة العربية السعودية	(فيصل)
الجمهورية اللبنانية	(رياض الصلح)
المملكة المصرية	(مصطفى النحاس)
	(محمد صلاح الدين)
الأمانة العامة	(عبد الرحمن عزام)

محضر

فى الساعة الثامنة من يوم الجمعة ٢٥ من ربيع الثانى ١٣٧٠ الموافق ٢ فبراير سنة ١٩٥١ بسراى وزير الخارجية المصرية تمت برعاية الله سبحانه و تعالى المراسيم المبينة بعد :

(أولا)

توقيع المملكة العراقية على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية وعلى الملحق العسكرى لهذه المعاهدة .

وقد وقعها نيابة عن المملكة العراقية فخامة السيد نورى السعيد رئيس مجلس الوزراء ، المفوض فى ذلك رسمياً من حكومته .

(ثانياً)

توقيع « البروتوكول الإضافى » للمعاهدة السالفة الذكر ولملحقها العسكرى بصيغة هذا البروتوكول التى أقرها مجلس جامعة الدول العربية بجلسته المنعقدة

مساء اليوم (الجمعة ٢٥ من ربيع الثانى ١٣٧٠ الموافق ٢ فبراير ١٩٥١) بسراى وزارة الخارجية المصرية .

وقد وقع هذا البروتوكول :

عن الجمهورية السورية حضرة صاحب الدولة الدكتور ناظم القدسى بك رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية .

عن المملكة العراقية حضرة صاحب الفخامة السيد نورى السعيد رئيس مجلس الوزراء .

عن المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل آل سعود وزير الخارجية .

عن الجمهورية اللبنانية حضرة صاحب الدولة رياض الصلح بك رئيس مجلس الوزراء .

عن المملكة المصرية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء .

وحضرة صاحب المعالى الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية .

المفوضون فى ذلك رسمياً من حكوماتهم .

(ثالثاً)

وقد رغب حضرة صاحب الفخامة السيد نورى السعيد نيابة عن حكومته إثبات التصريح التالى الذى سبق أن أقره بإجماع الآراء كل من اللجنة

السياسية لجامعة الدول العربية بجلستها المنعقدة فى مساء الخميس ٢٤ من ربيع الثانى ١٣٧٠ (الموافق أول فبراير سنة ١٩٥١) ومجلس جامعة الدول العربية بجلسته المنعقدة فى مساء اليوم (الجمعة ٢٥ من ربيع الثانى سنة ١٣٧٠ الموافق ٢ فبراير سنة ١٩٥١) وذلك تفسيراً للمادتين الرابعة والسادسة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى قطعاً لكل شك حول هذا الشأن .

(نص التصريح)

« إزاء ما ورد فى المادة الرابعة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الإقتصادى بين دول الجامعة العربية من أن تهيئة الوسائل الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى اعتداء مسلح تكون بحسب موارد كل دولة وحاجاتها .

« وإزاء ما ورد فى الفقرة الأخيرة من المادة السادسة من نفس المعاهدة من أن ما يقرره مجلس الدفاع المشترك بأكثرية ثلثى الدول يكون ملزماً لجميع الدول المتعاقدة .

« فان المفهوم أن حكم هذه الفقرة الأخيرة من المادة السادسة لا يسرى فى شأن تهيئة الوسائل الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى إعتداء مسلح إذ أن لهذا الشأن حكماً خاصاً تضمنته المادة الرابعة السالفة الذكر .

وإثباتاً لكل ما تقدم حرر هذا المحضر من نسخة واحدة أصلية تحفظ فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية برفق الوثائق الرسمية الأخرى الخاصة بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الإقتصادى بين دول الجامعة وتسلم صورة منه مطابقة لهذا الأصل لكل دولة من الدول الموقعة .

ووقع هذا المحضر إقراراً بما جاء فيه كل من حضرات أصحاب السمو والمقام الرفيع والفخامة والدولة والمعالى المشار إليهم أعلاه كما وقعه سعادة الأمين العام لجامعة الدول العربية .

حرر بالقاهرة فى ٢٥ من ربيع الثانى ١٣٧٠ [الموافق ٢ فبراير ١٩٥١] .

إمضاءات

الجمهورية السورية	(ناظم القدسى)
المملكة العراقية	(نورى السعيد)
المملكة العربية السعودية	(فيصل)
الجمهورية اللبنانية	(رياض الصلح)
المملكة المصرية	(مصطفى النحاس)
	(محمد صلاح الدين)
الأمانة العامة	(عبد الرحمن عزام)

محضر

فى منتصف الساعة الأولى بعد ظهر يوم السبت ٢٠ من جماد الأول سنة ١٣٧١ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٥٢ بدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة تم برعاية الله سبحانه وتعالى توقيع المملكة الأردنية الهاشمية على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الإقتصادى بين دول الجامعة وعلى الملحق العسكرى وعلى البروتوكول الإضافى للمعاهدة وعلى التصريح الصادر بشأن المادتين الرابعة والسادسة من المعاهدة المذكورة .

وقد وقع المعاهدة وملحقها العسكرى والبروتوكول والتصريح حضرة صاحب السعادة عونى عبد الهادى بك وزير المملكة الأردنية الهاشمية المفوض بمصر المفوض بذلك رسمياً من حكومته .

حرر بدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية فى يوم السبت ٢٠ من جماد الأول سنة ١٣٧١ (الموافق ١٦ فبراير ١٩٥٢) . الأمين العام

عبد الرحمن عزام

ملحق (٥)

١ — التصريح الثلاثي

تصريح الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا

الصادر في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ بشأن تسليح الشرق الأوسط

« أتيحت لحكومات المملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة الفرصة أثناء الاجتماع الذي عقده أخيراً وزراء خارجيتها في لندن لبحث بعض المسائل المتعلقة بالسلم والاستقرار في الدول العربية ودولة إسرائيل وخاصة إرسال أسلحة ومواد حربية إلى هذه الدول ، وقد قررت الحكومات الثلاث إصدار التصريح التالي :

١ — تقرر الحكومات الثلاث بأن الدول العربية ودولة إسرائيل في حاجة إلى الإحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة لتضمن أمنها الداخلي ودفاعها الشرعي وتتمكن من الإضطلاع بالدور الملقى على عاتقها في الدفاع عن المنطقة جمعاء .

وجميع الطلبات المقدمة من هذه البلاد لتوريد أسلحة ومواد حربية اليها سينظر فيها على ضوء هذه المبادىء وتود الحكومات الثلاث أيضاً أن تذكر وتؤكد أحكام التصريح الصادر من مندوبيها في مجلس الأمن يوم ٤ أغسطس

سنة ١٩٤٩ وقد أكد فيه معارضتها لسباق التسلح بين الدول العربية و إسرائيل .

٢ — وتعلن الحكومات الثلاثة أنها تلقت من جميع الدول المنتفعة من إرسال أسلحة إليها ضمانا بأن الدولة المشترية لا تعتزم القيام بأى عمل عدوانى إزاء أية دولة أخرى ، وسيطلب مثل هذا الضمان من أية دولة أخرى فى هذه المنطقة يؤذن بتزويدها بالأسلحة فى المستقبل .

٣ — وتنتهز الحكومات الثلاثة هذه الفرصة لتعلن ما تعلقه على هذه المسألة من إهتمام بالغ ، مع رغبتها فى المساعدة على إعادة توطيد أركان السلم والمحافظة على السلام والإستقرار فى هذه المنطقة ، ومعارضتها التوسل بالقوة أو التهديد أو الإلتجاء إلى القوة بين الدول فى هذه المنطقة ، معارضة لن تتحول عنها .

ولن تنى الحكومات الثلاث ، إذا هى علمت أن إحدى هذه الدول تستعد للاعتداء على الحدود أو خطوط الهدنة لدولة أخرى ، عن إتخاذ الإجراءات سواء فى نطاق هيئة الأمم أو خارجه طبقاً لإلتزاماتها باعتبارها أعضاء فى هيئة الأمم المتحدة لتمنع هذا الإعتداء . »

٢ — رد الدول العربية

بيان مجلس جامعة الدول العربية

فى شأن التصريح الثلاثى الأمريكى البريطانى الفرنسى

٢١ يونيه ١٩٥٠

أتيحت لحكومات الدول العربية الفرصة أثناء الاجتماع الذى عقده أخيراً مجلس جامعة الدول العربية فى الاسكندرية . لبحث التصريح الثلاثى المشترك الذى أصدرته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى ٢٤ من مايو الماضى وحددت فيه هذه الدول الثلاث سياستها من بعض المسائل المتعلقة بالسلم والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط وخاصة فى موضوع إرسال الأسلحة والمواد الحربية إلى الدول العربية واسرائيل .

١ — والدول العربية التى تنزع إلى السلام بطبيعتها وحرصاً منها على التزاماتها المترتبة على ميثاق الأمم المتحدة لا يسعها كأعضاء فى الأسرة الدولية إلا أن ترحب بكل سياسة إيجابية ترمى إلى توطيد أركان السلم والمحافظة على الاستقرار فى أى من مناطق العالم . وليس أكثر منها ترحيبا من باب أولى باستقرار السلام فى الشرق الأوسط خاصة والعمل عليه .

ولا شك أن أقرب طريق إلى بلوغ هذه الغاية هو فى أن تحل المشاكل القائمة التى يخشى منها على السلم والاستقرار على أساس العدالة وصون الحقوق لا على أساس الظلم والغصب أو تخويلهما فى صورة من الصور .

ولذلك اطمأنت الدول العربية إلى أن تصريح الحكومات الثلاث

لا يرى فى الوضع القائم فى فلسطين الحل النهائى للمشكلة الفلسطينية و إلى أنه ترك الباب مفتوحا لاستنباط الحل العادل السليم لهذه المشكلة ولما تفرع عنها بجميع الوسائل السلمية الممكنة .

٢ — ولكم كانت الدول العربية تود مخلصة بعد حربين عالميتين طاحنتين أن تنصرف سائر دول العالم عن التسلح إلى العمل الإنشائى المنتج . أما والأمر مع بالغ الأسف والأسى على العكس من ذلك تماما فلايسع الدول العربية كغيرها إلا الاحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة لتضمن فضلا عن أمنها الداخلى الدفاع الشرعى عن كيانها ولتتمكن من الاضطلاع بالدور الملقى على عاتقها بموجب ميثاق الأمم المتحدة فى الدفاع عن منطقتها جمعاء .

وغنى عن البيان أن تحديد هذا المستوى المعين من القوات المسلحة اللازم لكل منها ولمجموعها هو من صميم اختصاصها وحدها . و يسر الدول العربية أن تسجل أن كل لبس فى هذا الشأن قد أزاله الآن ما تلقته من حكومات الدول الثلاث صاحبة التصريح من ايضاحات . ولا يمكن بداهة أن يكون الأمر شيئا آخر و إلا عد تدخلا لا تستطيع الدول العربية أن تقبله دون تفريط فى سيادتها .

وتود الدول العربية أن تذكر وتؤكد أن كل ما أشيع و يشاع عن اعتزامها القيام بأى عمل هجومى ضد الغير هو أبعد ما يكون عن مقاصدها . وهى لم تنتظر حتى تطلب منها الحكومات الثلاث صاحبة التصريح إثبات نياتها السلمية كشرط لإمكان إمدادها بالسلاح بل كانت أسبق إلى إعلان هذه النيات .

والدول العربية على استعداد لتوكيد هذا الضمان ذاته لأية دولة أخرى قد تلجأ إليها فى المستقبل لشراء السلاح .

٣ — وتنتهز حكومات الدول العربية هذه الفرصة لتعلن أنه بالرغم مما تلقته من الدول الثلاث صاحبة التصريح من تفسيرات وتأكيدات بأنه ليس فيه أى معنى من معانى الإشراف أو الوصاية أو تقسيم الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ فان ما ورد من عبارات فى البند الثالث من التصريح وما أشير إليه فيه بوجه خاص عن إعتزام الدول الثلاث إتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ سياستها المبينة فى هذا التصريح سواء فى نطاق ميثاق هيئة الأمم المتحدة أو خارجه ما زال يثير بحق القلق والشكوك لدى جانب كبير من الرأى العام العربى

ولا شك أنه على عاتق الدول العربية منفردة ومجتمعة كمنظمة إقليمية بالمعنى المقصود فى المادة الثانية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة تقع المسئولية الأولى فى المحافظة على السلم والإستقرار فى منطقتها

ولا تستطيع حكومات الدول العربية أن تسلم لدولة أخرى أو لعدد من الدول تعمل خارج نطاق هيئة الأمم المتحدة بحق البوليس الدولى فى هذه المنطقة . وتستبعد أن يكون هذا هو ما اتجه إليه قصد الحكومات الثلاث لما فيه من مجافاة للمبادىء الأساسية لميثاق الأمم المتحدة ولمسئوليات هذه الهيئة ولمبدأ المساواة بين الدول كبيرها وصغيرها الذى عنى الميثاق بتأكيده فى أكثر من موضع .

وأن الدول العربية لتقدر على ضوء ما تلقته من إيضاحات وتفسيرات أن الحكومات الثلاث صاحبة التصريح لا بد مراعية فى تنفيذها له تنفيذاً بعيداً عن الميل والتحيز شتى الإعتبارات المتقدمة التى من شأنها أن تجعل منه حقا أداة تعاون وسلام لفائدة المجموع لا وسيلة لسيطرة دول على أخرى .

ملحق (٦)

نص

المشروع المقدم من دولة رئيس مجلس وزراء سوريا

الدكتور ناظم القدسى

إلى

اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية

بشأن إقامة اتحاد بين الدول العربية (يناير سنة ١٩٥١)

---

١ — يتشرف رئيس مجلس وزراء سورية بتقديم هذه المذكرة باسم الحكومة السورية إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وإلى أصحاب السمو الملكى والمقام الرفيع والفخامة والدولة والمعالى ممثلى الحكومات العربية السعودية والمصرية والعراقية والأردنية الهاشميه واللبنانيه والمتوكلية اليمنيه فى اللجنة السياسية المنعقدة حالياً فى القاهرة . ويرجوا أن تكون فى هذه اللجنة موضع الدرس والتوصيات لمجلس الجامعة كيما يتخذ هذا المجلس مقرارات بشأن ما يرد فيها فى اجتماعه المنتظر القريب .

٢ — أن خطورة الحالة الدولية واضحة لا تحتاج إلى بيان وتتوالى الأحداث سراعاً بشكل تمثل فيه الاخطار الداهمة للعيان . كل هذا والعرب على ما هم فيه من ضعف وتفرق وتردد وتخلف وحيرة مما يدع أقطارهم

وشعوبهم عرضة لمصائر يصعب على المرء تحديدها ومما لا يجعل لهم متفرقين شأناً فى الميزان الدولى سواء استمرت الحرب الباردة أو يوم تقع الواقعة أو يوم يسوى الحساب .

وقد ثبت أنه لم يعد للدول الصغيرة من ذكر ولابد لها من تكتل يربط بينها بصلات قانونية وثيقة يتبين أثرها الفعال فى السلم ولاشك فى صمودها فى الحرب.

١ — وإلى جانب هذه الأخطار التى تقلق العالم جميعاً نجد أن الدول العربية بليت بخطر آخر ألا وهو العدو اليهودى المقيم فى صرة بلادنا والمتربص بنا شراً والذى يزداد خطره كلما رست باخرة من المهاجرين اليهود على شواطىء فلسطين .

٢ — وتدل الاعتبارات العسكرية السليمة أنه يتعذر فى الوقت الحاضر لأكثر الدول العربية منفردة مجابهة هذا الخطر الصهيونى الذى كان ولما يزل همه الأكبر التفريق بين الدول العربية ومقابلتها واحدة بعد الأخرى ليكتب له البقاء ثم التوسع ، وأن الوسيلة الوحيدة حالياً لاتقاء شره هى احاطته بسوار دفاعى من الشمال والشرق والجنوب .

وأن من أكبر النكبات التى نخشاها على العالم العربى من جراء اسرائيل هو الشطر بين عرب مصر وما جاورها فى الغرب من جهة وهم حوالى ستين مليوناً وبين عرب المشرق وهم حوالى عشرين مليوناً من جهة أخرى . واخطر سهم وجهه اليهود إلى العرب هو الفصل بين هذين القسمين فى مناوراتهم حول النقب وفى قتلهم لبرنادوت لصالحهم الأكيد .

٥ — ولنذكر أن اليهود يطلون على البحر الأبيض المتوسط وعلى البحر الأحمر وأن لهم من أمكانياتهم فى تجهيز الأساطيل التجارية والحربية مايعرض كل السواحل العربية المجاورة لأخطار فى اقتصادياتها أو فى سلامتها . وتدل مشاريعهم فى العقبة خاصة على نوايا توسع كبير فى تلك المياه .

٦ — إن هذه الأخطار من عالمية دولية أو صهيونية تتساوى تجاهها الدول العربية جميعاً عاجلا أو آجلا مهما اختلفت هذه الدول فى مواقعها الجغرافية منها أو فى عواملها المحلية . وهذه حقيقة يحسن التذكير بها إذ ليس الأمر أن تقوم بعض الدول العربية لإنقاذ شقيقات لها بل واقع الحال أن تتدبر الدول جميعاً سلامتها وتضمن وجودها .

إن حوادث السنين الأخيرة دلت أن فى النطاق الدولى أو فى فلسطين والنوايا المبيتة للعالم العربى شواهد ناطقة على مانقول .

٧ — والمعروف أن عناصر القوة والاستعداد الحربى والإمكانيات المادية هى وحدها التى تجعل للدول شأناً فى رقعة السياسة . وينتج أن تركيا وإسرائيل وحدهما يدخلان فى الوقت الحاضر بعرف الكتلتين العالميتين فى حساب الدفاع عن الشرق الأوسط وتحقيق الأمن فيه بالاستناد إلى جيوشهما . أما العرب فى نظر قادة الحروب وأخصائييهم فكمية غير ذات شأن . ولهذا لا تشحن إليهم الأسلحة ولا تحقق المساعدات التى طالما منوا بها واقتصرت آخر الأمر على مخابرات ودراسات وتسويفات لا طائل تحتها .

٨ — ونشير إلى أنه إذا ما ظل العرب على حالهم فليس الأمر فى انحيازهم إلى الكتلة الديموقراطية أو الشيوعية فسواء انتصرت هذه أو تلك سيظلون

على بلواهم بالصهيونية و بالضغط الخارجى من الشرق أو الغرب . إن المهم هو إيجاد القوة أولا ثم تقرير موقفنا على ضوء مصالحنا بثقة و إيمان قبل التطلع إلى هذا المعسكر أو ذاك . وقد دلت أعقاب الحرب الأخيرة للمتبصر أن الدول القوية فى قافلة المغلوب تعامل وستعامل آخر الأمر خيراً من الدول الضعيفة فى قافلة الغالب .

٩ — لهذه الاعتبارات التى قدمنا بموجز عنها نرى لزاماً اقتراح مشروع عملى يشمل الدول العربية جميعاً و يكفل التوحيد فى السياسة الخارجية وفى قوى الدفاع القومى والاقتصاد والمرافق الرئيسية . و يكون بنظر الرأى العام العربى و بنظر الكتل العالمية موضع اهتمام وأمل أو خشية .

و يدل التاريخ القريب أن لهذه الوسيلة العملية ثلاثة أشكال :

أولها : قيام الدول « المتحدة العربية » وهو المثل الأعلى لكل عربى وقد أثبتت حوادث القرنين الماضيين صلاحه وتأثيره فى أمم أوربا وأمريكا . وهو ليس بدعاً فى تاريخ العرب فقد كانوا لاثنى عشر قرناً خلت دولة واحدة وهذه أقوى من الدول المتحدة .

أما الشكل الثانى — وهو أقل أثراً من الأول فى نتائجه كما أثبت التاريخ فهو الاتحاد «Federation» بين الدول العربية .

والشكل الثالث — وهو أضعفها إيماناً هو الكونفدارسيون «Confederation»

١٠ — و إنا إذ نتقدم بهذه الاقتراحات نعلن أيماننا بأرجحية الشكل الأول حتما و إذا كنا أشرنا إلى الشكلين الثانى والثالث فذلك دفعاً

لصعوبات وعقبات قد تعترض سبيل الأول أو تؤدى إلى البحث فى الشكلين الآخرين .

وإنا نرى فى سلوك هذا الطريق توخى المصلحة القومية ومصدر قوة ذات شأن لها كلمتها الأولى فى الشرق الأوسط ورأى فى الميزان الدولى وهى تضمن لنا ولذرارينا سلامة الوطن واستمرار الأمل فى هذه الظروف الدولية الخطيرة .

أما بقاء الصلات بين الدول العربية على ما هى عليه فلم يؤد إلى تقوية شأن العرب فى الماضى القريب وبالتالى لا ينتظر منه شىء كثير فى الحاضر الخطير والمستقبل الداهم ولا بد فى نظرنا من الأخذ بالاقتراح السابق الذكر .

١١ — أما الطريق العملى لتحقيق ذلك فنقترح أن تبدأ اللجنة السياسية فى اجتماعها الحاضر بإقرار الفكرة مبدئياً وإعلانها على الملأ أولا حتى تحيى آمال الشعوب العربية وتقوى عزمها فى الداخل وتوطد موقف العرب السياسى فى الخارج . ثم تختار على الفور لجنة من جميع الدول مهمتها الاتصال السريع بأولى الأمر فى عواصمهم وعرض الفكرة وتذليل العقبات وتأليف وجهات النظر وتحضير النصوص والوثائق اللازمة للوضع الجديد على أسس قوية عملية منتجة تقوم بدراستها بإمعان وتبصر وتقترح ما ينبغى إجراؤه وتشريعه من نصوص وأحكام على أن تنجز عملها فى وقت قصير تحدده اللجنة السياسية مقدما .

وتجتمع اللجنة السياسية بعد ذلك فوراً فى موعد يتفق عليه من الآن

لتنظر فى مقترحات اللجنة المختصة وتوصى بها مجلس الجامعة فوراً لإقرار ماتم عليه الوفاق.

١٢ — ولما كانت الظروف الحاضرة لا تمهل ولا تغتفر التأجيل أو ضياع الأيام . فنرى إلى جانب ما تقدم ومنذ الآن أن يبرم الضمان الجماعى على أساس القيادة الموحدة وتدعى اللجنة أو اللجان العسكرية المختصة لتقوم بأعمالها ولا سيما تنظيم القيادة فى زمن السلم وتأمين التدريب العسكرى العام فى الأقطار العربية .

إن فى هذا الجمع بين التحضير السياسى وتحقيق التنظيم العسكرى ما يعيد إلى جماهير العرب ذلك الإيمان الذى سطروا بفضله أروع الأمجاد فى تاريخهم والذى يمكن أن ينقذهم من أخطار تداهمهم فيخدمون أمتهم والإنسانية بوضعهم القوى الناقع وبمنعهم التطاحن بين الأقوياء على مافى أرضنا من ثروات دفينة وخيرات تتوقف المدنية الآلية على توفرها .

١٣ — ومن الواضح أن قضية السلاح عقبة يتعلق حلها على تذليل قضايا معلقة . وهذا يتطلب بعض الوقت . لذا نرى أن تقوم الدول العربيــة فوراً بتمرين أكبر عدد ممكن من سكانها على الأسلحة الموجودة لديها حالياً وبطريقة سريعة وعملية . كما فعلت ألمـانيا قبل السماح لها بالتسلح فى سنى ١٩٣٠ — ١٩٣٥ فإذا فعلت الدول العربية ذلك بجد وسرعة وهمة أيقنت حينذاك الدول المعنية بالأمر أن حياة جديدة وأسلوباً نشيطاً بدأ العرب بسلوكه مما يمهد للعرب حل قضاياهم المعلقه على اختلافها لأن أهمية الدول

تقاس دوماً وخاصة فى الظروف الحاضرة بما لديها من نظام وقوة أو على ما يمكن أن يكون لديها من قوة عسكرية فى الوقت المناسب .

ونعتقد أن المهم إيجاد الرجال المدربين للدفاع عن أوطاننا فإذا ما وجدوا سهل توفير الأسلحة والأعتدة اللازمة لمجموعاتهم .

١٤ — وإننا لا نبالغ حين نقول أن فيما تقدم من مقترحات رغبة الأمة العربية الملحة فى مختلف أقطارها .

كما أننا نثق أن ما نذهب إليه لا تعدى الحقيقة . فسواء تطلعنا إلى ماضى الامة العربية فيما سلف أو إلى صميم الواقع فيما حضر نجد أن عوامل الوحدة كامنة موفورة راكدة تنتظر من قادة الشعوب شارة الهبوب لتقضى على شبح التفرقة الجاثم والذى لا جذور له ولا أسس فى ضمائر الناس .

والغريب أن نرى فى العالم ولا سيما فى غرب أوروبا أو شرقيها قيام إتحادات تجمع بين أمم متناثرة فى أصولها وعروقها ولغاتها وتاريخها وتقاليدها تقف صفا واحدا وتوحد سياستها الخارجية وتشترك فى قواها الدفاعية وتناسق بين إمكانياتها الاقتصادية بينما تتفرق الدول العربية وقد جمع بينها الأصل والعرق واللغة والتاريخ والمعتقدات والمصلحة أيضاً .

بل نرى ما هو أغرب فيما يتعلق بالمانيا واليابان والحلفاء . إذ يتصافى أعداء الأمس القريب فى سبيل المصلحة المشتركة وتتوحد الجيوش التى لم تمض سنوات قليلة على قتالها الضارى وذلك لدفع الخطر الداهم . فما أحرى إخوان التاريخ والغد أن يتحدوا فيما بينهم .

وأخيراً نرى أن الإتحادات الكبرى فى كل أصقاع الأرض فى أميركا شماليها

وجنو بيها وفى المنطقة الأطلسية . وفى شرق أوروبا. وفى الشرق الأقصى. وهذه الأحلاف وحدها. قادرة على الوقوف .

١٥ — على أنه إذا صممنا على قيام أحد أشكال الإتحاد الثلاثة فعلينا أن نشير بوضوح إلى أن فى الدول العربية أوضاعا فى طراز الحكم يقضى منطق الواقع إحلالها الاعتبار الأول ولكن يمكن التوفيق بينها و بين ما نذهب اليه فى المراحل الأولى حتى تنسجم هذه الأوضاع مع الشكل الجديد .

وفى التاريخ أمثلة كثيرة من هذا القبيل حافظت فيها دول أو دويلات أو إيالات على بعض أوضاعها الخاصة واشتركت وثيقا فى المرافق الرئيسية فانسجمت هذه الأوضاع بتؤدة ووفاق فى إطار الوحدة القومية التى آلت فى النهاية على هذه الأوضاع بالخير العميم .

١٦ — كما نجد من الواجب الاشارة إلى أن تفاوت الدول العربية فى عدد سكانها حقيقة راهنة يقضى منطق الواقع أيضاً أن تؤخذ بنظر الإعتبار عند تشكيل المجالس والهيئات المشرفة على الإتحاد .

١٧ — هذا أما الاعتبارات التى طالما قيل أنها تقف فى طريق الوحدة أو الإتحاد فإن فى التطورات الإجتماعية والإنقلابات الدولية من بطيئة هادئة أو مداهمة صاخبة ما لا تقف أمامه كل إعتبارات مبنية على المقياس المحلى الصرف . وأن العالم ليتمخض عن موجات عاتية طاغية لا تصمد أمامها أوضاع الدولة المنفردة ، ومن الواجب تدبيرها فى حينه قبل أن يفلت الزمام و يفوت الأوان .

وقد يرى البعض فيما تنطوى عليه هـذه المذكرة من مقترحات ضربا

من المشاريع البعيدة التحقيق أو الخيالية ولـكنا فى يقيننا أن بقاء العرب على على ما هم فيه تجاه الظروف الدولية الخطيرة هو الأقرب إلى الخيال والابعد عن الدوام .

١٨ — وفى رأينا الصريح أن الدول العربية ستكون عرضة لتطورات لا يمكن تجنبها ومن الخير أن نسعى إلى الإتحاد أحرارا وأن يكون لصالحنا،من صنع أيدينا ومن إندفاع الأمة العربية وحماسها بدلا من أن تفرض علينا أشكال أخرى فى ظروف قاهرة وتكون علينا ولأعادينا وأن تذرق الشعوب العربية فى طريقها الأهوال .

١٩ — ان الوعى القومى يسبق الساسة فى العالم العربى وهذا الوعى لن يغتفر التمادى فى سياسة جرت عليه نكبة فلسطين وقد تجر عايه أدهى منها فى قطر بعد آخر ومن الحـكمة أن نستمع لإرادة الشعوب وهى منقادة واثقة قبل أن تدخل فيها فوضى النزعات مستفيدة من خيبتها فى الحاضر ويأسها من المستقبل .

٢٠ — ولقد خيبت الجامعة العربية آمال العرب وكانت إسرافا فى المظاهر والأقوال وجدبا فى النتائج والأفعال وعرف الجميع أن الروح السائدة فيها لا تساير واقع العصر وسرعة الزمن وخطورة الأحداث ووثبة إرادة الشعوب لأنها لم تسلك الطريق الإنشائى فى أى حقل من الدفاع أو الإقتصاد أو الثقافة أو الإجتماع . ولم يشعر الفرد العربى بوجودها لأنها لم تؤمن له حاجة أو تحيى له أملا بالتطور والتقدم .

٢١ — وهذا الاجتماع الحاضر للجنة السياسية ولمجلس الجامعة من بعده هو القول الفصل فى حياة الجامعة فى نظر العرب جميعا . كما أن الأحداث

الدولية فى هذه الظروف هى القول الفاصل بين السلم والحرب و بين الكتلتين المتطاحنتين . فاما أن تندثر الجامعة فى عقيدة الأمة إذا استمر فيها الجدل والتعليق والتأجيل والتحويل إلى اللجان والحكومات . أو أن تبعث إذا أقرت ما يطمئن إليه الرأى العام .

٢٢ — وما يطمئن اليه الرأى العام هو هـذا الاتحاد الذى يجمع بين إمكانيات الدول العربية وتأتى فى المقدمة منها القوة الدفاعية التى تنبثق عن ضم جيوشها وتأمين لوازمها وتحمل أعبائها التى تدفع عنه الغوائل وتكفل له المنعة . ثم ما ينتج من الجمع بين موارد هذه الأقطار المتممة بعضها لبعض فى الخصائص والموارد والشروط من قدرة على تحقيق المشاريع الكبرى فى ميادين الإقتصـاد والصحة والتعليم والاجتماع مما يرفع من مستوى العيش للفرد العربى وحتى يشعر فى قرارة نفسه أن الوطن ليس بالمثل المجرد بل حقيقة واقعة تتمثل فيما تحمل اليه حياة كل يوم من منعة ونمو فيندفع فى الذود عن هذا الوطن وينشط فى العمل فى مرافقه لخدمة أمته والانسانية والسلام .

ملحق (٧)

نص مشروع الاتحاد العربى

المقدم من السيد فاضل الجمالى رئيس وزراء العراق

إلى مجلس جامعة الدول العربية فى الدورة العشرين (يناير ١٩٥٤)

ليس بخاف أن سياسة العراق القومية كانت وما زالت تهدف دائماً إلى وحدة العرب وجمع كلمتهم . وقد أعلنت الحكومة العراقية فى خطاب العرش بتاريخ ١ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٣ بأن السبيل الوحيد لانقاذ العرب من محنتهم الحاضرة ومجابهة الخطر الاسرائيلى وإقرار السلم فى هذا القسم الحيوى من العالم هو تحقيق الاتحاد العربى وهى ماضية فى هذه الخطوة .

وقد لاحظت الحكومة العراقية بسرور وابتهاج ما رددته مصر الشقيقة بلسان رئيسها ورجال حكومتها من الرغبة الصادقة فى اتحاد البلاد العربية . وقد بدت مثل هذه الرغبة فى فترات متفاوتة من قبل رؤساء حكومات الدول العربية الأخرى .

وقد رأى الوفد العراقى تحقيقاً لسياسته واستجابة للرغبة الكريمة التى ترددت فى مصر والبلاد العربية الأخرى تقديم المذكرة التالية وقد حرص على أن تكون اجمالية مختصرة مؤثراً أرجاء التفصيل الضرورى إلى المفاوضات المرجوة حين قبوله والشروع فى تنفيذه .

أولا : —

١ — لم يعد اتحاد الشعوب العربية خيالا يداعب مخيلة المعنيين بالمثل العليا بل أصبح ضرورة قومية لازمة للأمة العربية كافة يتوقف عليها وجودها كما تتوقف عليه فى الوقت نفسه القدرة الأكيدة على درء الاخطار التى تحدق بالأمة العربية وحل المشاكل التى تواجهها .

٢ — و إذا ما سلمنا بتلكم الحقائق وأدركنا الخطر الداهم الذى يهدد الكيان العربى فواجب محتوم على الدول العربية أن تبادر إلى الأخذ عملياً بمبدأ الاتحاد مع تقدير احتمال أنها لا تستطيع كلها مجتمعة و بسرعة واحدة السير فى طريق الاتحاد وذلك لعوامل واعتبارات جغرافية وداخلية واجتماعية موقوته تخص كل قطر من الأقطار العربية .

٣ — أن القول بضرورة السير الاجماعى نحو الاتحاد المنشود بسرعة واحدة من قبل الدول أعضاء الجامعة كلهم قد اخر قضية الاتحاد العربى التى يهدف إليها ميثاق جامعة الدول العربية .

٤ — وعليه فإن الواجب على الدول ذات الممكنات الراهنة لتحقيق الاتحاد أن تشرع فوراً وأن تمضى قدما لتحقيقه على أن تساعدها الدول الأخرى ريثما تستطيع الانضمام إلى هذا الاتحاد بصورة طبيعية .

٥ — لاشك أن فى أى اتحاد يتم بين دولة وأكثر يجب أن ينبعث عن إقتناع شعوب تلك البلاد وحكوماتها بما تمليه وحدة المصالح والأهداف ولا يجوز السير بالاتحاد على أسس غير ديمقراطية ونحن مطمئنون إلى أن شعوب الدول العربية سائرة عاجلا أم آجلا نحو هذه الغاية .

ثانيا : —

١ — تجرى مفاوضات بين الدول التى تستطيع وتريد الدخول فى الاتحاد على الأسس التى يرغب فى إنشاء الاتحاد عليها . و بعد التوصل إلى اتفاق فى هذا الخصوص تحاط جامعة الدول العربية علماً بذلك وهى بدورها تحيط الدول الأعضاء علماً بذلك .

٢ — تشرع الدول الراغبة فى الاتحاد فى سن دستور للاتحاد يعرض على برلماناتها لإقراره ثم تعدل دساتيرها على هذا الأساس .

٣ — يستهدف الدستور الاتحادى وحده السياسة الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية والمشتركة وغير ذلك مما يتفق عليه المتفاوضون وينص الدستور على الإدارة الإشتراكية والتنفيذية للاتحاد .

ثالثاً : —

أن العراق ليعرب عن استعداده للدخول فى الاتحاد مع أى قطر من الأقطار العربية الراغبة فيه ويرجو مخلصاً أن يلقى من لدن الأعضاء مثل الرغبة التى يحسها و يعمل لتحقيقها .

رابعاً : —

و إلى أن تنضم جميع الدول الأعضاء فى الجامعة العربية إلى الاتحاد فإن الجامعة العربية تظل إدارة تعمل لارتباط المجموعة العربية الكبرى بعضها ببعض .

ملحق (٨)

اتفاقية الدفاع المشترك

(مصر — سوريا)

إن حكومتى سوريا ومصر توطيداً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وتوكيداً لإخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء .

ورغبة منهما فى زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكرى حرصاً على استقلال بلادهما ومحافظة على سلامتهما وإيماناً منهما بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينهما يعتبر عاملا رئيسياً فى تأمين سلامة واستقلال كل منهما وتحقيقاً لأمانيهما فى الدفاع المشترك عن كيانهما وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافهما .

وإعمالا لما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية قد اتفقتا على عقد اتفاقية لهذه الغاية وأنابتا عنهما المفوضين الآتية أسماؤهم :

عن حكومة الجمهورية السورية :

معالى السيد رشاد برمدا ، وزير الدفاع الوطنى .

عن حكومة جمهورية مصر :

سيادة الأميرالاى ، محمود رياض سفير مصر فى سوريا .

اللذين بعد تبادل وثائق التفويض التي تخولهما سلطة كاملة التي وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقا على ما يأتي :

(المادة الأولى)

تؤكد الدولتان المتعاقدتان حرصهما على دوام الأمن والسلام واستقرارهما وعزمهما على فض جميع منازعاتهما الدولية بالطرق السلمية .

(المادة الثانية)

تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منهما أو قواتها اعتداء عليهما ولذلك فإنهما عملا بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها و بأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدما جميع ماالديهما من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما .

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء و بما اتخذ في صدده من تدابير و إجراءات .

وتتعهد الدولتان المتعاقدتان بألا تعقد أي منهما صلحاً منفرداً مع المعتدي أو أي اتفاق معه دون موافقة الدولة الأخرى .

(المادة الثالثة)

تتشاور الدولتان المتعاقدتان فيما بينهما بناء على طلب إحداهما كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر فى سلامة أراضى أية واحدة منهما أو استقلالها .

وفى حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدولتان المتعاقدتان على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائيـة والدفاعية التى يقتضيها الموقف .

(المادة الرابعة)

أما عند وقوع اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات إحدى الدولتين المتعاقدتين فبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التى تتخذ لمواجهة هذا العدوان تقرر الدولتان فوراً الإجراءات التى تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ .

(المادة الخامسة)

تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقيـة قررت الدولتان المتعاقدتان إنشـاء الجهاز التالى :

مجلس أعلى .

مجلس حربى .

قيادة مشتركة .

(المادة السادسة)

١ — يتكون المجلس الأعلى من وزراء الخارجية والحربية (الدفاع) للدولتين المتعاقدتين وهو المرجع الرسمى للقائد العام للقيادة المشتركة الذى يتلقى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحيته .

٢ — يضع المجلس الأعلى بناء على اقتراح المجلس الحربى تعليمات القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهماتها وهو المختص بالتعديلات التى تدخل عليها بناء على اقتراح المجلس الحربى .

٣ — يختص المجلس الأعلى بالنظر فى التوصيات والقرارات التى يصدرها المجلس الحربى مما هو خارج عن اختصاص رؤساء الأركان .

٤ — يصدر المجلس الأعلى اللوائح التى تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربى.

(المادة السابعة)

١ — يتألف المجلس الحربى من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ورئيس الأركان العامة للجيش السورى . وهو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهمات الموكولة للقيادة المشتركة .

٢ — يصدر المجلس الحربى توصياته عن الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية وعن كل ما يتعلق بها فى الدولتين المتعاقدتين .

٣ — يدرس المجلس الحربى البرامج الموضوعة من قبل القيادة المشتركة لتدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعة تحت قيادتها كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جميع جيوش الدولتين المتعاقدتين ويتخذ الاجراءات الكفيلة لتحقيقها ، ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقراره .

٤ — لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التى تعرض عليه وينظم المجلس أعمال هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها .

(المادة الثامنة)

١ — تشمل القيادة المشتركة :

(ا) القائد العام .

(ب) هيئة أركان حرب .

(ج) الوحدات التى يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها . تمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهى ذات صفة دائمة .

٢ — يتولى القائد العام قيادة القوات التى توضع تحت إمرته وهو مسئول أمام المجلس الأعلى .

٣ — يختص القائد العام بما يلى :

(ا) وضع وتطبيق برامج تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات التى تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته بحيث تصبح قوة موحدة وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربى لتحقيقها أو رفعها إلى المجلس الأعلى لإقرارها .

(ب) إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة جميع الإحتمالات المتوقعة من أى إعتداء مسلح يمكن أن يقع على إحدى الدولتين أو على قواتهما . و يعتمد فى إعداد هذه الخطط على ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات .

(ج) توزيع القوات التى تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته فى السلم والحرب وفقاً للخطط الدفاعية المشتركة .

(د) وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربى لدراستها ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى .

٤ — يكون تعيين وتنحية المعاونين الرئيسيين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربى بالاتفاق مع القائد العام . أما باقى هيئة القيادة فإنها تعين بالإتفاق بين القائد العام ورئيس هيئة أركان الجيش المعنى .

(المادة التاسعة)

١ — تضع الدولتان المتعاقدتان تحت تصرف القيادة المشتركة :

(ا) فى حالة السلم : القوات التى يرى المجلس الحربى بالاتفاق مع القائد العام ضرورة وضعها تحت إمرته وذلك بعد موافقة المجلس الأعلى .

(ب) فى حالة الحرب: جميع القوات المحاربة التى تملكها كل من الدولتين.

(ج) تعتبر القوات المتمركزة على الحدود الفلسطينية داخلة حتما تحت إمرة القائد العام .

٢ — يحدد المجلس الحربى بناء على إقتراح القائد العام المنشآت والقواعد الضرورية لتحقيق الخطط وأسبقية إنشائها .

(المادة العاشرة)

١ — ينشأ صندوق مشترك تساهم فيه الدولتان المتعاقدتان للإنفاق منه على تحقيق الأغراض التالية :

(ا) نفقات القيادة المشتركة وتكون مناصفة بين الدولتين .

(ب) المنشآت العسكرية المنوه عنها فى المادة التاسعة فقرة (٢)بنسبة :

٣٥ ٪ الجمهورية السورية .

٦٥ ٪ جمهورية مصر .

٢ — تدفع كل من الدولتين المتعاقدتين الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل فى القيادة المشتركة والمجلس الحربى واللجان الأخرى وفق أنظمتها المالية الخاصة بها .

(المادة الحادية عشرة)

ليس فى أحكام هذه المعاهدة مايمس أو ما يقصد به أن يمس بأى حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى قد تترتب على كل من الدولتين المتعاقدتين بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة أو المسئوليات التى يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولى .

(المادة الثانية عشرة)

مدة هذه المعاهدة خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا .

ولأى دولة من الدولتين المتعاقدتين أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولة الأخرى كتابة برغبتها فى ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أى من المدد المذكورة سابقاً .

(المادة الثالثة عشرة)

يصدق على هذه الاتفاقية وفق الأوضاع الدستورية المرعية فى كل من الدولتين المتعاقدتين و يتم تبادل وثائق التصديق فى وزارة الخارجية السورية فى دمشق خلال مدة أقصاها ثلاثون يوماً من تاريخ توقيع هذه الاتفاقية ، وتعتبر هذه الاتفاقية نافذة فور تبادل وثائق التصديق .

حررت هذه الاتفاقية فى دمشق بتاريخ الرابع من ربيع الأول عام ١٣٧٥ للهجرة الموافق العشرون من تشرين الأول عام ١٩٥٥ من نسختين تسلم كل طرف واحدة منهما .

عن الجمهورية السورية	عن جمهورية مصر
رشاد برمدا	محمود رياض
وزير الدفاع الوطنى	سفير جمهورية مصر لدى الجمهورية السورية

خطابان متبادلان

دمشق فى ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥

معالى وزير دفاع الجمهورية السورية .

عطفاً على اتفاقية الدفاع المشترك الموقعة فى دمشق بتاريخ ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٥٥ بين حكومة جمهورية مصر وحكومة الجمهورية السورية فإننى أتشرف بإحاطتكم علماً بأن حكومتى لن تطالب الحكومة السورية بأى جزء من نفقات المنشئات العسكرية التى قد تقام فى الأراضى المصرية أو الأراضى الفلسطينية الواقعة تحت إشراف القوات المصرية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

محمود رياض
سفير جمهورية مصر

دمشق فى ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥

سعادة سفير جمهورية مصر :

بالإشارة إلى كتابكم المؤرخ فى ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥ الآتى نصه :

عطفاً على اتفاقية الدفاع المشترك الموقعة فى دمشق بتاريخ ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٥٥ بين حكومة جمهورية مصر وحكومة الجمهورية السورية فإننى أتشرف بإحاطتكم علماً بأن حكومتى لن تطالب الحكومة السورية بأى جزء من نفقات المنشئات العسكرية التى قد تقام فى الأراضى المصرية أو الأراضى الفلسطينية الواقعة تحت إشراف القوات المصرية .

لى الشرف بإعلامكم أننى باسم حكومتى أوافق على النص المذكور .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

رشاد برمدا
وزير الدفاع الوطنى

ملحق

يؤكد الطرفان المتعاقدان أن اتفاقية الدفاع المشترك الموقعة فيما بينهما لا تبطل التزاماتهما المترتبة عن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية .

عن حكومة الجمهورية السورية	عن حكومة جمهورية مصر
رشاد برمدا	محمود رياض

ملحق (٩)

اتفاقية الدفاع المشترك

مصر — المملكة العربية السعودية

إن حكومتي جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية توطيداً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وتوكيداً لإخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء ورغبة منهما في زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكرى حرصاً على استقلال بلادهما ومحافظة على سلامتها وإيماناً منهما بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينهما يعتبر عاملا رئيسياً فى تأمين سلامة واستقلال كل منهما وتحقيقاً لأمانيهما فى الدفاع المشترك عن كيانهما وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها.

وعملا بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية قد اتفقتا على عقد اتفاقية لهذه الغاية وأنابتا عنهما المفوضين الآتية أسماؤهم :

عن حكومة جمهورية مصر ، الرئيس البكباشى (أ. ح) جمال عبد الناصر حسين ، رئيس مجلس الوزراء .

عن حكومة المملكة العربية السعودية ، حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود .

اللذين بعد تبادل وثائق التفويض التى تخولها سلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقتا على ما يلى :

(المادة الأولى)

تؤكد الدولتان المتعاقدتان حرصهما على دوام الأمن والسلام واستقرارهما وعزمهما على فض جميع منازعاتهما الدولية بالطرق السلمية .

(المادة الثانية)

تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منهما أو على قواتها اعتداء عليهما ولذلك فإنهما عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها و بأن تتخذا على الفور جميع التدابير وتستخدما جميع مالديهما من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما .

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء و بما اتخذ فى صدده من تدابير و إجراءات .

تتعهد الدولتان المتعاقدتان بألا تعقد أى منهما صلحاً منفرداً مع المعتدى أو أى اتفاق معه دون موافقة الدولة الأخرى .

(المادة الثالثة)

تتشاور الدولتان المتعاقدتان فيما بينهما بناء على طلب إحداهما كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر فى سلامة أراضى أية واحدة منهما أو استقلالها .

وفى حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدولتان المتعاقدتان على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف .

(المادة الرابعة)

أما عند وقوع اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات إحدى الدولتين المتعاقدتين فبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التى تتخذ لمواجهة هذا العدوان تقرر الدولتان فورا الإجراءات التى تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ .

(المادة الخامسة)

تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدولتان المتعاقدتان إنشاء الجهاز التالى :

— مجلس أعلى .

— مجلس حربى .

— قيادة مشتركة .

(المادة السادسة)

١ — يتكون المجلس الأعلى من وزراء الخارجية والحربية (الدفاع) للدولتين المتعاقدتين وهو المرجع الرسمى للقائد العام للقيادة المشتركة الذي يتلقى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحينه .

٢ — يضع المجلس الأعلى بناء على اقتراح المجلس الحربى تنظيمات القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهماتها وهو المختص بالتعديلات التى تدخل عليها بناء على اقتراح المجلس الحربى . وللمجلس الأعلى حق تكوين اللجان والمجالس الفرعية أو المؤقتة عند اللزوم .

٣ — يختص المجلس الأعلى بالنظر فى التوصيات والقرارات التى يصدرها المجلس الحربى مما هو خارج عن اختصاصات رؤساء الأركان .

٤ — يصدر المجلس الأعلى اللوائح التى تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربى .

(المادة السابعة)

١ — يتألف المجلس الحربى من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ورئيس هيئة أركان حرب الجيش السعودى وهو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهمات الموكولة للقيادة المشتركة .

٢ — يصدر المجلس الحربى توصياته عن الصناعات الحربية والمواصلات

اللازمة للأغراض العسكرية وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية وعن كل ما يتعلق بها فى الدولتين المتعاقدتين .

٣ — يدرس المجلس الحربى البرامج الموضوعة من قبل القيادة المشتركة لتدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعة تحت قيادتها كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جميع جيوش الدولتين المتعاقدتين ويتخذ الإجراءات الكفيلة لتحقيقها ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقراره .

٤ — لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التى تعرض عليه وينظم المجلس أعمال هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها .

(المادة الثامنة)

١ — تشمل القيادة المشتركة :

(ا) القائد العام .

(ب) هيئة أركان حرب .

(ج) الوحدات التى يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها تمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهى ذات صفة دائمة .

٢ — يتولى القائد العام قيادة القوات التى توضع تحت إمرته وهو مسئول أمام المجلس الأعلى .

٣ — يختص القائد العام بما يلى :

(ا) وضع وتطبيق برامج تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات التى

تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته بحيث تصبح قوة موحدة وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربى لتحقيقها أو رفعها إلى المجلس الأعلى لإقرارها .

(ب) إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة جميع الاحتمالات المتوقعة من أى اعتداء مسلح يمكن أن يقع على إحدى الدولتين أو على قواتهما . ويعتمد فى إعداد هذه الخطط على ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات .

(ج) توزيع القوات التى تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته فى السلم والحرب وفقاً للخطط الدفاعية المشتركة .

(د) وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربى لدراستها ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى .

٤ — يكون تعيين وتنحية المعاونين الرئيسيين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربى بالاتفاق مع القائد العام . أما باقى هيئة القيادة فإنها تعين بالاتفاق بين القائد العام ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المعنى .

(المادة التاسعة)

تضع الدولتان المتعاقدتان تحت تصرف القيادة المشتركة فى حالة السلم والحرب القوات التى يرى المجلس الحربى بالاتفاق مع القائد العام ضرورة وضعها تحت إمرته وذلك بعد موافقة المجلس الأعلى .

(المادة العاشرة)

تدفع كل من الدولتين المتعاقدتين الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل فى القيادة المشتركة والمجلس الحربى واللجان الأخرى وفق أنظمتها المالية الخاصة بها .

(المادة الحادية عشرة)

ليس فى أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس بأى حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى قد تترتب على كل من الدولتين المتعاقدتين بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة أو المسئوليات التى يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولى .

(المادة الثانية عشرة)

مدة هذه المعاهدة خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا .

ولأى دولة من الدولتين المتعاقدتين أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولة الأخرى كتابة برغبتها فى ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أى من المدة المذكورة سابقاً .

(المادة الثالثة عشرة)

يصدق على هذه الاتفاقية وفق الأوضاع الدستورية المرعية فى كل من الدولتين المتعاقدتين ويتم تبادل وثائق التصديق فى خلال مدة أقصاها

ثلاثون يوماً من تاريخ توقيع هذه الاتفاقية ، وتعتبر هذه الاتفاقية نافذة فور تبادل وثائق التصديق .

حررت هذه الاتفاقية فى القاهرة بتاريخ الحادى عشر من ربيع الأول سنة ١٣٧٥ ﻫ (الموافق السابع والعشرون من أكتوبر سنة ١٩٥٥ م) وقد وقع على هذه الاتفاقية من ثلاث نسخ واحتفظ كل من الطرفين بنسخة منها وترسل نسخة إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

عن جمهورية مصر	عن المملكة العربية السعودية
(إمضاء)	(إمضاء)
جمال عبد الناصر حسين	فيصل بن عبد العزيز آل سعود.

ملحق (١٠)

اتفاقية الدفاع المشترك

بين

حكومة جمهورية مصر	والمملكة العربية السعودية	والمملكة المتوكلية اليمنية

إن حكومة جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية توطيداً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وتوكيداً لإخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء ورغبة منها فى زيادة وتوثيق التعاون العسكرى حرصاً على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها وإيماناً منها بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينهما يعتبر رئيسياً فى تأمين واستقلال كل منها وتحقيقاً لأمانيها فى الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها وعملا بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية قد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية وأنابت عنها المفوضين الآتية أسماؤهم :

عن جمهورية مصر	الرئيس جمال عبد الناصر
عن المملكة العربية السعودية	جلالة الملك سعود الأول ابن عبد العزيز آل سعود
عن حكومة المملكة المتوكلية اليمنية	الإمام أحمد الناصر لدين الله

الذين بعد تبادل وثائق التفويض التى تخولهم سلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقوا على ما يلى :

(المادة الأولى)

تؤكد الدول المتعاقدة حرصها على دوام الأمن والسلام واستقرارهما وعزمها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية

(المادة الثانية)

تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منها أو على قواتها اعتداء عليها ولذلك فإنها عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانها تلتزم بأن تبادر كل منها إلى معونة الدولة المعتدى عليها و بأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الإعتداء ولإعادة الإمن والسلام إلى نصابهما .

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الإعتداء و بما اتخذ فى صدده من تدابير و إجراءات :

وتتعهد الدول المتعاقدة بأن لا تعقد أى منها صلحاً منفرداً مع المعتدى أو أى اتفاق معه بدون موافقة الدولتين الأخريين .

(المادة الثالثة)

تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب إحداها كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر فى سلامة أراضى أية واحدة

منها أو استقلالها . وفى حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها ، تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف .

(المادة الرابعة)

أما عند وقوع اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات الدول المتعاقدة فبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التى تتخذ لمواجهة هذا العدوان تقرر الدول الثلاث فوراً الإجراءات التى تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ .

(المادة الخامسة)

تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدول المتعاقدة إنشاء الجهاز التالى :

— مجلس أعلى .

— مجلس حربى .

— قيادة مشتركة .

(المادة السادسة)

١ — يتكون المجلس الأعلى من وزراء الخارجية والحربية (الدفاع) للدول المتعاقدة وهو المرجع الرسمى للقائد العام للقيادة المشتركة الذى يتلقى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية ، ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحيته .

٢ — يضع المجلس الأعلى بناء على اقتراح المجلس الحربى تنظيمات

القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهماتها وهو المختص بالتعديلات التى تدخل عليها بناء على اقتراح المجلس الحربى ، وللمجلس الأعلى حق تكوين اللجان والمجالس الفرعية المؤقتة عند اللزوم .

٣ — يختص المجلس الأعلى بالنظر فى التوصيات والقرارات التى يصدرها المجلس الحربى مما هو خارج عن اختصاصات رؤساء الأركان .

٤ — يصدر المجلس الأعلى اللوائح التى تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربى .

(المادة السابعة)

١ — يتألف المجلس الحربى من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ورئيس هيئة أركان حرب الجيش السعودى ورئيس هيئة أركان حرب الجيش اليمنى وهو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهمات الموكولة للقيادة المشتركة .

٢ — يصدر المجلس الحربى توصياته عن الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية وعن كل ما يتعلق بها فى الدول المتعاقدة .

٣ — يدرس المجلس الحربى البرامج الموضوعة من قبل القيادة لتدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعة تحت قيادتها كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جميع جيوش الدول المتعاقدة ويتخذ الإجراءات الكفيلة لتحقيقها ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقراره .

٤ — لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التى تعرض عليه وينظم المجلس الأعلى هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها .

(المادة الثامنة)

١ — تشمل القيادة المشتركة .

(ا) القائد العام .

(ب) هيئة أركان حرب .

(ج) الوحدات التى يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها .

تمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهى ذات صفة دائمة .

٢ — يتولى القائد العام قيادة القوات التى توضع تحت إمرته وهو مسئول أمام المجلس الأعلى .

٣ — يختص القائد العام بما يلى :

(ا) وضع وتطبيق برامج تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات التى تضعها الدول المتعاقدة تحت إمرته بحيث تصبح قوة موحدة وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربى لتحقيقها أو رفعها إلى المجلس الأعلى لإقرارها .

(ب) إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة جميع الاحتمالات المتوقعة من أى اعتداء مسلح يمكن أن يقع على إحدى الدول المتعاقدة أو على قواتها ويعتمد فى إعداد هذه الخطط على ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات .

(ج) يوزع القوات التى تضعها الدول المتعاقدة تحت إمرته فى السلم والحرب وفقا للخطط الدفاعية المشتركة .

(د) وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربى لدراستها ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى .

٤ — يكون تعيين وتنحية المعاونين الرئيسيين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربى بالاتفاق مع القائد العام . أما باقى هيئة القيادة فإنها تعين بالاتفاق بين القائد العام ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المعنى .

(المادة التاسعة)

تضع الدول المتعاقدة تحت تصرف القيادة المشتركة فى حالة السلم والحرب القوات التى يرى المجلس الحربى بالاتفاق مع القائد العام ضرورة وضعها تحت إمرته وذلك بعد موافقة المجلس الأعلى .

(المادة العاشرة)

تدفع كل من الدول المتعاقدة الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل فى القيادة المشتركة والمجلس الحربى واللجان الأخرى وفق نظاماتها المالية الخاصة بها .

(المادة الحادية عشرة)

ليست فى أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس بأى حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى قد تترتب على كل من الدول المتعاقدة بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة . أو المسئوليات التى يضطلع بها

مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولى . وليس فى الأحكام المتقدم ذكرها كذلك ما يخل بأحكام أية اتفاقية دفاع ثنائية يكون قد ارتبط بها الأطراف المتعاقدون مع دولة من دول جامعة الدول العربية ..

(المادة الثانية عشرة)

مدة هذه المعاهدة خمس سنوات تجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا ولأى دولة من الدول المتعاقدة أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولتين الأخريين كتابة برغبتها فى ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أى من المدة المذكورة سابقا .

حررت هذه الاتفاقية فى جده بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٧٥ هـ الموافق ١١ إبريل سنة ١٩٥٦ م

وقد وقع على هذه الاتفاقية من أربع نسخ واحتفظ كل من الأطراف الثلاث بنسخة وترسل نسخة إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

إمضـــاءات

عن	عن	عن
جمهورية مصر	المملكة العربية السعودية	المملكة المتوكلية اليمنية
(جمال عبد الناصر)	(سعود آل سعود)	(أحمد بن يحيى)

ملحق (١١)

مقترحات الدول الأربع

« وهى المعروفة بالمقترحات الرباعية للدفاع »
« عن الشرق الأوسط والتى تقدمت بها »
« المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا »
« وتركيا إلى كل من مصر والدول العربية »
« فى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥١ »

يتشرف السفير البريطانى بناء على تعليمات حكومة جلالة الملك فى لمملكة المتحدة بأن يقدم إلى الحكومة المصرية مقترحات لتسوية الخلافات بين مصر والمملكة المتحدة فى مسألة وجود قوات بريطانية فى منطقة قناة السويس وفى مسألة الدفاع بوجه عام . وبمقتضى هذه المقترحات التى توافق عليها حكومات فرنسا وتركيا والولايات المتحدة موافقة تامة وتؤيدها . ستقام هذه المسائل على أساس هيئة للدفاع عن الشرق الأوسط تساهم فيها مصر كشريك مع الدول الأخرى التى يهمها الأمر .

وكانت الحكومة المصرية قد أبلغت بجلاء أن مقترحات بعيدة المدى لتسوية هذه المسائل كانت على وشك أن تقدم إليها عند ما عمدت فى ٨ اكتوبر إلى تقديم تشريع لإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ الإنجليزية المصرية واتفاق سنة ١٨٩٩ الخاص بالإدارة المشتركة للسودان .

وعلى الرغم من حيرة حكومة جلالة الملك فى إدراك أسباب العمل الذى قامت به الحكومة المصرية ولا يمكنها الاعتراف بشرعيته ، فإنها قررت

بالاتفاق مع حكومات فرنسا وتركيا والولايات المتحدة . أن تقدم هذه المقترحات إلى الحكومة المصرية بأمل أن تعيرها أكبر قسط من العناية الجدية ولإظهار مبلغ ما أوليت هذه المسائل من دراسة دقيقة ومدى استعداد حكومة جلالة الملك متحدة مع الحكومات الأخرى التى يهمها الأمر للسير فى سبيل رغبتها لملاقاة أمانى مصر الوطنية من جهة . واحتياجات الدفاع عن هذه المنطقة الهامة من جهة أخرى .

١ — تنتمى مصر إلى العالم الحر . وتبعاً لذلك فالدفاع عنها وعن الشرق الأوسط عموماً أمر حيوى لها وللأمم الديمقراطية الأخرى على السواء .

٢ — لا يمكن تأمين الدفاع عن مصر والدول الأخرى فى الشرق الأوسط ضد العدوان من الخارج إلا بالتعاون بين جميع الدول التى يهمها الأمر .

٣ — لا يمكن ضمان الدفاع عن مصر إلا عن طريق الدفاع الفعال عن منطقة الشرق الأوسط وتنسيقه مع الدفاع عن المناطق المتاخمة .

٤ — وعلى ذلك يبدو من المرغوب فيه إنشاء قيادة متحالفة فى الشرق الأوسط تشترك فيها الدول القادرة على الدفاع عن المنطقة والراغبة فى المساهمة فيه ، وإن المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا مستعدة لأن تشترك مع الدول الأخرى التى يهمها الأمر فى إنشاء مثل هذه القيادة فضلا عن أن استراليا ونيوزيلندا واتحاد جنوب أفريقيا قد أعربت عن اهتمامها بالدفاع عن المنطقة ووافقت من حيث المبدأ على الاشتراك فى القيادة .

٥ — مصر مدعوة إلى الاشتراك كعضو مؤسس فى القيادة المتحالفة للشرق الأوسط على أساس المساواة والمشاركة مع الأعضاء المؤسسين الآخرين

٦ — إذا كانت مصر مستعدة للتعاون الكامل فى هيئة القيادة المتحالفة وفقاً لأحكام الملحق المرافق فإن حكومة جلالة الملك تكون من جانبها راغبة فى الموافقة على أن تسحب من مصر تلك القوات البريطانية التى لا تخصص للقيادة المتحالفة للشرق الأوسط باتفاق بين الحكومة المصرية وحكومات الدول الأخرى المشتركة كذلك كأعضاء مؤسسين فى هيئة القيادة المتحالفة للشرق الأوسط .

٧ — وفيما يختص بالقوات المسلحة التى توضع تحت تصرف القيادة المتحالفة للشرق الأوسط وتقديم التسهيلات الضرورية للدفاع الاستراتيجى إلى هذه القوات كالقوات العسكرية والجوية والمواصلات والموانى الخ فإنه ينتظر من مصر أن تبذل مساهمتها على قدم المساواة مع الدول الأخرى المشتركة .

٨ — وتمشياً مع روح هذه الترتيبات تدعى مصر لقبول مركز عال من حيث السلطة والمسئولية فى القيادة المتحالفة للشرق الأوسط .

٩ — ستقدم إلى مصر التسهيلات لتدريب وإعداد قواتها من قبل الأعضاء المشتركين فى القيادة المتحالفة للشرق الأوسط الذين هم فى مركز يسمح لهم بتقديمها .

١٠ — ستضع الدول التى يهمها الأمر فيما بعد بالتشاور فيما بينها النظام التفصيلى للهيئة المتحالفة للدفاع عن الشرق الأوسط وتحدد علاقتها بهيئة معاهدة شمال الأطلنطى . ولهذا الغرض يقترح أنه يرسل جميع الأعضاء المؤسسين للقيادة المتحالفة للشرق الأوسط ممثلين عسكريين إلى اجتماع يعقد فى المستقبل القريب بغرض إعداد مقترحات تفصيلية لعرضها على الحكومات صاحبة الشأن

ملحـــق

١ — بالمساهمة مع الدول الأخرى المشتركة التي تساهم بقسط مماثل في الدفاع عن المنطقة :

(ا) توافق مصر على أن تقدم على أرضها إلى القيادة المتحالفة المقترحة الدفاع الاستراتيجي وجميع التسهيلات الأخرى التي لاغنى عنها لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط وقت السلم .

(ب) تتعهد مصر بأن تمنح قوات القيادة المتحالفة للشرق الأوسط جميع التسهيلات والمساعدات الضرورية في حالة الحرب أو التهديد بحرب وشيكة أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها بما في ذلك استعمال الموانيء والمطارات ووسائل المواصلات .

٢ — ويؤمل كذلك أن توافق مصر على أن تكون قيادة القائد الأعلى للحلفاء في أرضها .

٣ — تمشياً مع روح هذه الترتيبات يكون مفهوماً :

(ا) أن تسلم إلى مصر رسمياً القاعدة البريطانية الحالية فيها . على أن يكون مفهوما أنها تصبح في نفس الوقت قاعدة للحلفاء . تتبع القيادة المتحالفة للشرق الأوسط مع اشتراك مصر اشتراكا تاماً في إدارتها في وقت السلم وفي وقت الحرب .

(ب) يحدد من وقت لآخر بمعرفة الأمم المشتركة ، بما فيها مصر ، عدد

القوات المتحالفة للأمم المشتركة التى ترابط فى مصر فى وقت السلم وذلك تبعا لاضطراد نمو القوات التابعة للقيادة المتحالفة للشرق الأوسط .

٤ — ويكون مفهوماً كذلك أن تنشأ هيئة للدفاع الجوى تضم قوات مصرية متحالفة تحت قيادة ضابط ذى مسئوليات مشتركة نحو الحكومة المصرية والقيادة المتحالفة للشرق الأوسط وذلك لحماية مصر وقاعدة الحلفاء .

نص المذكرة التفسيرية

المقدمة إلى الدول العربية و إسرائيل

تسترشد حكومات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وتركيا فى إنشاء قيادة الشرق الأوسط بالمبادىء الآتية :

١ — لم تقم هيئة الأمم المتحدة إلا استجابة للرغبة العالمية فى تحقيق مبدأ عدم تجزئة السلام . فإن أمن الدول أجمع يعرضه للخطر الإخلال بالسلام فى أى مكان . وفى الوقت نفسه فإن واجب الدول التى تقع بلادها فى أية منطقة من المناطق أن تكون لديها الرغبة والاستعداد للقيام بأعباء الدفاع عن تلك المنطقة فى مراحله الأولى .

٢ — إن الدفاع عن الشرق الأوسط ضد العدوان الخارجى أمر حيوى للعالم الحر أجمع ولا يمكن توطيد هذا الدفاع إلا بالتعاون بين جميع الدول التى يهمها الأمر .

٣ — والمقصود من قيادة الشرق الأوسط هو أن تكون مركزاً للجهود المتعاونة للدفاع عن المنطقة برمتها ، وتحقيق السلام والأمن فيها بواسطة هذه القيادة سيؤدى إلى تحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى فيها .

٤ — وسيكون من بين مهام قيادة الشرق الأوسط مهمة مساعدة وتأييد الدول الراغبة فى الانضمام إلى الدفاع عن الشرق الأوسط وتعزيز قدرة كل دولة منها حتى تقوم بدورها الصحيح فى الدفاع عن المنطقة بأسرها ضد العدوان الخارجى . ولن تتدخل هذه القيادة فى المشاكل والمنازعات التى تحدث داخل المنطقة ، ولن يؤثر إنشاء قيادة الشرق الأوسط بحال من الأحوال فى الترتيبات القائمة بصدد أمثال هذه الشئون كاتفاقات الهدنة والتصريح الثلاثى الذى أصدرته دول الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا فى شهر مايو من عام ١٩٥٠ على وجه أخص .

٥ — ستكون المهمة الأساسية الأولى لقيادة الشرق الأوسط وضع الخطط اللازمة وتهيئة المساعدة لدول الشرق الأوسط — بناء على طلبها — وذلك بتقديم المشورة والتدريب العسكرى ، وستلبى طلبات الأسلحة والمعدات الحربية التى تتقدم بها دول الشرق الأوسط ، التى ترغب فى الدفاع عن المنطقة ، إلى الدول التى تبنت المشروع والتى يسمح مركزها بتقديم المساعدة فى هذا الصدد إلى الحد المستطاع بعد تنسيقها بوساطة قيادة الشرق الأوسط .

٦ — يتولى القائد الأعلى لقيادة الشرق الأوسط المتحالفة قيادة القوات التى توضع تحت تصرفه ، ويقوم بوضع خطط عمليات جميع القوات الموجودة فى المنطقة (أو التى ستنضم إلى المنطقة) فى وقت الحرب أو حالة الطوارىء الدولية ، وعلى أية حال فإن وضع قوات تحت قيادة القائد الأعلى للقوات المتحالفة فى الشرق الأوسط فى وقت السلم ليس شرطاً حتمياً للاشتراك فى المجهود العام للدفاع عن الشرق الأوسط . وتنقلات الجيوش الموضوعة تحت

إمرة القائد الأعلى للقوات المتحالفة إلى أراضى الدول المشتركة فى الدفاع عن الشرق الأوسط ، أو فى داخلها ، لن تتم إلا بالاتفاق مع الدولة أو الدول ذات الشأن وعلى أساس استقلالها القومى التام وسيادتها الكاملة .

٧ — ومع أن التفاصيل لم توضع بعد فإن الدول التى وضعت مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط تنوى أن تجعل القيادة فيه قيادة متحالفة ، وليست قيادة أهلية ، وستلقى على القائد الأعلى فى الشرق الأوسط مسئولية تطبيق مشروع الدفاع المشترك الذى تقدمه القيادة بحيث يكون ذا أثر ناجز . وستكون جميع الدول المرتبطة بالمشروع مشتركة اشتراكا ذاتياً فى القيادة على أساس المساواة بوساطة هيئة اتصال الدفاع عن الشرق الأوسط التى سيكون مركزها فى مقر قيادة الشرق الأوسط .

وستكون هذه الهيئة حلقة اتصال بين القيادة و بين الدول المستعدة للاشتراك فى الدفاع عن هذه المنطقة .

٨ — أية تسهيلات تمنح لقيادة الشرق الأوسط من الدول المشتركة فى الدفاع عن الشرق الأوسط ستكون خاضعة لاتفاقات خاصة .

٩ — إن المهمة الشاملة التى ستضطلع بها قيادة الشرق الأوسط ، فضلا عن طبيعتها التعاونية تستلزم من جميع الدول المشتركة — سواء أكانت أراضيها داخل المنطقة أم خارجها — أن تعمل لصالح الدفاع المتعاون عن المنطقة ، بيد أن قيادة الشرق الاوسط لن تخدم بطبيعة الحال المصالح القومية لأية دولة بعينها .

١٠ — إن من أغراض قيادة الشرق الأوسط المستمرة العمل على ملافاة

النقص الموجود حاليا فى نظام وكفاية الدفاع عن هذه المنطقة الحيوية الهامة بحيث يزداد تدريجياً فى زمن السلم دور الدول الواقعة فى المنطقة فى الدفاع عن الشرق الأوسط وبذلك يقل عبء الدول التى لا تكون جزءا إقليمياً فى الشرق الأوسط بنسبة متكافئة .

١١ — إن الدول التى تبنت قيادة الشرق الأوسط لا تعتبر الصورة التى تنظم بها هذه القيادة غير قابلة للتعديل . وتعتقد هذه الدول أن قيادة الشرق الأوسط يجب أن تتطور عن طريق التفاهم المتبادل بالكيفية التى ستمكنها من تهيئة وسائل الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط — كوحدة تامة — دفاعاً فعالا .

ملحق (١٢)

«حلف بغداد»

(ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركيا)

لما كانت علاقات الصداقة والأخوة السائدة بين العراق وتركيا فى نمو مطرد واستكمالا لما جاء فى معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة بين حضرة صاحب الجلالة ملك العراق وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية الموقع عليها فى أنقره فى ٢٩ آذار ١٩٤٦ التى أقرت أن السلم والأمن من بين البلدين جزء لا يتجزأ من السلم والأمن لشعوب العالم وخاصة شعوب الشرق الأوسط وأساسا لسياستها الخارجية .

ولما كانت المادة الحادية عشرة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية تنص على أن ليس فى أحكامها ما يمس أو يقصد به أن يمس بأية حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى قد تترتب للدول الأطراف فيها بمقتضى ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

ونظرا لإدراكها عظم المسئولية الملقاة على عاتقهما بوصفهما عضوين فى هيئة الأمم المتحدة يهمهما استتباب الأمن والسلم فى منطقة الشرق الأوسط مما يوجب اتخاذ التدابير اللازمة لذلك وفقاً لأحكام المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة .

فقد اقتنعا بضرورة عقد ميثاق يحقق هذه الأهداف وعينا لهذا الغرض مندوبين مفوضين .

عن حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى :

ملك العراق

صاحب الفخامة السيد نورى السعيد رئيس الوزراء .

صاحب المعالى السيد برهان الدين باش أعيان وكيل وزير الخارجية .

عن حضرة صاحب الفخامة جلال بايار :

رئيس الجمهورية التركية

صاحب الفخامة عدنان مندرس رئيس الوزراء .

صاحب المعالى البروفسور فؤاد كوبرولو وزير الخارجية .

الذين بعد أن قدم كل منهم أوراق تفويضه إلى الآخر فوجدها صحيحة ومطابقة للأصول اتفقوا على مايلى : —

المادة الأولى

يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان لغرض صيانة سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقا لأحكام المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ويجوز أن تثبت التدابير التى يتفقان على اتخاذها لجعل هذا التعاون نافذا باتفاقات خاصة تعقد بين أحدهما والآخر .

(المادة الثانية)

لغرض تحقيق التعاون المنصوص عليه فى المادة الأولى أعلاه والعمل على تأمينه تقوم السلطة المختصة لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين بتحديد التدابير التى ينبغى إتخاذها عند وضع هذا الميثاق حيز التنفيذ . وتصبح هذه التدابير معمولا بها حال اقترانها بمصادقة حكومتى الفريقين الساميين المتعاقدين .

المادة الثالثة

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بالامتناع عن التدخل بأى شكل من

الأشكال فى الشؤون الداخلية لأحدهما الآخر ويقومان بفض أى نزاع بينهما بالطريقة السلمية وفقا لميثاق هيئة الأمم المتحدة .

المادة الرابعة

يؤكد الفريقان الساميان المتعاقدان أن ليس فى أحكام هذا الميثاق ماينافض الالتزامات الدولية التى يرتبط بها أحدهما مع دولة أو دول ثالثة كما أنها لا يمكن أن تخل أو أن تفسر بما يفهم منه الاخلال بتلك الالتزامات الدولية ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن لا يدخلا فى أية التزامات دولية تتعارض وهذا الميثاق .

المادة الخامسة

يكون هذا الميثاق مفتوحا للانضمام إليه من قبل أية دولة من دول الجامعة العربية وغيرها من الدول التى يهمها أمر السلم والأمن فى هذه المنطقة بصورة فعالة والمعترف بها اعترافا كاملا من كلا الفريقين الساميين المتعاقدين و يصبح هذا الانضمام نافذا اعتبارا من تاريخ إيداع وثائق إنضمام الدولة التى يخصها الأمر لدى وزارة الخارجية العراقية .

لأية دولة منضمة إلى هذا الميثاق أن تعقد إتفاقات خاصة بموجب المادة الأولى منه مع دولة أو أكثر من الدول الأطراف فى هذا الميثاق . وللسلطة المختصة لأية دولة منضمة أن تحدد التدابير بموجب المادة الثانية وتصبح هذه التدابير معمولاً بها حال اقترانها بمصادقة حكومات الفرقاء الذين يخصهم الأمر .

المادة السادسة

يشكل مجلس دائم من الوزارة للعمل ضمن نطاق أهداف هذا الميثاق

وذلك عندما يبلغ عدد الدول الأطراف فى هذا الميثاق مالا يقل عن الأربعة ويقوم المجلس بوضع نظامه الداخلى .

المادة السابعة

يكون هذا الميثاق نافذا لمدة خمس سنوات ويعتبر مجددا لمدة أخرى كل منها خمس سنوات ولأى طرف متعاقد أن ينسحب من الميثاق بابلاغ الأطراف الأخرى تحريريا برغبته فى ذلك قبل ستة أشهر من إنتهاء أية من المدد المذكورة أعلاه ويبقى الميثاق فى هذه الحالة نافذا بالنسبة للأطراف الأخرى.

المادة الثامنة

يتم إبرام هذا الميثاق من قبل كل من الفريقين الساميين المتعاقدين ويجرى تبادل وثائق الإبرام فى أنقره بأسرع ما يمكن ويعتبر نافذا من تاريخ تبادل وثائق الإبرام .

كتب نسختين فى بغداد فى اليوم الثانى من شهر رجب سنة ١٣٧٤ الهجرية الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٥٥ الميلادية باللغات العربية والتركية والإنكليزية ويكون النص الإنكليزى هو المعول عليه فى حالة الاختلاف .

عدنان مندرس	نورى السعيد
عن صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية	عن صاحب الجلالة ملك العراق
فؤاد كوبرولو	برهان الدين باش أعيان
عن صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية	عن صاحب الجلالة ملك العراق

بغداد فى ٢٤ شباط ١٩٥٥

صاحب الفخامة

عطفا على الميثاق الذى وقعنا عليه فى هذا اليوم أتشرف بأن أسجل تفاهمنا على أن هذا الميثاق سيمكن بلدينا من التعاون فى سبيل صد أى اعتداء موجه ضد أى منهما وتأمينا لحفظ السلم والأمن فى منطقة الشرق الأوسط قد اتفقنا على العمل متعاونين تعاونا وثيقا من أجل وضع مقررات الأمم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ .

وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام . نورى السعيد

حضرة صاحب الفخامة السيد عدنان مندرس

رئيس وزراء تركية

بغداد

بغداد فى ٢٤ شباط ١٩٥٥

صاحب الفخامة

تشرفت بتسلم كتاب فخامتكم بتاريخ اليوم والذى ينص على مايلى :

« عطفا على الميثاق الذى وقعنا عليه فى هذا اليوم أتشرف بأن أسجل تفاهمنا على أن هذا الميثاق سيمكن بلدينا من التعاون فى سبيل صد أى إعتداء موجه ضد أى منها . وتأمينا لحفظ السلم والأمن فى منطقة الشرق الأوسط قد إتفقنا على العمل متعاونين تعاونا وثيقا من أجل وضع مقررات الأمم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ » .

وأود أن أوكد موافقتى على محتويات الكتاب المذكور .

وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام . عدنان مندرس

حضرة صاحب الفخامة السيد نورى السعيد

رئيس وزراء العراق

بغداد

ملحق (١٣)

معاهدة الصداقة والتحالف

بين المملكة الليبية المتحدة

والمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية

سنة ١٩٥٣

مرسوم ملكى

نحن الأمير محمد رضا المهدى السنوسى نائب ملك المملكة الليبية المتحدة.

بعد الاطلاع على المرسوم الملكى الخاص بتعيين نائب الملك الصادر بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٥٣ . قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب قانون معاهدة الصداقة والتحالف مع بريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية لسنة ١٩٥٣ الآتى نصه ، وقد صدقنا عليه وأصدرناه .

المادة ١ — معاهدة الصداقة والتحالف بين المملكة الليبية المتحدة وبين المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية والاتفاقيتان الملحقتان بها الموقعة جميعاً فى بنغازى فى الثامن عشر من ذى القعدة ١٣٧٢ الموافق التاسع والعشرين من يولية ١٩٥٣ والمرافقة لهذا القانون — تكون لها قوة القانون :—

المادة ٢ — يسمى هذا القانون قانون معاهدة الصداقة والتحالف مع بريطانيا العظمى و إيرلندا الشمالية لسنة ١٩٥٣ .

المادة ٣ — على وزرائنا كل فيما يخصه تنفيذ هذا القانون و يصبح نافذا من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية .

صدر بقصر الخلد فى ٢٣ صفر ١٣٧٣ هـ .
الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٥٣ م .

بأمر حضرة نائب الملك المعظم

فتحى الـكيخيا
رئيس الوزراء بالنيابة

فتحى الـكيخيا
وزير الخارجية بالنيابة

معاهدة الصداقة والتحالف

بين صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة

وبين صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى

وإيرلندا الشمالية وممالكها وأراضيها

بالنسبة للمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية

إن صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة (المشار إليه فيما بعد بصاحب الجلالة ملك ليبيا) وصاحبة الجلالة ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية وممالكها وأراضيها الأخرى (المشار إليها فيما بعد بصاحبة الجلالة البريطانية).

حيث إن المملكة الليبية المتحدة أصبحت في يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ دولة مستقلة ذات سيادة بموجب قرارى الجمعية العمومية للأمم المتحدة المؤرخين في اليوم الحادى والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٩ واليوم السابع عشر من نوفمبر سنة ١٩٥٠ .

ولما كانت الرغبة الصادقة تحدوهما لتوثيق عرى الصداقة والعلاقات الطيبة القائمة بين جلالتيهما .

ورغبة منهما في عقد معاهدة صداقة وتحالف لهذا الغرض ولغرض تقوية ما يمكن كل منهما أن يساهم به لحفظ السلم والأمن الدوليين وفقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه :

قد عينا بناء على ذلك مفوضين عنهما :

صاحب الجلالة ملك ليبيا

السيد محمود المنتصر رئيس الوزراء ووزير الخارجية

عن المملكة الليبية المتحدة

صاحبة الجلالة البريطانية

السر إليك كركبرايد، ك.سى.أم جى ـ أو.بى أى ـ أم.سى.

مندوبها فوق العادة ووزيرها المفوض

عن المملكة المتحدة البريطانية العظمى وإيرلندا الشمالية

اللذين بعد أن أبرز كل منهما أوراق تفويضه للآخر فوجداها صحيحة قد اتفقا على ما يلى :

(المادة الأولى)

يسود سلم وصداقة وتحالف وثيق بين الفريقين الساميين المتعاقدين توطيدا لتفاهمها الودى وصلاتهما الطيبة .

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم اتخاذ موقف إزاء البلاد الأجنبية يتنافى مع التحالف أو قد يخلق مصاعب للفريق الآخر .

(المادة الثانية)

إذا اشتبك أى الفريقين الساميين المتعاقدين فى حرب أو نزاع مسلح يهب الفريق السامى المتعاقد الآخر لنجدته كتدبير للدفاع الجماعى مع مراعاة دائماً أحكام المادة ٤ .

فى حالة خطر أعمال عدائية داهم محدق بأى من الفريقين الساميين المتعاقدين يتفق الفريقان فوراً على تدابير الدفاع اللازمة .

المادة الثالثة

يعترف الفريقان الساميان المتعاقدان بأنه من مصلحتهما المشتركة الاستعداد لدفاعهما المتبادل والتأكد من أن بلاديهما فى حالة تمكنهما من القيام بدورهما فى صيانة السلام والأمن الدوليين . ولهذه الغاية يقدم كل منهما للآخر كافة التسهيلات والمساعدات التى فى وسعه بشروط يتفق عليها . وفى مقابل التسهيلات التى يقدمها صاحب الجلالة ملك ليبيا للقوات البريطانية المسلحة بليبيا بشروط يتفق عليها تقدم صاحبة الجلالة البريطانية مساعدة مالية لصاحب الجلالة ملك ليبيا بشروط يتفق عليها — كما سبق ذكره .

المادة الرابعة

ليس فى هذه المعاهدة ما يرمى إلى الإخلال أو يخل بأى حال بالحقوق والالتزامات التى تترتب أو قد تترتب على أى الفريقين الساميين المتعاقدين بموجب ميثاق الأمم المتحدة أو بموجب أى إتفاقيات أو عهود أو معاهدات دولية قائمة بما فى ذلك ما يخص ليبيا فى ميثاق جامعة الدول العربية .

المادة الخامسة

تبرم هذه المعاهدة وتوضع موضع التنفيذ على أثر تبادل وثائق الإبرام الذى يتم فى أقرب وقت ممكن .

المادة السادسة

تظل هذه المعاهدة نافذة لمدة عشرين سنة إلا إذا عدلت أو بدلت

بمعاهدة جديدة أثناء تلك المدة باتفاق كلا الفريقين الساميين المتعاقدين و يعاد النظر فيها على كل حال فى نهاية عشر سنوات . و يوافق كل من الفريقين الساميين المتعاقدين فى هذا الخصوص على أن يتذكر المدى الذى يمكن فيه ضمان السلام والأمن الدوليين عن طريق الأمم المتحدة . و يجوز لأى الفريقين الساميين المتعاقدين أن يشعر الفريق الآخر بالطرق الدبلوماسية قبل نهاية مدة تسع عشرة سنة بالانهاء فى آخر مدة العشرين سنة المذكورة . فإذا لم تنته المعاهدة بهذه الطريقة تظل سارية المفعول مع خضوعها للتعديل أو الإبدال حتى مرور سنة واحدة بعد أن يشعر أحد الفريقين الساميين المتعاقدين بالطرق الدبلوماسية الفريق الآخر بإنهائها .

المادة السابعة

إذا قام أى خلاف على تطبيق هذه المعاهدة أو تفسيرها و إذا عجز الفريقان الساميان المتعاقدان عن فض الخلاف بمفاوضات مباشرة ، فإن الخلاف يرفع إلى محكمة العدل الدولية إلا إذا اتفق الطرفان على طريقة أخرى لفضه .

و إقراراً لذلك وقع المفوضان المذكوران أعلاه على هذه المعاهدة و بصماها بختميهما .

حررت فى صورتين ببنغازى فى اليوم التاسع والعشرين من يوليو ١٩٥٣ باللغتين الإنكليزية والعربية وكلا النصين متساو فى صحته .

التوقيع : محمود المنتصر

التوقيع : اليك كركبرايد

الاتفاقية العسكرية

اتفاقية بين حكومة المملكة الليبية المتحدة

وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى و إيرلندا الشمالية

إن حكومة المملكة الليبية المتحدة (المشار إليها فيما بعد بحكومة ليبيا) وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلندا (المشار إليها فيما بعد بحكومة المملكة المتحدة) رغبة منهما فى تنفيذ المادة الثالثة من معاهدة الصداقة والتحالف الموقع عليها ببنغازى فى اليوم التاسع والعشرين من يوليو سنة ألف وتسعمائة وثلاث وخمسين بين صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة وصاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى و إيرلندا الشمالية وممالكها وأراضيها الأخرى قد اتفقنا على ما يلى :

المادة الأولى

التعاون الخاص بأساليب التدريب والتجهيز :

توافق الحكومتان على التشاور من وقت لآخر لغرض اتخاذ الخطوات اللازمة والمناسبة للتأكد من بلوغ قوتهما المسلحة الكفاءة اللازمة فى التعاون مع بعضهما ومن إيجاد التناسق فى وسائل التدريب والتجهيز والمحافظة على هذا التناسق على قدر الإمكان . وتستعمل حكومة المملكة المتحدة وساطتها لتسهيل تزويد القوات المسلحة الليبية بالأسلحة والذخائر والمعدات من

المملكة المتحدة حسبما يتطلبه نموها الطبيعي المطرد . ولا شيء في هذه الاتفاقية يلزم القوات الليبية المسلحة بالخدمة خارج الأراضي الليبية .

المادة الثانية

التسهيلات العسكرية بليبيا :

(١) تمنح حكومة ليبيا مساهمة منها في إقرار السلم والأمن الدوليين وفقاً لأحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه حكومة المملكة المتحدة الإذن بالتمتع داخل ليبيا بالتسهيلات المنصوص عليها فيما يلي لأغراض عسكرية طول مدة هذه الاتفاقية و بموجب أحكامها وشروطها .

(٢) تعترف حكومة المملكة المتحدة من جانبها بأنه يتحتم على جميع أعضاء القوات البريطانية تقدير استقلال ليبيا وسيادتها واحترام قوانينها والامتناع عن أي عمل يتنافى مع هذا الالتزام ومع روح المعاهدة والامتناع بصفة خاصة عن أي نشاط سياسي بليبيا . وتتخذ حكومة المملكة المتحدة التدابير المناسبة لهذه الغاية .

(المادة الثالثة)

استعمال الأراضي للأغراض العسكرية :

(١) تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة بأن تستعمل استعمالا مقصوراً عليها غير منقطع للأغراض العسكرية الأراضي والمباني وكل شيء فيها أو عليها المبينة في الملحق رقم ١ لهذه الاتفاقية . وتتخلى حكومة المملكة المتحدة عن الأراضي والمباني المبينة في الملحق رقم ٢ لهذه الاتفاقية ضمن المدد

المبينة فيها ولكن يجوز لها فى هذه الأثناء أن تستعملها كما ذكر أعلاه وتعرف فيما بعد جميع الأراضى والمبانى التى تستعملها حكومة المملكة المتحدة وفقاً لهذه الاتفاقية (ما عدا الأراضى المشار إليها فى الفقرة الثالثة من هذه المادة) بالأراضى المتفق عليها .

(٢) ويجوز لحكومة المملكة المتحدة أن تكيف الأراضى المتفق عليها للأغراض العسكرية ولكنها لا تهدم أية مبان كانت موجودة على الأراضى عند ما دخلتها القوات البريطانية لأول مرة كما لا تقتلع الأشجار فى عدد كبير دون موافقة السلطات الليبية .

(٣) تضع حكومة ليبيا بين الحين والحين تحت تصرف حكومة المملكة المتحدة مساحات من الأراضى تتفق عليها الحكومتان لاستعمالها لفترات قصيرة للتدريب والتمرين . ولا تكون هذه المساحات من الأرض مجاورة لمراكز آهلة بالسكان أو مناطق مزروعة .

(٤) وتتخذ حكومة ليبيا كذلك الخطوات لتضع تحت تصرف حكومة المملكة المتحدة مساحات أخرى من الأرض ذات اتساع معقول يتفق على أنها مناسبة للامتداد المعقول للمنشئات غير الكاملة المذكورة فى الملحق رقم ١ ولتعويضها عند اللزوم عن الأراضى والمبانى التى تسلم بموجب الفقرة ١ من هذه المادة .

(٥) وبصورة عامة يجوز إضافة مواد جديدة إلى كشف الأراضى المتفق عليها أو شطبها منها بالاتفاق بين الحكومتين .

(٦) تطبق هذه المادة على أملاك الدولة ومع مراعاة شروط المادة ١٨ من هذه الاتفاقية على الابنية المملوكة ملكا خاصا .

(المادة الرابعة)

مراقبة الطائرات والسفن والمركبات :

(١) يجوز لحكومة المملكة المتحدة أن تمارس مراقبة تامة على الطائرات والسفن والمركبات التى فى الأراضى المتفق عليها وعلى الداخلة إليها والخارجة منها إلا إذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك .

(٢) تتخذ حكومة ليبيا التدابير لغرض المراقبة على الطائرات والسفن والمركبات التى داخل المناطق القريبة من الأراضى المتفق عليها والتى تدخل إليها وتخرج منها حسبما تتفق عليه الحكومتان من أنه لازم لتنفيذ أغراض هذه الاتفاقية ولضمان سلامة القوات البريطانية وممتلكاتها بليبيا .

(المادة الخامسة)

حق المرور :

بناء على طلب حكومة المملكة المتحدة وبالاتفاق بين الحكومتين تمنح حكومة المملكة المتحدة للأغراض العسكرية حق مد الأنابيب وإنشاء مصارف للمياه وقنوات للرى وسكك حديدية ومد الكابلات والأسلاك على وجه أى أرض أو مياه أو فوقها أو تحتها وحق صيانتها ، وتطبق هذه المادة على الأراضى الحكومية وعلى الأراضى الخاصة مع مراعاة أحكام المادة ١٨ من هذه الاتفاقية .

(المادة السادسة)

المواصلات :

يجوز لحكومة المملكة المتحدة بشرط أن توافق حكومة ليبيا أن تنشىء الطرق والجسور اللازمة وأن تصونها وأن تحسن وتعمق المرافىء والممرات البحرية والمداخل والمراسى المؤدية إلى الأراضى المتفق عليها .

(المادة السابعة)

تخويل سلطة إنشاء أجهزة تلغرافية وتلفونية و إذاعية :

(١) تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة أن تنشىء وتستعمل أجهزة للاتصالات عن بعد (تايكومونيكاشيون) (بما فى ذلك أجهزة اللاسلكى والأجهزة الكهربائية المغناطيسية) ضمن الأراضى المتفق عليها أو موصلة بينها. و يجوز إيصال هذه الأجهزة بأجهزة حكومة ليبيا و بأجهزة خارج ليبيا بمقابل وشروط تتفق الحكومتان عليها .

(٢) تسمح حكومة ليبيا كذلك لحكومة المملكة المتحدة بإنشاء محطات إذاعة عسكرية واستعمالها ضمن الأراضى المتفق عليها .

المادة الثامنة

توليد النور والقوة المحركة واستخراج مواد البناء والتشييد :

يجوز لحكومة المملكة المتحدة أن :

(١) تولد النور والقوة المحركة .

(ب) تبحث وتستخرج بأية وسيلة كانت الماء والمواد المحلية للبناء والإنشاء كالحجارة والرمل والحصى والتراب والجبس والصلصال .

وذلك داخل الأراضى المتفق عليها و بالاتفاق بين الحكومتين فى غيرها من الأراضى فى ليبيا للأغراض العسكرية . بشرط أن يظل ملكا لليبيا ما تعثر عليه حكومة المملكة المتحدة أثناء العمليات بموجب هذه الاتفاقية من بقايا أثرية وثروات معدنية بما فى ذلك البترول و باستثناء مواد البناء والانشاء .

المادة التاسعة

نقل المواد والبضائع :

يجوز لحكومة المملكة المتحدة أن تنقل للأغراض العسكرية مباشرة أو عن طريق متعهديها أو المنظمات العسكرية المصرح لها النور والقوة المحركة داخل الأراضى المتفق عليها و بينها والمواد والبضائع داخلها ومنها و إليها .

المادة العاشرة

الأمن فى الأراضى المتفق عليها

(١) تخول حكومة المملكة المتحدة سلطة حفظ سلامة الأرواح والممتلكات داخل الأراضى المتفق عليها .

(٢) بصفة خاصة لا يسمح لأى شخص بأن يوجد فى هذه الأراضى أو بأن يدخلها دون تصريح من عضو من أعضاء القوات البريطانية خولت له السلطة العسكرية المختصة منح التصريح . ومع ذلك فإن السلطات العسكرية المختصة ستقوم بمنح كافة التسهيلات التى تتفق مع الأمن لموظفى حكومة ليبيا لدخول الأراضى المذكورة لغرض أداء واجبات رسمية .

المادة الحادية عشرة

خدمات البريد:

تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة بأن تدير دون قيد بواسطة مكاتب بريد مقامة داخل الأراضى المتفق عليها خدمات بريد بليبيا ومنها وإليها لاستعمال مقصور على سلطات حكومة المملكة المتحدة وأفراد القوات البريطانية .

المادة الثانية عشرة

حفظ الصحة :

تقوم حكومة المملكة المتحدة بكافة مايلزم لحفظ الصحة داخل الأراضى المتفق عليها .

المادة الثالثة عشرة

مسح الأراضى:

تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة بالقيام بتخطيط من أى نوع كان فى أى جزء من ليبيا وماجاورها من مياه (بما فى ذلك أخذ صور من الجو يمكن على أساسها أن يجرى التخطيط) لأغراض عمليات بموجب هذه الاتفاقية . وتنبىء حكومة المملكة المتحدة حكومة ليبيا قبل القيام بأى تخطيط خارج الأراضى المتفق عليها ويجوز أن يشهد ممثل عن حكومة ليبيا التخطيط حين يكون التخطيط خارج الأراضى المتفق عليها وإذا رغبت

حكومة ليبيا فى ذلك . وتقدم حكومة المملكة المتحدة لحكومة ليبيا نتائج هذا التخطيط وكافة البيانات المتعلقة به كالخرائط والصور المأخوذة من الجو والمثلثات أو أى بيان مراقبة آخر . إن هذا الحق الذى تمنحه هذه المادة لا يشمل المساحات التى تحرم حكومة ليبيا الدخول إليها .

المادة الرابعة عشرة

المؤسسات الخاصة :

يجوز لحكومة المملكة المتحدة أن تنشىء داخل الأراضى المتفق عليها مباشرة أو عن طريق المنظمات العسكرية المصرح لها المؤسسات اللازمة لتزويد أعضاء القوات البريطانية المصرح لهم بالكانتينات والمطاعم والتسهيلات لنشاط الترفيه الاجتماعى والثقافى ولبيع المواد والبضائع لهم . ولا تكون هذه المؤسسات وأية منظمة للخدمات العسكرية المصرح لها التى يمكن أن تنشأ هذه المؤسسات عن طريقها كما لا تكون معداتها والخدمات التى تقدمها والمواد والبضائع التى تبيعها خاضعة لأية ضرائب أو رسوم أو مكوس لشروط تشريعية خاصة بتأسيس أو نشاط المؤسسات أو المنظمات . وتتخذ حكومة المملكة المتحدة الإجراءات الإدارية الرامية إلى الحيلولة دون إعادة بيع مواد أو بضائع باعتها هذه المؤسسات إلى أشخاص غير مصرح لهم و بصورة عامة إلى الحيلولة دون سوء الإستعمال فى الامتيازات الممنوحة بموجب هذه المادة وتتعاون الحكومتان لهذه الغاية .

المادة الخامسة عشرة

الخدمات والتسهيلات العامة:

بناء على طلب حكومة المملكة المتحدة و بشرط أن توافق ليبيا على أن المصالح العامة والخاصة بليبيا لاتتضرر نتيجة للاستعمال توضع الخدمات والمرافق العامة بليبيا فى حدود ما يمكن عمليا فى متناول استعمال حكومة المملكة المتحدة والمنظمات العسكرية المصرح لها وأعضاء القوات البريطانية . وتكون التكاليف التى تدفع نفس التكاليف التى يدفعها سائر المستعملين إلا إذا اتفق على خلاف ذلك .

المادة السادسة عشرة

أملاك حكومة المملكة المتحدة .

(١) عندما تتخلى حكومة المملكة المتحدة عن أى جزء من الأراضى المتفق عليها والتى هى ملك لحكومة ليبيا أو عن أى أرض سبق لها أن اشترتها من أحد الأفراد واستعملتها لأغراض عسكرية بموجب هذه الاتفاقية لا يتم التصرف بالمنشآت الدائمة المقامة على الأرض على نفقة حكومة المملكة المتحدة بموجب هذه الاتفاقية أو قبلها ، إلا بموافقة حكومة ليبيا .

(٢) إن المنشآت الدائمة المقامة بموجب هذه الاتفاقية أو قبلها على نفقة حكومة المملكة المتحدة على الأراضى المستأجرة المملوكة ملكا خاصا والمستعملة للأغراض العسكرية بموجب هذه الاتفاقية ، تصبح ملكا لصاحب الأرض إلا إذا اتفق على خلاف ذلك بين حكومة المملكة المتحدة وصاحب الأرض .

(٣) إن كافة الممتلكات التى بنتها أو أقامتها أو استوردتها أو حصلت عليها فى ليبيا حكومة المملكة المتحدة بموجب أو قبل هذه الاتفاقية باستثناء مانصت عليه الفقرتان (١) و (٢) تظل ملكا لحكومة المملكة المتحدة ويجوز نقلها من ليبيا بدون قيد أو أن تتصرف فيها حكومة المملكة المتحدة بليبيا بالاتفاق مع حكومة ليبيا فى أى وقت كان قبل نهاية هذه الاتفاقية أو ضمن مدة معقولة بعد ذلك . وكل ملك لم يتم التصرف فيه قبل نهاية هذه الاتفاقية أو ضمن مدة معقولة بعد ذلك ينتهى من كونه ملكا لحكومة المملكة المتحدة ولا يحق لحكومة المملكة المتحدة أى تعويض عن هذا الملك.

المادة السابعة عشرة

إخلاء الأراضى:

عندما تتخلى حكومة المملكة المتحدة عن أية أرض للدولة وضعتها حكومة ليبيا فى متناول استعمال حكومة المملكة المتحدة بموجب المادة الثالثة ، فإنها ليست ملزمة بأن تعيدها بالحالة التى كانت عليها عند ما بدأت حكومة المملكة المتحدة فى استعمالها ولا تدفع حكومة المملكة المتحدة أى تعويض كما لا يدفع لها بالنسبة لأية زيادة أو أى نقصان فى قيمة الأرض .

المادة الثامنة عشرة

الترتيبات مع ملاك الأراضى الخاصة :

(١) يجوز للحكومتين الإتفاق على أن إستعمال أى أرض يملكها الأفراد من قبل حكومة المملكة المتحدة للأغراض العسكرية يكون خاضعاً

لترتيبات مباشرة بين حكومة المملكة للمتحدة وأصحاب الأراضى وفى هذه الحالة يجوز لحكومة المملكة المتحدة أن تشترى أو أن تستأجر الأراضى مباشرة من أصحابها أو تكتسب منهم مباشرة أى حق فى الأرض أو أى حق يتعلق بها .

(٢) إذا اقتنعت حكومة ليبيا بأن هناك رفضا غير معقول من جانب أحد ملاك الأراضى بعد عرض تعويض عادل عليه لوضع أرضه فى متناول الاستعمال لأغراض هذه الاتفاقية ، فإنها تتخذ التدابير اللازمة لوضع مثل هذه الأرض تحت التصرف . وفى هذه الحالة تدفع لحكومه المملكة المتحدة بالاتفاق مع حكومة ليبيا تعويضاً عادلا للمالك .

(٣) تتصرف حكومة المملكة المتحدة أثناء أو ضمن مدة معقولة بعد انتهاء هذه الاتفاقية بموافقة حكومة ليبيا بالأراضى التى تكون اشترتها واستعملتها لأغراض عسكرية بموجب هذه الاتفاقية .

(٤) مع مراعاة شروط أى اتفاق مع حكومة ليبيا وأى ترتيبات مع الأفراد ملاك الأراضى تعتبر الأراضى المشار إليها فى هذه المادة أراضى متفقاً عليها لغايات هذه الاتفاقية .

المادة التاسعة عشرة

صيانة بعض التسهيلات وتنميتها :

إذا وافقت حكومة ليبيا بناء على طلب حكومة المملكة المتحدة أن تصون أوتنمى أى تسهيلات مثل المرافق والموانىء والمراسى والمطارات والطرق

والسكك الحديدية بليبيا إلى مستوى ما كانت تصل إليه لولا الطلب المذكور تدفع حكومة المملكة المتحدة لحكومة ليبيا مبلغا تتفق الحكومتان على أساسه قبل الشروع فى العمل المطلوب .

المادة العشرون

تنقلات القوات البريطانية والسفن والطائرات والمركبات:

(١) تمنح حكومة ليبيا للقوات البريطانية ولسفن المملكة المتحدة وطائراتها ومركباتها الحكومية بما فى ذلك المركبات المصفحة حرية دخول الأراضى المتفق عليها والخروج منها والتنقل بينها براً أو جواً . ويشمل هذا الحق الإعفاء من الإرشاد البحرى الاجبارى ومن كافة رسوم المرور . ويجوز لسفن صاحبة الجلالة البريطانيه زيارة موانىء ليبيا بعد إشعار معقول .

(٢) تسمح حكومة ليبيا لطائرات المملكة المتحدة الحكومية بالطيران على الأراضى الليبية وفى حالة الاضطرار بالهبوط عليها وبالقيام منها بما فى ذلك المياه الإقليمية . بيد أنه لا يجوز لطائرات المملكة المتحدة الحكومية أن تطير على المدن إلا فى حالات الاضطراب أو بشروط يتفق عليها بين الحكومتين ولا على المناطق التى تحرمها حكومة ليبيا على الطائرات الأجنبية بصفة عامة . ويسمح لطائرات المملكة المتحدة الحكومية باستعمال المطارات الليبية بالشروط التى تطبق على الطائرات الأجنبية بصفة عامة ما عدا أنها تتمتع بتسهيلات المرور بمطار بنينة المدنى بعد إشعار وما عدا أن حالة سلاح الطيران الملكى بمطار طرابلس المدنى تنظم بالمادة الواحدة والعشرين من هذه الإتفاقية .

(٣) بالاتفاق بين الحكومتين يكون للقوات البريطانية وسفن المملكة المتحدة ولطائراتها ولمركباتها الحكومية حرية التنقل فى مناطق ليبيا الأخرى لأغراض هذه الاتفاقية .

(٤) تتخذ حكومة المملكة المتحدة فى ممارسة الامتيازات المنصوص عليها فى هذه المادة كافة الاحتياطات المعقولة لتفادى الحاق الضرر بالتسهيلات الليبية العامة .

(٥) يتمتع أعضاء القوات البريطانية بصفتهم الشخصية بنفس حرية التنقل التى يتمتع بها الأجانب بصفة عامة بليبيا . وتقبل حكومة المملكة المتحدة مبدأ وجوب عدم ارتداء أعضاء القوات البريطانية الملابس العسكرية بطرابلس و بنغازى خارج واجباتهم . وعليه يرتدى عادة أعضاء القوات البريطانية العسكريون أثناء وجودهم فى طرابلس و بنغازى الملابس المدنية خارج واجباتهم . بيد أنه فى الظروف الاستثنائية يجوز للسلطات العسكرية بعد التشاور مع السلطات الليبية أن تصدرأوامر أو تعطى الإذن لهؤلاء الأعضاء بارتداء الملابس العسكرية و يعاد النظر فى هذا الترتيب بعد خمس سنوات .

المادة الحادية والعشرون

مطار طرابلس المدنى :

(١) تتسلم السلطات الليبية مسئولية تشغيل مطار طرابلس المدنى وصيانته تسلماً تاما فى أسرع وقت ممكن .

(٢) فى هذه الأثناء يستمر سلاح الطيران الملكى على نفقته فى تقديم المساعدة الفنية وخلافها حسب ما يتفق عليه لحسن تشغيل المطار .

(٣) تضع حكومة ليبيا تحت تصرف سلاح الطيران الملكى الأراضى اللازمة القريبة من الناحية الشرقية من مطار طرابلس المدنى لتمكينه من الاستعاضة عن التسهيلات للمدى الذى يتمتع به حالياً فى المطار . ويسلم سلاح الطيران الملكى إلى حكومة ليبيا تسهيلات المطار تدريجياً فى مدة لا تتجاوز خمس سنوات . ويستمر سلاح الطيران بعد ذلك فى تقديم المساعدة الفنية والمساعدات الأخرى إلى السلطات الليبية حسب ما يتفق عليه بين الحكومتين .

(٤) يجوز لسلاح الطيران الملكى أن يحتفظ بسربين أو أى عدد آخر من الأسراب يتفق عليه مع حكومة ليبيا فى الأراضى المتفق عليها بمطار طرابلس المدنى .

المادة الثانية والعشرون

دخول القوات البريطانية إلى ليبيا وخروجها منها :

(١) تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة بإحضار أعضاء القوات البريطانية إلى ليبيا وبأن تنقل هؤلاء الأعضاء منها . وتقوم حكومة المملكة المتحدة بأعلام حكومة ليبيا من حين لآخر عن عدد القوات البريطانية الموجودة بليبيا على ألا يتجاوز ذلك العدد ما تتفق عليه الحكومتان .

(٢) لا تنطبق مقتضيات الجوازات والتأشيرات على أعضاء القوات البريطانية العسكرية ولكن تزودهم حكومة المملكة المتحدة ببطاقات مناسبة لتحقيق الشخصية وتقدم نماذج من هذه البطاقات إلى حكومة ليبيا . ولا تطبق قوانين حكومة ليبيا لمنع دخولهم أو سفرهم غير أن مقتضيات الجوازات والتأشيرات تطبق على أعضاء القوات البريطانية الآخرين .

(٣) لا تدفع رسوم مرور على دخول أعضاء القوات البريطانية إلى ليبيا أو الخروج منها أو التنقل فيها .

المادة الثالثة والعشرون

عدم تطبيق قوانين تسجيل الأجانب ومراقبتهم :

تعفى حكومة ليبيا أعضاء القوات البريطانية من القوانين التى تنص على تسجيل الأجانب ومراقبتهم . وتتخذ حكومة المملكة المتحدة كل التدابير التى هى فى إمكانها لضمان حسن سلوك جميع أعضاء القوات البريطانية وتقدم لحكومة ليبيا ما تطلبه من المعلومات عن الأعضاء المدنيين على أن تؤخذ بعين الاعتبار صفتهم كأعضاء فى القوات البريطانية .

المادة الرابعة والعشرون

إعادة أعضاء القوات البريطانية السابقين إلى أوطانهم :

تتخذ حكومة المملكة المتحدة التدابير لإعادة أى عضو من القوات البريطانية إلى بلاده على نفقتها إذا ما فقد صفته هذه أثناء خدمته بليبيا . ويتم تسفيره فى أقرب وقت ممكن بعد أن تتغير صفته . وفى هذه الأثناء تحول حكومة المملكة المتحدة دون أن يصبح الشخص المعنى عبئاً على مالية ليبيا ولا تطبق هذه الأحكام إذا سمحت حكومة ليبيا للشخص المذكور بالبقاء فى ليبيا .

المادة الخامسة والعشرون

حيازة الأسلحة وحملها :

يجوز لأعضاء القوات البريطانية العسكريين فى ليبيا أن يحوزوا وأن يحملوا أسلحة تبعاً لمقتضيات أداء واجباتهم الرسمية .

المادة السادسة والعشرون

الشراء محلياً :

(١) يجوز لأعضاء القوات البريطانية أن يشتروا محلياً المواد والبضائع اللازمة لاستعمالهم الخاص أو استهلاكهم وأن ينتفعوا بما يحتاجون إليه من خدمات بنفس الشروط التى تطبق عادة بليبيا .

(٢) يجوز لحكومة المملكة المتحدة ولمتعهديها وللمنظمات العسكرية المصرح لها أن يشتروا محلياً ما يلزمهم من مواد و بضائع بالنسبة للعمليات بموجب هذه الاتفاقية بشرط مراعاة أى رغبة تعرب عنها حكومة ليبيا . وتسير حكومة المملكة المتحدة على سياسة اشتراء المواد والبضائع محلياً إذا توفرت وكانت فى المستوى المطلوب .

المادة السابعة والعشرون

استخدام العمال المحليين :

(١) مع مراعاة أى رغبة تعرب عنها حكومة ليبيا تستخدم حكومة المملكة المتحدة و يستخدم متعهدوها والمنظمات الحكومية المصرح لها ، إلا

فى ظروف خاصة ، مدنيين ليبيين بشرط أن يكونوا متوفرين ولهم الكفاءة للقيام بالعمل . وتكون شروط استخدام المواطنين الليبيين والأشخاص الذين يقومون عادة بليبيا بموجب الشروط التى هى بصفة عامة واجبة التطبيق وفقاً للقانون الليبى . لاسيما بالنسبة للأجور والأجور الإيضافية والتأمين وشروط حماية العمال .

(٢) بناء على طلب السلطات الليبية المختصة لحكومة ليبيا تخصم حكومة المملكة المتحدة ومتعهدوها والمنظمات الحكومية المصرح لها وتدفع إلى السلطات الليبية بموجب مقتضيات القانون الليبى ، ضريبة الدخل أو أى ضريبة أخرى . من الأجور التى تدفعها لمستخدميها الذين لا تعفيهم حكام هذه الاتفاقية من دفع الضرائب .

(٣) تستفيد حكومة المملكة المتحدة عند الإمكان وبالاتفاق مع حكومة ليبيا من خدمات مصالح الأشغال العامة فى ليبيا .

المادة الثامنة والعشرون

المركبات ورخص القيادة :

(١) فى حالة أعضاء القوات البريطانية الذين لديهم رخص قيادة صالحة فى المملكة المتحده لبريطانيا العظمى وإرلندا الشمالية أو لديهم تصاريح قيادة أصدرتها لهم السلطات العسكرية المختصة بعد أن أدوا امتحاناً صالحاً لإصدار رخص قيادة فى المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية توافق حكومة ليبيا إما على اعتماد هذه الرخص والتصاريح دون امتحان قيادة

أو رسوم وإما على إصدار تصاريح قيادة خاصة بها دون امتحان قيادة أو رسوم •

(٢) لا تكلف حكومة ليبيا السيارات الحكومية للمملكة المتحدة بالحصول على رخص بموجب قوانين ليبيا أو بحمل علامات تعريف التى تتطلبها عادة قوانين ليبيا ولكن تحمل هذه السيارات علامات تعريف تصدرها السلطات المختصة للمملكة المتحدة •

(٣) لا تطلب حكومة ليبيا أو تخضع سيارات المملكة المتحدة الحكومية لقوانين ليبيا فيما يخص التصميم والمعدات ولكن تتخذ حكومة المملكة المتحدة والمنظمات العسكرية المصرح لها كافة الاحتياطات المعقولة لتفادى إلحاق الضرر بالمرافق الليبية العامة •

المادة التاسعة والعشرون

القوانين واللوائح القانونية .

(١) يجوز لحكومة المملكة المتحدة ولمتعهديها سواء أكانوا ليبيين أو غير ليبيين وللمنظمات العسكرية المصرح لها أن تستورد إلى ليبيا معفاة من الرسوم الجمركية المواد والبضائع اللازمة لغرض العمل بموجب هذه الاتفاقية أو لاستعمال أو استهلاك أعضاء القوات البريطانية المقصورين عليها •

(٢) يجوز لأعضاء القوات البريطانية أن يستوردوا إلى ليبيا عند أول وصولهم إلى ليبيا أو عند أول وصول أى معول لهم للالتحاق بهم أمتعتهم الشخصية وأدواتهم المنزلية وسياراتهم الخاصة لاستعمالهم الشخصى معفاة من الرسوم الجمركية •

(٣) لا تطبق القوانين واللوائح التى تسير عليها سلطات الجمارك فى ليبيا بما فى ذلك حق التفتيش والحجر على أى ممتلك يستورد بموجب هذه المادة أو على أى مستندات رسمية تحضرها حكومة المملكة المتحدة إلى ليبيا .

(٤) يجوز إعادة تصدير الممتلكات المستوردة إلى ليبيا بموجب هذه المادة دون التقيد بقوانين ليبيا ولوائحها الجمركية ، ولكن لا يجوز التصرف بتلك الممتلكات فى ليبيا إلا لغرض تنفيذ هذه الاتفاقية أو لصالح أعضاء القوات البريطانية أو فى الأحوال الأخرى التى تصرح بها السلطات المختصة لحكومة ليبيا مع مراعاة الشروط التى قد تفرضها .

(٥) تتخذ حكومة المملكة المتحدة الإجراءات الإدارية الرامية إلى الحيلولة دون التصرف بهذه الأمتعة لصالح أشخاص غير مصرح لهم وبصفة عامة إلى الحيلولة دون سوء الاستعمال فى الامتيازات التى تمنحها هذه المادة وتتعاون الحكومتان لهذه الغاية .

(٦) يجوز تصدير الأمتعة المشتراة بليبيا التى أشير إليها فى الفقرة (٣) من المادة ١٦ دون التقيد بقوانين ليبيا ولوائحها الجمركية .

المادة الثلاثون

أحكام شتى خاصة بالضرائب :

(١) لا يعتبر الوجود المؤقت لأحد أعضاء القوات البريطانية بليبيا إقامة أو موطناً ولا يخضعه فى حد ذاته لأية ضرائب أو رسوم أو تكاليف بليبيا سواء على دخله أو على ممتلكاته المنقولة التى يعود وجودها بليبيا إلى وجوده

المؤقت بها كما لا يخضع مخلفاته لضريبة الوفاة فى حالة وفاته . لا تطبق هذه الفقرة على الدخل الناتج عن الممتلكات غير المنقولة أو عن أى مصلحة تجارية بليبيا .

(٢) لا يخضع أى مواطن بريطانى يقيم فى المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى و إيرلندا الشمالية كما لا تخضع أية شركة مؤسسة بموجب قوانين المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى و إيرلندا الشمالية ومقيمة بها لأية ضريبة بالنسبة للدخل الناتج عن تعهد مع حكومة المملكة المتحدة بناء على عمليات بموجب هذه الاتفاقية بشرط عدم تطبيق هذا الإعفاء على الأشخاص الذين يقومون أو الشركات التى تقوم بأعمال أخرى فى ليبيا غير الأعمال الناتجة عن عقود مع حكومة المملكة المتحدة .

(٣) لا تدفع أية ضريبة أو رسوم أو تكاليف على المستوردات أو التصديرات المشار إليها فى المادة ٢٩ .

(٤) لا تدفع حكومة المملكة المتحدة أية ضريبة أو رسوم أو مكوس بالنسبة لأى شىء تقوم به فى ليبيا (بما فى ذلك شراء ملك أو ملكيته أو حيازته أو الاستيلاء عليه أو استعماله أو التصرف فيه) بناء على عمليات بموجب هذه الاتفاقية . ولكن هذا الإعفاء لا يطبق على ما يدفع مقابل ما يقدم من خدمات .

(٥) لا تعفى نصوص هذه المادة أى عضو من القوات البريطانية من :

ا — أية رسوم بموجب قانون ليبيا بالنسبة لجهاز راديو أو تليفون هو ملك خاص .

ب — أية ضريبة أو رسوم تسجيل بموجب قانون ليبيا بالنسبة لحيازة واستعمال سيارة مملوكة ملكا خاصاً .

(٦) ليس فى هذه المادة ما يلزم حكومة ليبيا بأن تعيد أو تتنازل عن أية ضريبة أو رسوم أو تكاليف كانت واجبة الدفع فى ليبيا عن مواد أو بضائع قبل أن تحوزها حكومة المملكة المتحدة أو يحوزها متعهدوها أو المنظمات الحكومية المصرح لها بليبيا يشرط أن تتخذ حكومة ليبيا الترتيبات للتنازل عن كافة الرسوم الجمركية والضرائب على الوقود أو الزيت أو الشحم الذى يبتاع على هذه الطريقة والذى يصدق عليه أحد الضباط التابعين لحكومة المملكة المتحدة والمصرح لهم بأنه خاص باستعمال القوات البريطانية بالنسبة للعمليات بموجب هذه الاتفاقية .

(٧) لا يعفى من الرسوم والضرائب الوقود والزيت والشحوم التى يحصل عليها أعضاء القوات البريطانية لاستعمالهم الخاص .

المادة الحادية والثلاثون

الاختصاص — القضايا المدنية .

(١) تدفع حكومة المملكة المتحدة تعويضاً عادلا عن الاضرار التى تنتج عن قيام أعضاء القوات البريطانية الذين تستخدمهم حكومة المملكة المتحدة مباشرة بواجباتهم الرسمية إذا لم تكن تلك الأضرار ناتجة عن عمليات عسكرية فى زمن الحرب ولا تنظر المحاكم فى مثل هذه المطالبات بتعويض .

(٢) تدفع حكومة ليبيا تعويضاً عادلا عن الاضرار التى تطالب بها حكومة المملكة المتحدة أو أعضاء القوات البريطانية والتى تنتج عن قيام الأشخاص الذين تستخدمهم مباشرة حكومة ليبيا بواجباتهم الرسمية إذا لم تكن تلك الاضرار ناتجة عن عمليات عسكرية فى زمن الحرب .

(٣) باستثناء ما تنص عليه الفقرة (١) من هذه المادة يجوز أن تنظر محاكم ليبيا فى القضايا المدنية ضد أعضاء القوات البريطانية ، وفى هذه الحالات تتخذ السلطات العسكرية المختصة بناء على طلب السلطات الليبية كافة التدابير التى بإمكانها لضمان الامتثال لأحكام المحاكم الليبية وأوامرها وأن تساعد ، فى حدود ما تسمح به اعتبارات الأمن ، السلطات الليبية فى تنفيذ تلك الأحكام أو لأمر ولكن لا يخضع العضو العسكرى من أعضاء القوات البريطانية لحكم محكمة أو الأمر منها يصرفه عن الخدمة ولا يكون تنفيذ مثل هذا الحكم أو الأمر ضد شخصه أو راتبه أو أسلحته أو ذخائره أو معداته أو لوازمه أو ملابسه العسكرية .

المادة الثانية والثلاثون

الاختصاص — المسائل الجنائية.

١ — يجوز للمحاكم العسكرية للمملكة المتحدة ولسلطاتها أن تمارس فيما يتعلق بأعضاء القوات البريطانية الاختصاص والسلطة اللذين يمنحهما لها القانون الإنجليزى فى الحالات الآتية وهى :

ا — الجرائم التى ترتكب فقط ضد أموال حكومة المملكة المتحدة أو ضد عضو آخر من أعضاء القوات البريطانية أو ضد ماله .

ب — الجرائم التى ترتكب فقط فى المناطق المتفق عليها .

جـ — الجرائم التى ترتكب فقط ضد أمن المملكة المتحدة بما فى ذلك الخيانة العظمى والتخريب والتجسس وخرق أى قانون يتعلق بالأسرار الرسمية أو أسرار تتعلق بالدفاع الوطنى عن المملكة المتحدة .

د — الجرائم المترتبة على أى فعل أو تقصير حدث أثناء القيام بالواجب الرسمى وفى جميع الحالات التى يتوفر فيها الاختصاص والسلطة يكون أعضاء القوات البريطانية متمتعين بحصانة اختصاص المحاكم الليبية .

(٢) فى الحالات الأخرى يكون الاختصاص للمحاكم الليبية إلا إذا تنازلت الحكومة الليبية عن حقها فى ممارسة ذلك الاختصاص ، وتنظر الحكومة الليبية بعين العطف لأى طلب تقدمه سلطات الحكومة المتحدة للتنازل عن حقها فى الأحوال التى ترى فيها هذه السلطات أن لذلك التنازل أهمية خاصة أو عندما يكون بالإمكان تطبيق عقوبة مناسبة باتخاذالاجراءات التأديبية دون اللجوء إلى محكمة .

(٣) تتعاون السلطات الليبية وسلطات المملكة المتحدة فى القبض على أعضاء القوات البريطانية وتسليمهم للسلطة المختصة للمحاكمة وفقاً للأحكام المذكورة أعلاه ، وتخطر السلطات الليبية فى الحال سلطات المملكة المتحدة إذا هى ألقت القبض على أى عضو من أعضاء القوات البريطانية . إذا قبض على أحد أعضاء القوات البريطانية وطلبت سلطات المملكة المتحدة الافراج عنه رهن المحاكمة تقوم السلطات الليبية باخلاء سبيله من حراستها على أن تتعهد سلطات المملكة المتحدة بتقديمه إلى المحاكم الليبية لاجراءات التحقيق والمحاكمة عند الطلب .

(٤) تتعاون السلطات الليبية وسلطات المملكة المتحدة على إجراء جميع التحقيقات الضرورية فى الجرائم وعلى جمع الأدلة وابرازها بما فى ذلك حضور الشهود وقت المحاكمة ، وفى الأحوال المناسبة ، ضبط الأشياء المتعلقة بالجريمة

وتسليمها . إلا أن تسليم تلك الأشياء قد يجعل خاضعاً لرده فى الوقت الذى تعينه السلطات التى سلمتها .

(٥) يحق لأى عضو من أعضاء القوات البريطانية عند ما يحاكم فى المحاكم الليبية .

ا — أن يحاكم رأساً بمحاكمة سريعة .

ب — أن يخبر قبل محاكمته بالتهمة المعينة أو التهم ضده .

ج — أن يواجه بشهود الإثبات ضده .

د — أن يتمتع بالإجراءات الجبرية للحصول على الشهود فى صالحه إذا كان هؤلاء ضمن اختصاص المحاكم الليبية .

ه — أن يكون له ممثل قانونى يختاره للدفاع عنه أو أن يتمتع بالتمثيل القانونى المجانى أو المعافاة حسب الظروف السائدة فى ليبيا حالياً .

و — أن يحصل على خدمات مترجم قدير إذا رأى ذلك ضرورياً .

ز — أن يتصل بسلطات المملكة المتحدة ليحضر المحاكمة ممثل عن تلك السلطات .

(٦) تخطر السلطات الليبية سلطات المملكة المتحدة بنتيجة محاكمة أى عضو من أعضاء القوات البريطانية أمام المحاكم الليبية .

(٧) يعاد إلى سلطات حكومة ليبيا الشهود غير الخاضعين لقانون المملكة المتحدة والذين ينسب إليهم الحنث باليمين أو إهانة المحكمة أثناء النظر فى قضية أمام المحاكم العسكرية والسلطات التابعة لحكومة المملكة المتحدة وتضمن قوانين ليبيا نصوصا لمحاكمة مثل هؤلاء المتهمين وعقابهم .

(٨) من حق حكومة المملكة المتحدة أن تحفظ الأمن فى الأراضى المتفق عليها وتصون النظام فيها ويجوز لها أن تقبض فيها على الذين تنسب إليهم جناية وأن تسلمهم فوراً إلى السلطات الليبية لمحاكمتهم عندما يكونون خاضعين للمحاكمة فى المحاكم الليبية .

(٩) يجوز استخدام أعضاء القوات البريطانية خارج الأراضى المتفق عليها فى أعمال البوليس بترتيب مع السلطات المختصة لحكومة ليبيا . وتكون السلطات الليبية المسئولة الرئيسية لحماية الكابلات الحاملة للنور والقوة المحركة أو المواصلات لأية من الأراضى المتفق عليها سواء أكانت هذه الكابلات ملكا لحكومة المملكة المتحدة أم لا ولكن يجوز لها أن ترتب مع سلطات المملكة المتحدة استخدام أعضاء القوات البريطانية لهذه الغاية ، وفى جميع هذه الأحوال يكون للبوليس الليبى الذى قد يخدم معه أعضاء القوات البريطانية السلطة العليا فيما يتعلق بأشخاص سكان ليبيا وأموالهم .

المادة الثالثة والثلاثون

تعاريف :

(١) فى هذه الاتفاقية :

ا — تعنى (حكومة ليبيا) الحكومة الاتحادية للملكة الليبية المتحدة .

ب — تعنى (حكومة المملكة المتحدة) حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية .

ح — تعنى (الحكومتان) الحكومتين المذكورتين أعلاه .

د — تعنى (القوات البريطانية) أعضاء خدمات البر والبحر والجو البريطانية المسلحة (المشار إليهم فى هذه الإتفاقية بـ « الأعضاء العسكريين ») والموظفين المدنيين الذين يصاحبونهم وتستخدمهم هذه الخدمات أو يخدمون معها مباشرة أو عن طريق المنظمات الحكومية المصرح لها . ويشمل هذا التعريف كذلك أتباع هؤلاء الأعضاء العسكريين والمدنيين ولا يشمل الأشخاص المواطنين أو الأشخاص الذين يقيمون عادة بليبيا أو من ليس وجوده فى ليبيا ناتجاً عن عمليات بموجب هذه الاتفاقية .

والتابع بالنسبة لأى شخص معناه ما يلى :

(١) زوجة ذلك الشخص أو زوجها .

(٢) أى شخص آخر يعوله ذلك الشخص إعالة تامة أو يوجد فى رعايته أو مسئوليته أو عنايته .

هـ — تعنى (المنظمات العسكرية المصرح لها) المنظمات التى ترافق عادة القوات البريطانية المسلحة والمبينة فى الجدول الثالث من هذه الإتفاقية وأية منظمة أخرى مماثلة تتفق حكومة المملكة المتحدة وحكومة ليبيا على اعتبارها منظمة عسكرية مصرح لها .

و — تعنى (الأغراض العسكرية) داخل الأراضى المتفق عليها أو فى غيرها كما هو منصوص فى هذه الاتفاقيه منشآت المعدات العسكرية ومبانيها وصيانتها واستعمالها واستخدامها كما تشمل التسهيلات بما فى ذلك تسهيلات التدريب والسكن والاستشفاء والتسلية والتثقيف والترفيه لأعضاء القوات البريطانية وعمليات حكومة المملكة المتحدة ومتعهديها والمنظمات العسكرية

المصرح لها بموجب هذه الاتفاقية وتشمل تخزين ممتلكات حكومة المملكة المتحدة ومتعهديها والمنظمات العسكرية المصرح لها بموجب هذه الاتفاقية وتشمل تخزين ممتلكات حكومة المملكة المتحدة ومتعهديها والمنظمات العسكرية المصرح لها التى توجد فى ليبيا بالنسبة للعمليات بموجب هذه الاتفاقية .

ز — تعنى (السلطات العسكرية المختصة) الضباط القواد لفروع الخدمات المسلحة البريطانية بليبيا .

ح — تعنى (السفينة) كل نوع من المراكب المحمولة على الماء .

ط — تعنى لفظة (البضائع) المعدات العسكرية ومواد الصيانة والبناء .

ى — تعنى (سفن المملكة المتحدة الحكومية) و (طائرات المملكة المتحدة الحكومية) السفن والطائرات العاملة بموجب عقود حكومية أو العاملة لغايات القوات المسلحة للمملكة المتحدة .

ك — تعنى (مركبة المملكة المتحدة الحكومية) المركبة التى تقصر خدمتها على حكومة المملكة المتحدة أو على المنظمات العسكرية المصرح لها .

(٢) إذا قام شك فى عضوية أى شخص بالنسبة للقوات البريطانية تقبل محاكم ليبيا كبينة على ذلك شهادة تثبت عضويته لتلك القوات يوقع عليها ضابط مصرح له وتشعر حكومة المملكة المتحدة بالطرق الدبلوماسية حكومة ليبيا بأسماء الضباط المصرح لهم بإصدار مثل هذه الشهادات وتقدم نماذج لتوقيعاتهم

(٣) تقبل محاكم ليبيا كبينة شهادة وزير صاحبة الجلالة البريطانية المفوض بليبيا تثبت أن مطالبة ما بتعويض قد نشأت عن ممارسة أحد أعضاء القوات البريطانية مستخدم من قبل حكومة المملكة المتحدة لواجباته الرسمية .

المادة الرابعة والثلاثون

الخلافات :

يفض أى خلاف بين حكومة ليبيا وحكومة المملكة المتحدة ينشأ عن هذه الاتفاقية عن طريق الاحتكام لمحكمة خاصة تتألف من عضو تعينه حكومة ليبيا ومن عضو تعينه حكومة المملكة المتحدة ومن عضو تعينه الحكومتان بالاشتراك إلا إذا فض الخلاف بطريقة أخرى و إلا إذا نصت هذه الاتفاقية على طريقة أخرى لفضه ، و إذا لم تتمكن الحكومتان فى ظرف شهرين من الاتفاق على شخص لتعيينه كعضو ثالث يطلب من رئيس محكمة العدل الدولية تعيين ذلك العضو الثالث ، و إذا كان رئيس المحكمة مواطنا للمملكة المتحدة ومستعمراتها أو مواطنا ليبيا فإنه يطلب من نائب الرئيس أن يقوم بذلك التعيين و إذا كان هذا الأخير كذلك مواطنا كما تقدم يوجه الطلب إلى أقدم قاض فى المحكمة

المادة الخامسة والثلاثون

إبرام الاتفاقية ومدتها :

تكون هذه الإتفاقية خاضعة للإبرام و يتم تبادل وثائق الإبرام فى أقرب وقت ممكن . وتوضع موضع التنفيذ بتاريخ تبادل وثائق الإبرام وتظل سارية المفعول لمدة عشرين سنة إلا إذا عدلت أو أبدلت باتفاق بين الحكومتين ويعاد النظر فيها على كل حال فى نهاية عشر سنوات . ويجوز لأى من الحكومتين قبل انتهاء مدة (١٩) سنة أن تشعر بالطرق الدبلوماسية الحكومة

الأخرى بإنهائها فى نهاية العشرين سنة المذكورة . فإذا لم تنه الاتفاقية بهذه الطريقة تظل سارية المفعول بعد انتهاء مدة العشرين سنة مع خضوعها لأى إبدال حتى نهاية سنة واحدة بعد أن تشعر إحدى الحكومتين بالطرق الدبلوماسية الحكومة الأخرى بإنهائها .

وإقراراً لذلك وقع الموقعان أدناه بناء على تفويض صحيح لكل منهما من حكومته على هذه الاتفاقية وبصمها كل منهما بختمه .

حرر فى صورتين ببنغازى فى اليوم التاسع والعشرين من يوليو سنة ألف وتسعمائة وثلاث وخمسين باللغتين الإنكليزية والعربية وكلا النصين متساوى فى صحته .

عن حكومة المملكة الليبية المتحدة

التوقيع — محمود المنتصر

عن حكومة المملكة المتحدة

التوقيع - اليك كركبرايد

ملحق (١٤)

اتفاقية بين الحكومة المصرية

وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلندا

بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير للسودان

لما كانت الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلندا المسماة فيما بعد بحكومة المملكة المتحدة تؤمنان إيمانا ثابتا بحق الشعب السودانى فى تقرير مصيره وفى ممارسته له ممارسة فعلية فى الوقت المناسب وبالضمانات اللازمة ، فقد اتفقتا على ما يأتى

المادة الأولى

رغبة فى تمكين الشعب السودانى من ممارسة تقرير المصير فى جو حر محايد ، تبدأ فى اليوم المعين بالمادة التاسعة الواردة فيما بعد فترة انتقال يتوفر للسودانيين فيها الحكم الذاتى الكامل

المادة الثانية

لما كانت فترة الانتقال تمهيداً لإنهاء الإدارة الثنائية انهاء فعليا فإنها تعتبر تصفية لهذه الإدارة ، ويحتفظ إبان فترة الانتقال بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير المصير .

(المادة الثالثة)

يكون الحاكم العام ، إبان فترة الانتقال السلطة الدستورية العليا داخل السودان ، و يمارس سلطانه وفقاً لقانون الحكم الذاتى بمعاونة لجنة خماسية تسمى لجنة الحاكم العام ، و يتضمن الملحق الأول لهذا الاتفاق بيان وسلطات هذه اللجنة .

(المادة الرابعة)

تشكل هـذه اللجنة من اثنين من السودانيين ترشحهما الحكومتان المتعاقدتان بالاتفاق بينهما ، وعضو مصرى وعضو من المملكة المتحدة وعضو باكستانى ترشح كلا منهم حكومته على أن يتم تعيين العضوين السودانيين بموافقة البرلمان السودانى عند انتخابه ، و يكون للبرلمان فى حالة موافقته حق تعيين مرشحين آخرين ، و يتم رسمياً تعيين هذه اللجنة بمرسوم من الحكومة المصرية .

(المادة الخامسة)

لما كان الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه إقليما واحد مبدأ أساسياً للسياسة المشتركة للحكومتين المتعاقدتين ، فقد انفقتا على ألا يمارس الحاكم العام السلطات المخولة له بمقتضى المادة ١٠٠ من قانون الحكم الذاتى على أية صورة تتعارض مع هذه السياسة .

(المادة السادسة)

يظل الحاكم العام للسودان مسئولا مباشرة أمام الحكومتين المتعاقدتين فيما يتعلق بما يلى :

(ا) الشئون الخارجية .

(ب) أى تغيير يطلبه البرلمان السودانى بمقتضى المادة ١٠١ (١) من قانون الحكم الذاتى فيما يتعلق بأى جزء من هذا القانون .

(ج) أى قرار تتخذه اللجنة يرى فيه الحاكم العام تعارضاً مع مسئولياته . وفى هذه الحالة يرفع الأمر إلى الحكومتين المتعاقدتين ، وعلى كل من الحكومتين أن تبلغ ردها فى خلال شهر واحد من تاريخ الإخطار الرسمى ، ويكون قرار اللجنة نافذاً إلا إذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك .

(المادة السابعة)

تشكل لجنة مختلطة للانتخابات من سبعة أعضاء ، ثلاثة منهم من السودان يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته ، وعضو مصرى وعضو من المملكة المتحدة وعضو من الولايات المتحدة الأمريكية وعضو هندى ، ويكون تعيين الأعضاء غير السودانيين بمعرفة حكومة كل منهم ، وتكون رياسة اللجنة للعضو الهندى ويعين الحاكم العام هذه اللجنة بناء على تعليمات الحكومتين المتعاقدتين ، ويتضمن الملحق الثانى لهذا الاتفاق بيان وظائف وسلطات هذه اللجنة .

(المادة الثامنة)

رغبة فى تهيئة الجو الحر المحايد اللازم لتقرير المصير ، تشكل لجنة للسودنة تتألف من :

(ا) عضو مصرى وعضو عن المملكة المتحدة ترشح كلا منهم حكومته ثم يعينهما الحاكم العام ، وثلاثة أعضاء سودانيين يختارون من قائمة

تتضمن خمسة أسماء يقدمها إليه رئيس وزراء السودان ، ويكون اختيار هؤلاء الأعضاء السودانيين بموافقة سابقة من لجنة الحاكم العام .

(ب) عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة السودانية للعمل بصفة استشارية بحت دون أن يكون له حق التصويت .

وينص الملحق الثالث لهذا الاتفاق على بيان عمل هذه اللجنة ووظائفها وسلطاتها

(المادة التاسعة)

تبدأ فترة الانتقال فى اليوم المسمى « اليوم المعين » بالمادة الثانية من قانون الحكم الذاتى ، ومع مراعاة إتمام السودنة على الوجه المبين بالملحق الثالث لهذا الاتفاق تتعهد الحكومتان بإنهاء فترة الانتقال بأسرع ما يمكن ، وينبغى على أية حال ألا تتعدى هذه الفترة ثلاثة أعوام ، وتنتهى هذه الفترة على الوجه الآتى :

يصدر البرلمان السودانى قراراً يعرب فيه عن رغبته فى اتخاذ التدابير للشروع فى تقرير المصير ، ويخطر الحاكم العام الحكومتين المتعاقدتين بهذا القرار .

(المادة العاشرة)

عند إعلان الحكومتين المتعاقدتين رسمياً بهذا القرار ، تضع الحكومة السودانية القائمة آنذاك مشروعاً بقانون لانتخاب جمعية تأسيسية تقدمه إلى البرلمان لإقراره ، ويوافق الحاكم العام على القانون بالاتفاق مع لجنته ، وتخضع التدابير التفصيلية لعملية تقرير المصير بما فى ذلك الضمانات التى تكفل

حيدة الانتخابات وأية تدابير أخرى تهدف إلى تهيئة الجو الحر المحايد لرقابة دولية ، وتقبل الحكومتان المتعاقدتان توصيات أية هيئة دولية تشكل لهذا الغرض .

(المادة الحادية عشرة)

تنسحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور إصدار قرار البرلمان السودانى برغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير لتقرير المصير ، وتتعهد الحكومتان المتعاقدتان بإتمام سحب قواتهما من السودان فى مدى فترة لا تتعدى ثلاثة شهور .

(المادة الثانية عشرة)

تقوم الجمعية التأسيسية بأداء واجبين :

الأول — أن تقرر مصير السودان كوحدة لا تتجزأ .

والثانى — أن تعد دستوراً للسودان يتواءم مع القرار الذى يتخذ فى هذا الصدد ، كما تضع قانوناً لانتخاب برلمان سودانى دائم .

ويتقرر مصير السودان :

(ا) إما بأن تختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أية صورة .

(ب) وإما بأن تختار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام .

(المادة الثالثة عشرة)

تتعهد الحكومتان المتعاقدتان باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان وتقوم كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار .

المادة الرابعة عشرة

اتفقت الحكومتان المتعاقدتان على تعديل قانون الحكم الذاتى وفقاً للملحق الرابع لهذا الاتفاق .

المادة الخامسة عشرة

تصبح أحكام هذا الاتفاق وملحقاته نافذة بمجرد التوقيع .

و إقرارا بما تقدم رفع المفوضون المرخص لهم بذلك من حكومتيهما هذا الاتفاق ووضعوا أختامهم عليه .

حرر بالقاهرة فى اليوم الثانى عشر من شهر فبراير سنة ١٩٥٣ .

عن الحكومة المصرية	عن حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى و إيرلند الشمالية
توقيع (محمد نجيب) ختم لواء (ا — ح)	توقيع (رالف اسكراين ستيفنسون) ختم

وقد حررت منه صورتان تودع واحدة منها محفوظات الحكومة المصرية وتودع الأخرى محفوظات حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلندا .

ملحق (١٥)

اتفاق[1]

بين حكومة جمهورية مصر و حكومة المملكة المتحدة

إن حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلنده ، إذ ترغبان فى إقامة العلاقات المصرية — الانجليزية على أساس جديد من التفاهم المتبادل والصداقة الوطيدة .

قد اتفقتا على ما يأتى :

(المادة الأولى)

تجلو قوات صاحبة الجلالة جلاء تاماً عن الأراضى المصرية وفقا للجدول المبين فى الجزء رقم (١) من الملحق رقم (١) خلال فترة عشرين شهراً من تاريخ التوقيع على الاتفاق الحالى .

(المادة الثانية)

تعلن حكومة المملكة المتحدة انقضاء معاهدة التحالف الموقع عليها فى لندن فى السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٦ وكذلك المحضر المتفق عليه والمذكرات المتبادلة ، والاتفاق الخاص بالإعفاءات والميزات التى تتمتع بها القوات البريطانية فى مصر وجميع ما تفرع عنها من اتفاقات أخرى .

---

(١) ألغت حكومة جمهورية مصر هذا الاتفاق بعد العدوان الثلاثى وهو ما يتناوله كتابنا الثانى من هذه السلسلة

(المادة الثالثة)

تبقى أجزاء من قاعدة قناة السويس الحالية وهى المبينة فى المرفق (أ) بالملحق رقم (٢) فى حالة صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فوراً وفق أحكام المادة الرابعة من الاتفاق الحالى ، وتحقيقا لهذا الغرض يتم تنظيمها وفق أحكام الملحق رقم (٢)

(المادة الرابعة)

فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفاً فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية الموقع عليها فى القاهرة فى الثالث عشر من شهر أبريل ١٩٥٠ أو على تركيا ، تقدم مصر للمملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازماً لتهيئة القاعدة للحرب و إدارتها إدارة فعالة . وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانىء المصرية فى حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض سالفة الذكر .

(المادة الخامسة)

فى حالة عودة القوات البريطانية إلى منطقة قاعدة قناة السويس وفقاً لأحكام المادة ٤ ، تجلو هذه القوات فوراً بمجرد وقف القتال المشار إليه فى تلك المادة .

(المادة السادسة)

فى حالة حدوث تهديد بهجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفاً فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا يجرى التشاور فوراً بين مصر والمملكة المتحدة .

(المادة السابعة)

تقدم حكومة جمهورية مصر تسهيلات مرور الطائرات وكذا تسهيلات النزول وخدمات الطيران المتعلقة برحلات الطائرات التابعة لسلاح الطيران الملكى التى يتم الإخطار عنها . وتعامل حكومة جمهورية مصر هذه الطائرات فيما يتعلق بالإذن بأية رحلة لها معاملة لا تقل عن معاملتها لطائرات أية دولة أجنبية أخرى مع استثناء الدول الأطراف فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية . ويكون منح التسهيلات الخاصة بالنزول وخدمات الطيران المشار إليها آنفا فى المطارات المصرية فى منطقة قاعدة قناة السويس .

(المادة الثامنة)

تقرر الحكومتان المتعاقدتان أن قناة السويس البحرية — التى هى جزء لا يتجزأ من مصر — طريق مائى له أهميته الدولية من النواحى الاقتصادية والتجارية والإستراتيجية ، وتعربان عن تصميمهما على احترام الاتفاقية التى تكفل حرية الملاحة فى القناة الموقع عليها فى القسطنطينية فى التاسع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٨٨٨ .

(المادة التاسعة)

(ا) لحكومة المملكة المتحدة أن تنقل أية مهمات بريطانية من القاعدة أو إليها حسب تقديرها .

(ب) لا يجوز أن تتجاوز المهمات القدر المتفق عليه فى الجزء (ج) من الملحق رقم (٢) إلا بموافقة حكومة جمهورية مصر .

(المادة العاشرة)

لا يمس الاتفاق الحالى ولا يجوز تفسيره على أنه يمس بأية حال حقوق الطرفين والتزاماتهما بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة .

(المادة الحادية عشرة)

تعتبر ملاحق هذا الاتفاق ومرفقاته جزءاً لا يتجزأ منه .

(المادة الثانية عشرة)

(ا) يظل هذا الاتفاق نافذاً مدة سبع سنوات من تاريخ توقيعه .

(ب) تتشاور الحكومتان خلال الإثنى عشر شهراً الأخيرة من تلك المدة لتقرير ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق .

(ج) ينتهى العمل بهذا الاتفاق بعد سبع سنوات من تاريخ التوقيع عليه وعلى حكومة المملكة المتحدة أن تنقل أو تتصرف فيما قد يتبقى لها وقتئذ من ممتلكات فى القاعدة مالم تتفق الحكومتان المتعاقدتان على مد هذا الاتفاق .

يعمل بالاتفاق الحالى على اعتبار أنه نافذ من تاريخ توقيعه وتتبادل وثائق التصديق عليه فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن .

وإقراراً بما تقدم وقع المفاوضون المرخص لهم بذلك هذا الاتفاق ووضعوا أختامهم عليه . .

تحرر فى القاهرة فى اليوم التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩٥٤ من صورتين باللغتين العربية والإنجليزية ويعتبر كلا النصين متساويين فى الرسمية .

عن حكومة جمهورية مصر	عن حكومة المملكة المتحدة
جمال عبد الناصر حسين	
محمود فوزى	هـ ٠ أ ٠ نتنج
عبد اللطيف محمود البغدادى	ر ٠س ٠ ستيفنسون
محمد عبد الحكيم عامر	ر ٠ بنسون
صلاح الدين مصطفى سالم	

للمؤلف

السياسة والاستراتيجية

فى

الشرق الأوسط


مكتبة القاهرة الحديثة